

محمود عوض

الحرب الرابعة

سداى جدا



الطبعة الثانية

الكتب العربية الحديثة

محمود عوض

الحرب الرابعة

سرى جداً

DL

المكتب العربي الحديث
للطباعة والنشر
تليفون ٢٢٢-٢
إسكندرية

الطبعة الثانية

ديسمبر ١٩٧٤

الحرب الرابعة
سرى حسدا

مقدمة

يقولون دائما ان كل امة تحتاج الى صحة كبرى لكي تنهض من سباتها .. ونقيم ما حولها .

في هذه الحدود فقط ، يصح لنا ان نرى هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ باعتبارها مجرا وتذارا وصحة وكنهوسا وهزيمة وليلا ونهاية وبداية ومونا وولادة .. في وقت واحد ، مونا لاشسياء كثيرة عفنة ، وولادة لطانات كثيرة عفينة .

وانقول الحق ؟ ان صحة سنة ١٩٦٧ كانت اشد تأثيرا على جيلنا نحن - الجيل الجديد في هذه الامة - منها على اي قطاع آخر في مجتمعنا . طوال تربيقتنا الحديث .. لم يحدث ابدا - الا في حالتنا هذه - ان سقط جيل من مثل تلك القبة المرتفعة .. الى مثل هذا القاع المخيف .. في مثل ذلك الوقت النصر - سنة ايام . في تلك الايام الستة تعلمنا من وطننا اكثر جدا مما تعلمناه في الجامعة ، لو على صفحات الصحف . تعلمنا ان الثقة ليست بديلا عن المراجعة ، والاحلام ليست بديلا عن الواقع .. والخبز ليس بديلا عن الحرية . تعلمنا ان السلطة المطلقة هي الطريق الى الانحراف المطلق . (درس اعطته لنا مراكز القوى) . تعلمنا ان احد مقاييس المجتمع المصري هو قدرة بعض مواطنيه دائما على الاعتراض على ما يقوله جميع مواطنيه احيانا . تعلمنا كلمات « معرط » : انتي احبكم يا رجال

اثنين .. ولكنني احب الحقيقة اكثر . تعلمنا ان علينا ان ندرس شيئا جديدا هر : القدرة على ان تكون حرا . تعلمنا اننا نميش في بلد النور القوي .. والظل الحاد ، القوة الكامنة .. والضعف الطارئ ، وان علينا الا نسمح للنفي بان يطمس الاول . تعلمنا اننا يجب ان نكون اولا اقوياء كالأفراد .. قبل ان نكون اقوياء كدولة . تعلمنا ان الهزيمة لم تكن أبدا ميبا في المرض .. ولكنها كانت واحدا من أمراضه .

تعلمنا .. وتعلمنا .. وتعلمنا ..

كانت الدروس كثيرة .. وكان الثمن نادحا . وحتى الآن ، مازال السؤال الفاض هو : هل كان من المحتم ان ندفع ذلك الثمن الفادح .. لكي نتعلم تلك الدروس ؟

اننى لا اطرح هذا السؤال الآن لكي أرش الملح على جراح احد .. ولكنني أريد فقط ان أفسر لماذا أصبح طعم المرارة جزءا من لسان جيلنا . جيل كانت الحرية ، بالنسبة له هي دائما شيئا مؤجلا . شيئا سوف يتحقق غدا . ان « غدا » لم يأت أبدا .. وبدلا منه جاءت هزيمة كبرى . ان نصف موارد هذه الأمة ضاع في تلك الهزيمة .. والنصف الآخر ضاع في تصحيحها .

وعندما مدر لى الذئب الأول في سلسلة « متنوع من التداول » كان الجدل ساخنا حول اختيار الطريق الأمثل الى تصحيح تلك الهزيمة . ومن الناحية الاعلامية ، فإن تلك ثلاث أول فرصة حقيقية لتطبيق شعار « أعرف عدوك » .. الذى ظل مرفوعا لمستويات طويلة نون أى تطبيق جد . ان الاتجاه الذى كان يمثله ذلك الكتاب تعرض وقتها لمعارضة قوية هنا .. وبيننا ، ولكيلا يكون البديل هو افتراض سوء النية في أصحاب ذلك الرأي

.. غافنى افترض أنهم ليدوا دأنها منع الكتب الإسرائيلية من التداول .. بناء على افتراض من جأئهم أسسه حسن النية . افتراض يقول أن منع الكتب المعادية من التداول هو إجراء ضرورى لحماية القارئ العربى ضد الأكاذيب التى تروجها إسرائيل داخل إطار ماهر وفكى من الحرب النفسية . وإن نكسة ١٩٦٧ قد ترتب عليها بالضرورة انعدام ثقنا بأنفسنا .. بحيث أن السماح بالكتب المعادية سوف يضيف انعداما إلى انعدام .

ومع ذلك غافنى كنت أرى العكس تماما .. وربما لنفس الأسباب التى يتركن إليها أصحاب الراى السابق .

أن من الصحيح أنما واجهنا هزيمة كبرى فى سنة ١٩٦٧ . ومن الصحيح أن العدو استغلها فى شن حرب نفسية قارية ضدنا .. مستخدما فيها كل مهاراته وفكائه وأجهزته .

ولكن .. من الصحيح أيضا أن أحد الأسباب الرئيسية فى تلك الهزيمة هو الوصاية التى مارستها أجهزة الأمن على عقول الراى العام . وعندما وقعت الهزيمة فعلا .. فإن إحدى نتائجها الرئيسية كانت وجود فجوة ثقة كبرى بين الحكومة والشعب .. نتيجة لأن النكسة لم تحدث فى ميدان القتال فقط .. بل أنها كانت نكسة اعلامية بدرجة متساوية . لقد اكتشف المواطن فجأة أن الاعلام العربى لم يكن يقول المصدق .. ولم يكن يلتزم بالموضوعية .. باعتبار أن هذا هو الطريق السهل لكسب حواس القارئ والمستمع .. وللحصول على شعبية تعطى الجميع شعورا كاذبا — ولكن مريحا — من الرضاء على النفس .. ولتحقيق الأمن ، الذى كان يصبح فى النهاية .. لمن أفراد على مناسبتهم .. وليس لمن لمة على مستقبلها .

ولكن .. عندما نشبت الحرب في صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ كانت تلك المسيلة هي القتل الأول في الحرب .

وعندما بدأ التصحيح المشهور في 1٥ مايو سنة ١٩٧١ .. كلن لابد ان يتون أيضا تصحيحا اعلاميا .. بقدر ما كان في البداية تصحيحا سياسيا .

ولقد جاءت التجربة لكي تثبت صحة كل الأسس التي اعتمدت عليها هذه السياسة الجديدة العاقلة . فعندما رفع الحظر عن الكتب الإسرائيلية التي خُلت لسنوات طويلة ممنوعة من التداول .. لم يؤد هذا إلى مزيد من انعدام الثقة بالنفس .. بل أنه أدى إلى مزيد من الإصرار على تصحيح نكبة سنة ١٩٦٧ .. ومزيد من الجدية في تطبيق شعار « اعرف عدوك » .. ومزيد من الجدية في احصاء كل مواطن بالثمن الفكري والمادي الذي يجب أن يساهم به — ويدفعه هو شخصيا — في الصراع ضد إسرائيل .. وكانت النتيجة هي أن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ جاءت لتشهد مقاتلا جديدا في ساحة الحرب .. ومواطنا جديدا أيضا في الجبهة الداخلية . مواطننا غامعا لعدوه عارفا بمثله .. دارسا لأساليبه .. ومتابعيا لأفكاره .

وإذا كانت هذه السلسلة قد قدمت للقارئ من قبل أسئلة إسرائيل من حرب ١٩٦٧ وأساليها .. وهي أكثر النقاط انخفاضاً في الترمومتر العربي .. فإن هذا الجزء يقدم للقارئ، تحليل العالم لحرب ١٩٧٣ وأساليها .. وهي أكثر النقاط انخفاضاً في الترمومتر الإسرائيلي .

إن الترمومتر الإسرائيلي لن يظل منخفضاً بصفة مستمرة .. إلا إذا كنا نحن سنواصل دراسة العقل الإسرائيلي في حجه

الحقيقي بعنة مستهرة .. دراسة لسلها الافتتاح وليس الأمن
 .. الحرية وليس الكتب . وكما قل أحد سيلى القرن الثامن
 عشر لرئيس وزراء بريطانيا : « سيدى .. تستطيع أن تعطى
 هذا البلد أى شيء .. تعطيه برلمانيا فاسدا .. تعطيه حكومة
 جشعة .. تعطيه امرا طاغيا .. تعطيه قضاء عاجزا ..
 ولكن : اعطنى انا صحافة حرة . بهذه الصحافة .. سوف
 اصح لك كل هذا ، واكثر » .

عزيزى القارىء ...

الآن بدأت حرية الصحافة .. دعنا نأمل فى ما هو أكثر .

محمود عوفى

الباب الأول

خفايا حرب الشرق الأوسط

◆ أندريه دوبيتش

تسذا الكتاب ..

وهذا المؤلف

● هذا هو أول كتاب اجنبى يصدر عن حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

الكتاب انجليزى ، لمصره « لتدريه دويتش » فى لندن . . يستعنا فيه بانوال وشهادات وتقديرات مئات العسكريين فى مصر واسرائيل . . خلال رحلات عديدة الى جبهتى القتال اثناء الحرب . . بالاضافة الى تحليلات خبراء الاستراتيجية والحرب فى لندن ، وباريس . . وواشنطن . . رحلات وتحليلات وصلت بحجم الكتاب الى تسعين الف كلمة فى لغته الانجليزية .

هذا من الشكل ..

اما عن مضمون الكتاب نفسه . . فلن اشتهاء اخرى كثيرة ، لابد ان نلاحظها لأول وهلة .

فمن الناحية المبدئية يسلط هذا الكتاب الضوء على نقطة جوهرية للغاية ، تضيف مصيدا ضخما الى ما حققته العسكرية المصرية فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . هذه النقطة هى : ان مصر واجهت بمعركة اخرى اساسية قبل ان يبدأ القتال الفعلى على رمال سيناء . . ففى التحضير للحرب . . لم تكن مبيون اسرائيل هى وحدها التى ترصد كل استعداد وتسجل كل تحرك فى الجانب العربى . . بل ان مبيون

وأخبره ومخابرات الولايات المتحدة معها كتب تعمل هي الأخرى
في نفس الاتجاه — ولحساب إسرائيل . لقد كتبت محادثات إسرائيل
تتخصص .. ومخابرات أمريكا تتخصص ... ثم يتبادل الإنجلي
معلوماتهما .. ثم يعيدان جميع وفحص وتحليل المعلومات أولا بأول
بهدف رصد أول مبادرة عربية توحى بالاتجاه إلى الحرب .

وفي الجانب المقابل .. على مصر أو سوريا لم تتمتع بميزة معلوماتية
على الإطلاق . لقد كل على كل منهما أن يعتمد على نفسه تمام ..
في مواجهة هذا التحالف القوي بين جهتي المخابرات لإسرائيل
وأمریکا .

لقد كانت تلك معركة أخرى .. وكان لابد أن تنصر فيها أولا —
كشرط حواري يسبق الذهاب القطي إلى ميدان القتال . وتلك هي
أول نقطة يسجلها لنا هذا الكتاب .

نقطة أخرى : أنه لأول مرة تجد مؤلفين عسكريين غربيين لا يأخذون
بآراء إسرائيل على محملها . لقد تطلب أعداد هذا الكتاب رحلات
عديدة إلى جبهات القتال ، وأحدثت كثرة مع المسؤولين — مصريين
وإسرائيليين . وطوال صفحات الكتاب ، فإن المؤلف لم ياتقص في
حرف واحد ما قاله المصريون . إن القوال المصريين هنا تتساوى مع
ما حدث مملا في ميدان القتال حتى فيما يتعلق بمسألة « النقرة » التي
فتحتها إسرائيل على الضفة الغربية لقناة السويس . وربما لا تكون
مصر قد شرحت بالتفصيل أسباب ما حدث .. ولكنها — وهذا هو
المهم — لم تقل أي شيء يلائم ما حدث .

وفي نفس الوثق يسجل هذا الكتاب أن هذا لم يحدث على
الجانب الإسرائيلي . إن الكتاب يسجل محتاطة كثرة ... منها
مثلا ما يتعلق بمدى مناعة خط بارليف .. ومنها ما يتعلق بالسلاح
السري الآخر الذي كتبت إسرائيل تحفظ به في هذا الحظ .

نقطة ثالثة : ان الكتاب في تحليله لمسألة « النمر » الاسرائيلية .. يقرر حتى اليوم انها كائن لا بد ان تتشل عسكريا . واداكنا نحن قد قتلنا بعد حرب ١٩٦٧ الهبة ان نستنج من العالم الى انتقاداته المادعة لمجريا .. فلا قتل من ان نستنج من العالم في هذه المرة - والاحتلاف ضخم في هذه المرة - الى تصيراته لواحى قصورا . في حرب ١٩٦٧ كما عالجين .. وفي حرب ١٩٧٣ ، كما مسالطين .

هنا بالمسط يمل الى الملاحظة الاسلية على هذا الكتاب :
كفاءة المظلمين .

لقد هبت السبلة في هذه المرة غرصة بمساويه - امام الممائل العربي لكن بحوض حرا متعاقلة . حريا . دخلها عبر يد مموله وعمل مشلول . وكانت النتيجة هي انه قتل - شرب - وشجاعة ، وسوهبة ، وبطم ، وفي كل الحالات : بلدانية .

ونك نقطة خطيرة يسجلها هذا الكتاب . ففي هذه المرة يحدث العالم عن سلاح ضد سلاح .. وازادة ضد ارادة . ومقاتل ضد مقاتل . في هذه المرة يسجل الكتاب ان هناك قتلا مصريا سقط .. ولكنه قبل تلك يكون قد سجل ان هناك عشرة اسرائيليين من القتل قد سقطوا ابله .

ونك هي الحرب .

بل انه ، حتى في حديث هذا الكتاب عن « النمر » الاسرائيلية .. فانه يسجل ان المقاتل المصري استطاع - حتى الدقية الاخيرة - ان يلقى الجيش الاسرائيلي دوما ان يساه . ربما

فانتهاه أشياء .. ولكنها غلبته وهو مقاتل يضراوة .. ومناطق بعناد .. ومتقدم بجسلة .

إن مثل هذا المقاتل لا يعنيه أن يخسر نقطة .. ويكسب نقطتين ..
و .. نحن خسرنا نقطة ..

ولكننا كسبنا مئات النقاط . كسبنا — على الأقل — احترام العالم
لنا ، وكسبنا — وهذا هو الأهم — احترامنا لأنفسنا .

بعدها ترككك — مزيزي القلبيد — مع أول كتاب من حرب
الكتوبر . كتاب « نظرة على حرب الشرق الأوسط » .. لأندريه
دوينش ●

خلفاء حرب الشرق الأوسط

أن مركز العمليات المصري يخفون يقيم على حدود القاهرة .
أن صحفيا مصرية ذاتي قد رآه أثناء الحرب سجل له عدا الوصف
في مصر مذكراته ، « سيطرة حبيب عسكرية .. واقفة أمام ظل
من الرمال ، ومسحة في ظل الرمال . في النهاية باب حديدي كثة
باب حراسة ضخمة ، ثم ممر طويل ، ثم سلالمة تتزل في الأرض
وتتزل ، ثم باب حديدي آخر وممر طويل .. في نهايته باب حديدي
ثالث ، ثم يتسلسل المكان فجأة : قامت اجتماع عرف عمليات ،
مراكز اتصالات ، صالات خرائط ، مكتب ... » .

أن مكتب الرجل الذي خطط ووجه حرب أكتوبر كان صغيرا ،
على يمينه أربعة مقول . « وزير الخارجية والقائد العام » الفريق
هو الحصة والخمس ستة ... أحمد إسماعيل . أنه جندي
« غرفة الدراسة » اللامع .. الذي أعطاه للرئيس أنور السادات
أمرا في شهر نوفمبر سنة ١٩٧٢ ، وهو : التحضير لاستئناف
الاستعدادات .

في الممر المواجه نيلما لمكتب أحمد إسماعيل ، يوجد باب يؤدي
مباشرة إلى غرفة العمليات الرئيسية : « كانت قاعة كبيرة ..
بأصواء باهرة .. ألوانها بالخرائط حية ، والخرائط ليست ألوانا
فقط ، ولكنها حركة منعقة ... حول للقاعة مجموعات تتنقل
تبادلات أفرع القوات المسلحة كلها ، كل مجموعة وديارها خرائطها
وأمامها أبواب اتصالاتها بكل الصحف . في المكنز الرئيسي من الصالة
توجد منصة لهيئة القيادة العليا : وزير الخارجية والقائد العام

أحمد اسماعيل ، رئيس لركن الحرب سعد الدين الشاذلي ،
ومدير العمليات عبد الحسي الحسي . في مواجته الممهدة ، على
الحائط المواجه ، توجد مجموعة الخرائط الرئيسية التي تبين الموقف
العلم . انها مرسومة على مسطحات من الزجاج بعرض الصالة
كلها . . . وهي توضح الموقف في البر . . والموقف في الجو . والموقف
في البحر . . والموقف على الضفة السورية . ان لمسات ملونة
جديدة سوف تضاف الى الخرائط مع تغير الموقف دقيقة دقيقة .
وطوال الوقت ، فان أجهزة الاتصال تنق ، والمشاورات تجري
بسرعة . . . »

لقد كان هذا مركزا لإدارة المعركة . وانشاء عبور النهار به الذي
سبقه تحيطه لكل شيء حتى ألقى التفاصيل - من هذا المركز كان
يتمثل بشكل مهيبة . . ولم يحدث سوى في المراحل التالية المائمه من
الحرب غلط . . ان ظهرت عبوب هذا البناء القيادي المركزي المتعدد
الدرجات .

لقد قال الفريق أحمد اسماعيل : « كان يجب ان نرى هذه الماعة
في يوم « ي » - يوم ٦ أكتوبر . كنا جميعا في مقاعدنا . ان كل مسرح
العمليات التي خططها كل واحدنا في مواجتها مهمة جدا وكذا
بدأت . . مهمة جدا وكذا نمت . . ان العمل كان يسير بدقة أكثر
مما يستطيع ان يتخيلها أي شخص - مكفأة وجراء . وكانت هناك
لمحات تهر المشاهير الى الأعمق . . . »

ان الرئيس أتور السادات كان أيضا في مركز قيادة العمليات .
لقد قال غيا مد : « خلال الساعات الثلاث الأولى كان يعبرني
توتر مطلق ، بل أنني كنت متعبا تقريبا . لم يكن معروف ما الذي
يملكه الاسرائيليون في محاربتهم . . وأي أسلحة حديدية يملكونها؟
ولكن . . بعد ثلاث ساعات . . كان واضحا ان الاسرائيليين لم

سم بعضهم ، وانهم عوضوا قتلها .. وان جنودنا تدعبروا الجوانب
الوعرة للمساء » .

ان خط بارليف لم يكن يتكون من ثلاثين نقطة اسرائيلية قوية تحرس
الخط المحتمل للصور على قناة السويس . ان اسرائيل نصورت
لته بمع قتلها . ان الشائلي ، رئيس اركان الحرب المصري ،
شرح السبب مبيا بعد قائلا : « ان قناة السويس هي منبع مائي
فريد بسبب الاتحاد الشديد لشواطئها وبسبب اعوجاجها الذي
يسمح المركبات البرمائية من التزول الى - او الصعود من - القناة
.. بعبر طريق مجهر .. وهذه ظاهرة لا يوجد في اى مكان آخر
سوى قناة بناما . وبالمسألة الى ذلك منى العدو قد كرم مدا
رمليا يراوح ارتفاعه من ثلاثين وستين قدما .. وهذا كله بخلاف
دفاعاته في خط بارليف . . . » .

من هذه الدفاعات كل سلاح اسرائيل السري كل نقطة قوية
تستطيع ان تصح مائتي طن من التزول والمواد المهمة على سطح
المياه ، وتشعلها بالميزان .. فنتحول القناة نورا الى حريق من
البراز .

وفي مواجعة هذه الحفلات .. فلن موثي ديالى وزير الدفاع
الاسرائيلي قضا بان اى هجوم مصرى عبر قناة السويس سوف
يتم القضاء عليه خلال اربع وعشرين ساعة . ان الشائلي قتل
مبيا بعد : « اننى اعتقد ان ديالى قد اثنى بهذا التصريح على اساس
حسابات بان مهديما موما يحتاجون الى اربع وعشرين ساعة
من اهل اقامة الكبارى والمعدات .. ولن المعدات الثقيلة (مثل
قوة دبابات مصرية فعلية) لا يمكن ان تعبر القناة قبل ٤٨ ساعة ..
بما يسمح بوقت كاف لوصول الإصبلاتى الاسرائيلى المتفرع من
العق الى الضفة » .

وفي يوم السبت ٦ أكتوبر — وخلال عشر ساعات فقط — أظهرت مصر كيف أن استراتيجيتها لإسرائيل الدفاعية المبنية على محيطها بأسلحة مبتكرة وعصرية .

على منتصف ليلة السبت ، بعد عشر ساعات من الحرب ، كانت مصر قد حطمت حط بارليف .. ودمرت أكثر من مائة دبابة إسرائيلية .. وحشنت على التلطفاء الشرقى حسمالة دبابة . وشبكة صواريخ كاملة . إن هذا الاتحاد العسكرى الهائل وغير المتوقع .. أعطاه مصر أسبا رميا هو « عليه بدر » .

إن فشل إسرائيل المريع في التنبؤ بحرب أكتوبر له ثلاثة أسباب رئيسية . السبب الأول .. على . طوال السنوات الأربع الماضية .. ركزت أجهزة المخابرات الإسرائيلية على مشكلة العدائين الفلسطينيين و — بالتحديد — على أنهم متحارج . ولكن الطائفت الشربة الإسرائيلية لغرة . ولتفيلم بهذه المهمة .. على على إسرائيل أن تسحب — من مصر وسوريا أساسا — حروا كبيرا من ميلانها الذين يقومون بأعمال المخابرات السياسية . أن المقطع الناتج من ذلك في المخابرات السببسية أدى لإسرائيل إلى ما أسماه تمولملى بروطقى فيها مدد بأنه « حاله كلاسيكية » من فهم المخابرات لقدرات العدو .. ولكن عدم فهم لخواياه .

إن هذا التسلط — والكلمة هنا ليست شديدة القوة — من الفلسطينيين على التفكير الإسرائيلي . لدى أسسا إلى السبب الثاني والاعمق للعجز الإسرائيلي . أنه هنره عن عجز كامل عن إدراك أن العرب قد يستحدثون كلا من حرب الإرهاب والحرب التقليدية . أن موسى دايكن وزير الدفاع الإسرائيلي .. وكذلك رؤساء لوكالى الحرب المتتابعين .. كلهم كرروا اتضاعهم الاحتقارى

من أن العرب قد تم تخفيضهم الى مستوى الارهاب العشوائى
لأنهم - بالضغط - لا يحرّضون على مواجهه اسرائيل فى ميدان
القتال .. وحى غاراتهم التى كانوا يقومون بها عبر الحدود ..
قد انتهت .

ان الفلسطينيين اصبحوا - حى - هم المسئولين عن السبب
لثالث والاكثر اثرة للسحرمة فى فشل اسرائيل . ان المحابر
الاسرائيلية قد شلت مشوب حرب فى سنة ١٩٧٣ ، ولكنها قدرت
انها على وثك لى تشبب فى شهر مايو - كنبهة لاعمال
الفلسطينيين وهكذا .. بعد ان اصلها شمع الفلسطينيين
بالعمى . عن اسرائيل تحاهلت الخطوب المريعة للاستعدادات
العربية .

ان الرئيس انور السادات اثر داتها ضرورة الحرب ، وكما شرح
هو مؤجرا - لى نطاق محدود وبندر كبر من المراحة - مانه
قال : « من يوم ان تمسكت الرئاسة بعد وفاة الرئيس جمال
عبد الناصر (٢٨) ستمبر سنة ١٩٧٠ ، اثنى كنت أعرف لى يحبه
ان احارب ، انها نرتنى . »

ان السادات كان راعيا فى اعطاء فرصة للعمل الدبلوماسى .
وهو يقول فى هذه النقطه : « كانت لى آمال مسنبلة فى وزير
الخارجية (الأمريكى) روجر خلال سنى ١٩٧ و ١٩٧١ ، كانت
حطة روجرز هى محاولة أمريكية لنسوية النزاع) . ولكن كل
ما فعله هو أنه كل يستلمنى منى مريدا من التنازلات ، يعر اى
استحابه واحدة من الاسرائيليين « ان ترايد وممو العلاقات
الامريكية مع رومبيا لراح واحدا آخر من اسلحة السادات . لهذا
يقول هو : « كان واصحا ان الهدنة - حالة لا سلام ولا حرب -
تماسب القومين الاعظم . لقد كل همك نوع من الاتلاق

بيهما على مستوى امدادات سلاح « . وفي النهاية .. كان
أوراق السدادات الآخر .. هو انه حتى قدرته على استغلال المنافسة
والتناقص بين القوتين الأعظم .. هو عامل مساعد يتصل
بسرعة . مع نفسه بأنه ليس له من اختيار سوى الحرب .

ويقول السدادات : « انى ذهب الى موسكو في ربيع سنة ١٩٧٢
(٢٧ - ٢٩ ابريل) .. واحترت مستر بريجنيف انه من الضروري
بالمناسبة لنا ان نحارب يوما ما . لم يكن هناك دليل لذلك ، ان
مريحيف قال لي انه لا يريد مواجهه بين القوتين الأعظم « .. وهذا
. اصبح السدادات يفكر في اسس محدده لحرب جديدة . وعلى
حد نصيره « ان الروس كانوا يراهم طوال صيف وحريف
سنة ١٩٧٢ . لقد قالوا انهم يسيطرون الانخباطات الأمريكية و شهر
نومبر « . انهم ان يعطوا السدادات اسلحتهم المتطورة ، ولكنهم
يرغبون في البقاء بمصر : « ان الروس شعروا بان لهم وجودا على
أرضنا ، حتى لو اتحدوا مع الطريق « . وفي ٢٧ يوليو سنة
١٩٧٢ طردهم السدادات : « انى طردت الروس لكي اعطي لنسبي
حرية كاملة في المناورة . ولكن معصم عاد من اجل مهمه — سم في
الصحراء بعيدا عن قناة السويس بمسافة كبيرة — تطبقنا كيف
مستخدم الصواريخ الجديدة ، خصوصا صواريخ سام ، ضد
الطائرات « .

ولكن ، وهذا هو الأمر المثير للسخرية ، كل الحذر المستمر من
حائب الروس هو ، طبقا لما قاله ، الذي جعل بحرب أكتوبر .
ان الرئيس السدادات يقول : « بعد اتصالات موعبر ، عاد مستر
مكسون .. وتلقبت خطانا من مستر بريجنيف يقول فيه انهم
يرغبون في تدعيم سيادة من الوفاق .. وهم مصحوبين بأن اتبل
هذا الموقف . لقد قالوا انهم لا يستطيعون ان يكونوا برادة

امدادات السلاح المتقدمة . لقد عقدنا اجتماعا لمجلسنا الأعلى هنا
في القاهرة . - ورمضان هذا . (في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٢ تحدث
السلطات في اجتماع مطلق للحصة المركزية للاتحاد الاشتراكي
العربي) ومن تلك اللحظة .. بدأنا التخطيط لهجوم ٦ أكتوبر .

ولكن .. أي نوع من الحرب ؟

ان الفريق احميد اسماعيل قرر في نهاية سنة ١٩٧٢ ان يهرده
استئناف صرب الخميرة والمسيرة الحرة . التي ميرت حرب
الاستنزاف في سبتمبر ١٩٦٩ و ١٩٧٠ سوف يكون اسرا فادح
الاصرار . انه كان يرى ان « أي محاولة من جانبنا لان نصل
ذلك سوف يقابلها رد فعل اكثر عنفا من هتف اسرائيل .. أكثر
من الاهمية السياسية والعسكرية لأي عمل نقوم به » . وهكذا ..
فانه واثق على الآراء التي تمسك بها هيئه اركان الحرب طويلا ،
ان الوسيلة لصرب اسرائيل لا تكون منقلب بكتيكتهم التي تمتد
على الضربات الحاطمة . وكان مشطهم فيما أسياه الشاذلي محرب
على أسلوب « ممره اللحم » .

مع نهاية يناير سنة ١٩٧٢ . وبعد أسابيع من المفاوضات ، بدت
سوريا مسعده للاشتراك في المشروع . وهنا يقول الفريق احميد
اسماعيل : « كانت فكرة التايه هي ايضا يجب ان تقوم بضربتنا
من جهتين » . ان مقر احميد اسماعيل في وقت السلم هو مجمع
صغير من المكاتب المتواضعة .. يخطط لها سور يبلغ ارتفاعه عشرة
أقدام ، في شارع ٢٢ يوليو مصاحبه العنصرية لملاخمة . وفي وقت ما
من مطلع شهر فبراير ، بدأ الأمر من مصر في هيئه التخطيط
العسكرية .. في الاستعداد .

ان المباشرة الدبلوماسية الاحيرة ، والموازية ، وصلت الى قمته
ايضا في شهر فبراير سنة ١٩٧٢ . ان حافظ اسماعيل مستشار

السلطات للامم القومية — وهو تحريف مائل بحري لهرى كينجر . . بالرغم من انه لا يكن الذهاب بالمخاض بعيدا — طر في رحله شملت موسكو وباريس والامم المتحدة وبنون . . وبالإضافة الى ذلك ، ذهب محمد الزيات وزير خارجيه مصر الى بيوتلهم ويمكن .

وفي ٢٢ فبراير ، اجتمع حافظ اسماعيل بالرئيس بيكسون في البيت الابيض . ان بيكسون محث من رسة لهرى في ان تبدأ الماوضات . ان حافظ اسماعيل وصف تلك الماوضات فيها بعد بأنها كانت « حارة ومثيرة » . ولكن ، في أول مارس تحدثت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل مذورها مع بيكسون . ان ريارها لأمريكا تلاها خلال أسبوعين حسدور ميلان بالولايات المتحدة سوف تزد اسرائيل بمريد من طائرات الماسوم — ٤٨ طائرة هذه المرة . لقد كل هذا تأكيداً مهتياً بأن بيكسون — بعد اعاده انعامه — لن يغير سياسته .

وفي شهر مارس ١٩٧٣ بدأ السلطات في بناء استراتيجيه سلبية مشتركة مع سوريا . لقد كانت المشكله هي ان سوريا مائزالت تتحدى مفهوم وجود دولة يهودية ، ومن ثم فإن القرار الاساسي والاكثر اهمية الذي يجب ان تتفق عليه مصر وسوريا هو : حول أي شيء تكون الحرب — وجود اسرائيل . . أم مجرد استعادة الاراضي المحتلة ؟ (لأن سوريا والاردن — طبعاً — فقبتا أيضاً اراضى في حرب ١٩٦٧) . وكانت هناك مشكله أخرى . . هي ان مصر وسوريا ليست لهما علاقات تعاونية مع الاردن . . بينما تمثل اعاده الاردن الى الصف العربى مهمة لسلسله . .

وفي يومى ٢١ و ٢٢ أبريل اجتمع رؤساء لركل حرب الحيوش العربيه في القاهرة لدراسة موقف اسرائيل العسكري . ان الفريق

أحمد اسماعيل صاع مؤخرًا النتائج التي توصل إليها بقوله : « إن تقديري بأن هو أن إسرائيل مك أرع ميزات أساسية ، تعوقها الحوى .. مقترنها السكولوجية ... تخربها الكفاءة والدقيق .. ثم اعتمادها على المعايير السريعة من الولايات المتحدة ، مما يضمن لها .. تدفقًا مستمرًا من الإمدادات ، ويمكن هذا العدو له أيف عيوب أمنية ، أن خطوط مؤامراته طويلة وسننده إلى جهات عديدة .. مما يحمل الدماغ معها حصة .. أن موارد البشرية لا تسمح له بحمل خسائر كبيرة في الأرواح ، أن ظروفه الاقتصادية تمنعه من مدح حرب طويلة .. أنه — يوق ذلك — عدو يعاني من مساوئ العزور المنحصر » .

ولكن « سيجل فقط اتسعه هذه » ، فلاند من « رغبات العدو — هكذا يقول أحمد اسماعيل — على أن يورج عضائه عن مساجد عربية . ولكي هذا يتواءم « أيا » على « إسرائيل » و« إسرائيل » إسرائيليه عربية مشتركة — يجب دمجها في حزب جديدة . و« أجماع شهر أبريل » كان تحقيق الوحدة — مؤال بعيد عن المبدأ . وكما أعلن اللواء الشاب رئيس الأركان المصري عند محادثته المؤتمر : « أن وجود بعض المشاكل السياسية والعسكرية يمنع العمل المشترك » . وسرعان ما أكدت إحدى المشاكل بعضها مقوم . نفس النقاش من شهر مايو أنصر قتال عقب من الجيش اللبناني وبين المقاومة الفلسطينية .

أن الذي اشتمل ذلك القتال كان عملاً إسرائيلياً . متى العاشر من أبريل ، قامت قوة كوماتدور إسرائيلية ، برتدي أفرادها الملابس المدنية ، بأغتيال ثلاثة من الزعماء البارزين للمقاومة الفلسطينية . أن الحكومة اللبنانية سرعان ما سقطت . وفي ٢ مايو — أيا — بسبب القدر الكبير من براخي الحش أثناء المارة — انجرت حرب أهلية مضررة في لبنان . لقد استمرت تسعة أيام . وقد تمسرت

المخابرات الإسرائيلية أنها سوف تمتد إلى خارج لبنان . أن إسرائيل ، بدفعها شعور عصبي مسبب أحداث الستات التي ينشأ منها بالحرب . حشمت من أن تكون سوريا على وشك التدخل في جانب المقاومة في لبنان . أن هذا - كشيء على اطرار البشري - يمكن أن يحدث في الواقع دولة عربية حرة حول إسرائيل . مواجعه سوف يسكب حيا في داخل إسرائيل بسبب أن السوريين استمعوا .. هذا مؤكد . ولكن القوات الإسرائيلية وضعت في حالة هذب .. ثم قامت بمناورات وأصح على مرصمات الجولان .

لقد كان هذا اندازا مريفا .. ولكنه يعرض المشاكل التي سوف تضلل إسرائيل بعدها بأربعة شهور فقط . نطقا لأتوال « دايد البعازر » رئيس أركان الحرب الإسرائيلي . على اذار شهر مايو قام على أساس وجود اشعارات لاستعدادات الحرب بحرية كثر اقتناعا من الاشعارات التي قامت مؤخرا في الصيف . أن اعلان حالة الذهب كلف إسرائيل أربعة بلايين ونصف مليون جنيه إسرائيلي .. وهو مبلغ تستطيع محله بسهولة . كما أن هذا سيجي امبارة هائلة وراء سرم إسرائيل من تنمية الاقتصاد بحسن الاحباط حتى حد البوحة المالية من اشعارات المحذر .

وبالنسبة لأمريكا ، الضامن النهائي لإسرائيل ، كل شهر مايو شهرا حرجا بالنسبة لاستعدادات الحرب . أن جهاز المخابرات الأمريكي يصمم وكالات عديدة مستقلة ويمداحه وعالما متنافسة .. ومن بينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. التي هي أكثر الوكالات لفتا للاضطرار . أن لسر هذه الوكالات هو مكتب وزارة الخارجية للمخابرات والبحوث .. الذي يتنوب من عمل الوكالات الأخرى .. ولكن يعمر عملاء خاصين به أن عمل المكتب هو التحليل .

وبعد أربعة شهر مايو ، وتقدم استراتيجيات السادات ، أعد
محلوا المكتب تقريراً وضعوا فيه مقدماتهم الجديدة الذي عن
الشرق الأوسط . لقد تمأوا بالحرب في الحريف . أن وكالة
المخابرات المركزية الأمريكية وافقت على ذلك ، بالرغم من أن
تقديرها لتأريخ كل أكثر غموضاً

ويبدو أن أحد العوامل خلف هذه التقديرات . كان النشر
الاجمالي للتسلح الذي أصبح العرب - خصوصاً سوريا -
يحصلون عليه من روسيا . أن الشخصات الروسية من بيانات
« ت - ٦٢ » التي مصر وسوريا في الربيع لم تكن تدعو للتفريق .
ولكن في ٣ مايو قام الرئيس السوري حافظ الأسد برحلة إلى
موسكو استغرقت أربعة وعشرين ساعة . أنه عاد بوعده روسي
لإمداده بنظام كامل للتصاع الحوي صعد على صواريخ سام . . .
بالإضافة إلى أربعين طائرة « ميج ٢١ » أخرى . وبصفة عامة . .
مطلقاً للتقديرات الأمريكية . بل روسيا أمتد سوريا خلال
الصف الأول من سنة ١٩٧٢ بتسليحة تلح تيسرها ١٨٥ مليون
دولار - أي أكثر من قيمة الأسلحة التي حصلت عليها سوريا خلال
سنة ١٩٧٢ بـمبلغ خمسة وثلاثين مليون دولار .

وسمى كل يوم إعادة تسليح سوريا . . استمرت المفاوضات
السياسية مع مصر حول الوصول إلى استراتيجيات مشتركة .
وأخيراً ، في ١٢ يونيو . . وإنهاء أوضاعهم في دمشق ، استطاع
أنور السادات أن يضع حافظ الأسد بقول هدفه وتحديد أهداف
سوريا من الحرب .

وفي النهاية ، حدد صلب المحيط في القاهرة بوعده للحرب .
أن الساعة المحددة للهجوم كانت محل جدل مع سوريا حتى اليوم
الثاني من شهر أكتوبر . (حينما طار أحمد إسماعيل بمسيرة إلى

سوريا لكي يحل المسألة) . ان الفريق احمد اسماعيل يشرح غيبا بعد قائلا : « لاسباب عديدة ، اكثرها اهمية هو ان تكون الشمس في مواجحة العدو .. قل السوريون وصلوا ان تبدأ الحرب مع اول ضوء للمحر .. ولكن لاسباب عديدة ايضا ، ليس منط ابناء الشمس .. ولكن الحساسة الى اقامة الكلاري وبحرك الدسات عبر القناه في ظلمه الليل - معنا فصلنا ان نعمل عند العروب » . ان احمد اسماعيل - باعتباره القائد العام للجبهتين - قدم الموعد الى وقت وسط ومشرق .. هو النقية بعد الظهر .

ان تاريخ المسلسل من اكتوبر الذي تم مضيله كان - من ناحية اخرى - قد تقرر بواسطة المصري في وقت مبكر من مراحل التخطيط . ويقول الفريق احمد اسماعيل ، « قتل ان تبدأ الحرب بشهور كان هناك الاعبار العام .. من انه لابد ان يترك المؤقت من وجهة نظر التقدير المينى سنة ١٩٧٢ بعد وصول النابيد العربي والعمالي لنا في كل المجالات الى الدروة العالية . وتحديد أكثر ، لما كنا نحتاج الى ما يلي . أولا - ليلة قمرية بتصادم فيها القمر معا في السابعة الحادية . ثانيا - ليلة يكون فيها بحر المياه بالثقة مناسباً لعمليات الصور من ناحية السرعة . ثالث - ليلة يكون علينا فيها بعيداً من توقعات العدو . رابعا - ليلة لا يكون فيها العدو منسحب مستعداً للميل . ان هذه الاعتبارات المحددة هي التي جعلتنا نختار يوم ٦ اكتوبر . نص هذا اليوم - كما دللنا الحسابات الفلكية - سوف يكون هناك ظهور مبكر لضوء القمر واختفاء مبكراً له . ان علينا في القوات المسلحة درسوا تقارير هيئة قناة السويس لسموات طويلة ستقت لكي يصحبوا سرعة التيارات في كل يوم من ايام السنة ، وكل ٦ اكتوبر اكثرها مناسبة . وبالإضافة ان ذلك قلل الاسرائيليين ان يتوقعوا اي عمل من جانبنا خلال شهر رمضان . ومن جانبهم ، سوف يكونون

هم مشغولين بعدد من الأحداث .. من بينها الاتصالات القليلة
القوية » . (أن أحمد اسماعيل لم يعلم أبدا بهذه الحقيقة ..
ولكن من الواضح أنه أحمر يوم كيمور - أقصى يوم في السنة
اليهودية .. وهو اسم أحمر يخضع عرسته) .

وكانت هناك حادثة تاريخية أخرى ليوم ٦ أكتوبر بالنسبة
للغرب . أنه في سنة ١٩٧٢ سوف يكون اليوم العاشر من شهر
رمضان . ولكن في ذلك اليوم سنة ٦٢٢ ميلادية ... بدأ النبي
محمد استعداداته لمعركة بدر ، التي تمت بعدها بعشرة أعوام إلى
بحوله بكم يمشرا .. ومنه في نشر الإسلام . ومن هنا كان احتفال
اسم « بدر » كسم رمزي للصلاة .

مع ذلك فإنه فيما كان المحيط العسكري يتقدم - على المسافات
كان يمارس عليه أن يسمع في الهدف الآخر لإسرائيل حية النسيجية
وهو " اليهود إلى الملك حسين . في هذا لم يكن سهلا . أن هناك
بعض الأدلة على وجود محاولة منكورة لمناقشة حسين ، من طريق
قريب ملك السعودية .. الذي كل هو الوسيط الرئيسي والسري
طوال كل المراحل - ولكن حسين رفضها . وفي يوم ١٢ مايو أرسل
حسين مذكورة سرية إلى صباط جيشه ، قال فيها ، « من الواضح
اليوم أن الدول العربية ستمد لحرب جديدة .. أن المعركة سوف
تكون قبل أوانها » .

ولكن الأحداث أحد الحيلة - في القبة الإسرائيلية لحرب
يتم شها سد إسرائيل من ثلاث جهات تستحق أن يحارب . لقد
كانت الأرض بمساعدة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية . ومرة
أخرى . كان موقف الملك فيصل دقيقا .. ففي ٢٨ يوليو ، ذهب
رئيس الوزراء الأردني للنبحث معه لمدة ١٢ ساعة . ثم حدث في
٦ أغسطس فيما كل الشافلي رئيس لركان الحرب المصري في
دمشق يذهب لتكثيفات الحرب مع سوريا - أن وصل بمعوث من

السلامات الى العاصمة الأردنية وعانها بعدها بأربعة أيام .. في
صحبة عبد النعم الرماحي معوث الملك حسين .. لرؤية الرئيس
السوري حافظ الأسد في دمشق .

ان الطريق أصبح سهداً الآن للوعسول الى اجنماع قبة .
والآن ايضا ، أصبح ممكناً ان تبدأ محادثات عسكرية مع الأردن .
وهكذا ، وصل وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس الى عمان
في ٢٩ أغسطس .

وحيثما طار الملك حسين والرئيس حافظ الأسد الى القاهرة في
العاشر من سبتمبر لمقت اجنماع قبة مع الرئيس السادات ..
امكن التغلب على معظم الاحتمالات الدبلوماسية والعسكرية . لقد
أعيدت الأرض الى التحالف .. ووافقت سوريا على أهداف محددة
للحرب . وفي مقابل ذلك ، وعد السادات بالإسراع في الإعداد
للحرب . انه كان يستطيع اطفاء هذا الوعد فقط لأنه قام بترميم
العلاقات مع روسيا . ماغضبوا من شهر ابريل ، كان اللادة
المصريون يفترون مرة أخرى متى روسيا استأنفت بناء القوات
السلحة المصرية . ان مصر ، مثل سوريا ، بدأت تحصل على
القبائل والموارح والطائرات ومعدات روسية للصور ، ومن
سيمين الى ثلثين فيما لقواتها ..

ان الهدف الأساسي للحرب ، مدد التحقيق عليه من اجنماع
قبة القاهرة ، كان خلاصتها للمواجهة مع اسرائيل التي استمرت
جها وعشرين سنة ، ان هذا يمكن تحقيقه بآثار ازمة مجدد
القوتن الاعظم مسيما خلالها مضطربين الى الوط - وبعدها
التمكن من جعلها يارسال الضغط على اسرائيل للحصول على
تقارلات منها . لهذا المسبب ، فسيما العملية العسكرية مسيبت
بدر ، فان السادات اعطى لاسرائيليته السيسية الأكثر شهولا ..
اسما رميا هو « عملية الشارة » (..) .

ومن الناحية العسكرية ، كانت الاهداف هي استعادة الاراضي
المصرية والممورة والأردنية التي احتلها اسرائيل . مع ذلك ،
فحتى هذا يجب ان يتم تحقيقه على مرحلتين . فمهما يكن ان تكون
سوريا قادرة على استعادة خسارتها المحدودة في الحولاء . لم
تكن لدى السادات أية ترك حشده بيمكك من الحلف في سيناء .
ان مهمه جسي هي ان يفرض محرد مهيد بنسج حصة ثالثة مع
اسرائيل . ومن ثم يضطر بعض القواا الإسرائيلية الى المراقبة
على حدوده . . وأيضاً يجمع أي احتمال لشر هجوم إسرائيلي
في جنوب سوريا عبر الأرض . ان تلقى سيناء والصفاة العربية
للأرض سوف نسي كتنزلات من اسرائيل . . وهكذا . . اذا نجحت
« عملية الشراة » . . يتم حل المشكلة .

ان الإستراتيجية العسكرية التي تمت الموافقة عليها كانت بسيطة
للحماية . . ان اسرائيل سوف تتعرض الى حرب استمراف بأسلوب
« مفرمة اللحم » . واداً مثلت القواا الأعظم . فال العرب سوف
يستفرون لاسباسع . بل ولشهور . الى ان تضطر اسرائيل الى
التسوية . . عن طريق لهاكها بالحسائر في الامداد والأرواح .

ومع ذلك فمقدر معلومنا ، فقد انتهى اجتماع القمة في
١٢ سبتمبر . . ملركا القرار النهائي الخاص بالذهاب الى الحرب
. للرئيس السادات . ومن المؤكدة في هذه المرحلة لم يتم اخذ
الأسد وحسين بالمرايح المحدد لبدء الهجوم . . وطقنا لنصريحاته
أحمد أسباعيل وزير الخارجية المصري ، قال معرفه هذا السر كفت
محصورة في المسلات وضابط لركاا حربه . وكان المسلات مفيزال
يريد ان يترك اخسارانه الفهقيه مفتوحة .

وفي اليوم التالي . . قلمت اسرائيل مشوية المسالة .

ان مسئله ما اذا كتبت اسرائيل قد قصدت ان تدخل في حرب
مع سوريا . . هي شيء غير واضح . ان رئيس هيئة لركاا الحرب

الاسرائيلي امر مينا بعد على في المعركة « لم يكن نحن المادنيين
بها » . وربما يكون هذا صحيحا . ولكن .. ماذا كانت تفعل
اربع طائرات اسرائيلية متقلبة ، وهي تسيطر على البحر الاسود
بالقرب من — ان لم يكن في ناطل — المحاذي الجوى السوري ؟ ان
اسرائيل قالت انها كانت دورية روتينية . ومن ناحية اخرى ،
كانت هذه جيلة لها اليها السلاح الجوى الاسرائيلي من قبل كثير .

ان ما حدث هو ان قوة من طائرات الميغ السورية هبت لكي
تعرض الطائرات الاسرائيلية . ان ما حدث بعد ذلك هو محل
للجدل مرة اخرى لقد ادعت اسرائيل انه كل عليها ان ترسل
تعزيزات . ولكن تقارير اخرى تؤكد بان التعزيزات كانت تنظر فعلا
— في كمين جوى — بحيثنة فوق السحب . ان كل ما هو مؤكد ..
هو انه في الاشباك الجوى الناتج من ذلك . اسقطت شاس طائرات
سورية ، ومن المحتمل انها ١٣ ، مقابل طائرة اسرائيلية واحدة .

واذا كانت تلك « لحظة قسي » اسرائيلية .. او لحظة فراغ
يتسلى فيها الاسرائيليون — لحرد تفكير امرب بالموة الاسرائيلية
في اعتقاد اجتماع القاهرة .. فان دويها كان محسنا .. لا مصادر
مستقرة في القاهرة تدعى انه بعد هذه المعركة طلب اليرميس حاضط
الاسد الرئيس السادات تليفوننا لكي يحبه على ان اليرميس قد حل
للميل . ان السادات وافق على ذلك .. واعطى الامر بتمشيط
« عملية بحر » .

من تلك اللحظة . بدأ العد التنازلي نحو الحرب .

وحينا بدأ حشد المعدات والأسلحة البحرية في الاسبوع الاخير
من شهر سبتمبر .. لم يرجع من الاسرائيليين سوى عدد قليل .
قليلة عشر ساعات سابقة — فيما عدا سنة ١٩٦٧ . حيث كان

القتال دائراً - كان الجيش المصري يقوم بمناوراته السنوية كل صيف . ومن الصحيح والثابت أنه خلال السنين أو السنوات الثلاث السابقة .. كانت المناورات والتدريب الأجرى ينفذ عليها التركيز على القتال . ولكن القادة الاسرائيليين رفضوا ادراك معنى التدريب والتحصينات والمفارص الحثيثة - التي اتبناها المصريون طوال الأشهر التسعة السابقة - أنها جميعاً مجرد نصيب وقت الحود المصريين وسقطهم - هكذا قال الاسرائيليون .

وثنى ، في حوالي ٢٤ سبتمبر ، مدبر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن هذه هي أول تدريب يقوم بهما الجيش المصري بالمندورة في تشكيلات كثيرة بحجم عرقه كامله - أنهم أيضاً - المصريون - يخدمون بحجم أكثر من ذي قبل . ويضعون أكثر وأطول خطوط إمداد سوي تحت رؤيتها . والأكثر أهمية للطلق بين هذا كله .. هو أنهم يقيمون جهاز مواصلات جديدة أكثر تعقيداً مما تحتاجه أو تبرره مجرد تدريبات . (أن اختبار هذه الشئ من الاتصالات قد تم القاطه بواسطة جهاز الفحص الإلكتروني الأمريكي وكالة الأمن القومي .. لدى بنصب من قاعدة سرية للحماية في جنوب ابرار على اتصالات الراديو السيمية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط) .

وبمجرد أن علمت أمريكا بذلك ، تم تعجير اسرائيل . وبالمعنى - كما تدعى مصادر المخابرات الأمريكية في واشنطن الآن - أن الاسرائيليين سألوا الاسرائيليين « على مستوى عال جداً » عما إذا لم تكن هذه علامة على استعدادات عرسه هجومية متوقعة - عن طريق رجال محلات على الأقل - منذ الزرع ؟

إن اسرائيل رفضت هذه المحاول .

وبالمصط ، كما حسب مخطط الحرب المصريون ، فإن الاسرائيليين لم يسيروا بالبحيرة . لأن الصدى الاسرائيلي العادى

كان أقل أهمية بالحرب .. منه بداية موسم مباريات الكرة في شهر أكتوبر . والتمسعة للسياسيين في القدس ، في مواجعتهم للانتخابات في شهر أكتوبر ، قبل المعركة الأكثر الحاحا كانت تلك المتعلقة بالمشورات المنتقاة . وعوق هذا كله .. واحتمت الحكومة مشاكل خطيرة محليا ودوليا .. ففي نيويورك بدأت لتوها دورة جديدة للجمعية العامة في الأمم المتحدة . ولقد كتب إسرائيل مسهمة بالممثل الى أن وزير الخارجية الأمريكي هري كيسنجر قد اقترح استخدام هذه الدورة من أجل تحقيق تقدم نحو تسوية في الشرق الأوسط .

وكان الأشد أثرا من هذا .. هو أن حادثة إسرائيل بدأت تتراجع .. حتى يرى يهود المعلم . أن هجرة اليهود العربيين كانت لا شيء تقريبا . وأصبحت إسرائيل معصده — فيما يتعلق بالمهاجرين البيض — على تخلف يهود روسيا . وفي نفس الوقت .. فإنه هنى المساعدات المالية من اليهود العربيين كانت تحقق أيرادا أقل وأقل من الأرقام المسندمة شهريا . لقد كان هذا وقاسينا ، وحتى مع وجود كل هذا في الحسنى .. فإن حقيقة إسرائيل فيما يأتي من أحداث .. كان شيئا يصعب تفسيره .

وينتو أن التحركات السورية الأولى بدأت في حوالي ٢٤ سبتمبر ، أيضا . لم يكن هناك استفاد نراى الى الضفة .. مل محرك يتم بثبات ونظام . أن الدبابات والمنظمة بدأت في التجمع حول الخطوط المثلثة للدفاع السوري التي ست أقامها في السهول المحصورة بين الجولان ودمشق . أن أحد العناصر الكليته وراء ذلك السببه الأمريكي الاول لإسرائيل .. كان هو الاهتمام بقرآن منظورات السويس مع ماتدمى مصادر واتسطن أنها قد رانه ماعسله . « شيئا ما » . بنير المشك بفرجة خطيرة .. حول طبيعة إعادة انتشار القوات السورية .

بعدها بيومين . كان موسى دابيل ورمز الدفاع الاسرائيلي . هو
 أول من أقرب بيني في الأمر ماثير الاهتمام . في ٢٦ سبتمبر قام موسى
 دابيل بمقعد القوات الاسرائيلية في الحولان ضمن حويلته المسبوبة في
 اليوم السابق على بداية السنة اليهودية الجديدة . أنه أحضرهم
 بأن « على طول الحدود السورية برابط بين من الدبابات والمدافع
 السورية داخل نطاق فعال .. وأبما تمكده مصادرة للطائرات ..
 بكثافة مثله لما فعله المصريون على امتداد قناة السويس » .
 أن دابيل قد أصبح الآن ، وشغل سرى عالما ، قلنا بما يكفي
 لأن يفعل شيئين .

على نفس ذلك اليوم . قام بوضع الجيش في حيله ساهب على كذا
 الجبهتين . وفي وقت ما خلال أيام العطلة الثلاثة . غانه قام
 بتحرير اللواء المدرع في الحولان بقوات أخرى .. على رأسها واحد
 من أحسن ألوية الجيش الاسرائيلي .. وهو اللواء السابع المدرع .
 وبالسبب لقرارات الاسرائيلية المطلقة بالحرب . ربما يكون هذا
 أكثر الحركات الاسرائيلية حسما وفقه . فمع الأعمال البراعة
 للواء السابع .. كان من المؤكد أن يحرر اسرائيل المعركة في
 الحولان ومع ذلك فإن هذا العمل لم يغير أعلان عنه على الإطلاق .

ولقد كانت المسألة تدور وكئن اسرائيل تمنع بعدا بإنشاء لا ترغب
 فيها . أن تحرير دابيل من الحشمود السوري لم يحظ باهتمام
 إخباري مكافئ . (لم تكن هناك محبة في الأيام الثلاثة ٢٧ و ٢٨ و ٢٩
 سبتمبر) . وحيثما تدفقت أنباء الطوارئ بعد العطلة .. فإنها
 عوبحت بلطف باعتبارها « فربما قدأبى خلال موسم الأعياد
 الاسرائيلية » .. مع تأكيدات اسبقية بأن السماح للسياح بال
 مسير في الحولان .

وفي هذه النقطه ، لم يذكر أحد أنه في اليوم التالي لزيارة دابيل
 للحولان ٢٧ سبتمبر — أطلق الأمريكيون من تاعدتهم الحوية في

« فاندسرج » كالمعموريا تمرا صناعيا لجميع المعلومات والاستكشاف من طرار « سلموس » .. في مدار يقع فوق الشرق الأوسط . ان هذا يوضح ان الحائرات الأمريكية قد رأت في الامر كله ما يستدعي المراقبة .

وفي اليوم التالي — كان الحدث هو نفسه من الطبيعة بحيث انه حذر اسرائيل . ان ٢٨ سبتمبر كان هو الذكرى الثمالة لوفاة عبد الناصر . ان حديث السادات في هذه الذكرى انتهى بفقره فريفة ومبشرة . انه قال « ايها الاحوة والاحوات .. هناك موضوع ربما تلاحظون اني لم اناكلم فيه .. وهو موضوع المعركة . ولقد تمتعت ذلك قصدا . قد شعبا كلاما . لريد ان اتول شيئا واحدا . نحن نعرف هدما . ونحن مصممون على بلوغة . وليست هناك جهود لا سئها أو نضحيات لا تقضيها لتحقيق هدما . لن اعد شيء ولن اناحل في تفاصيل اي شيء . ولكني اقول فقط ان تحرير الارض كما قلت لحضراتكم هو المهمة الأولى الرئيسية أباسا — وبمعون الله سوف نجرها وسوف نحققها وسوف نصل اليها — هذه ارادة شعبا وهذه ارادة امتنا . بل هي ارادة الله » .

ان ما حدث بعد ذلك كان — ربما — صرة من سوء الحظ . ففي نفس هذا اليوم — قام رحلان عربيان مسلحان عرما بمسبها باعتشارها مجرد « سبور الثورة الفلسطينية » .. بالاستيلاء على الحدود الشمالية على مطار يحمل يهودا روبا من موسكو الى فيينا . لقد احدا حصة يهود وموظف حوايات مسلوي كرهائن .. وطلبنا ان نقوم اليها ماعلاق مركز فرانكفورت في فيينا يسمى « قلعة شومو » .. كل يسمخدمه اليهود الروس في طريقهم الى اسرائيل . ان مستشار النمسا « مرومو كيرسكي » .. وهو نفسه يهودي .. وافق على الطلب . ومرك المرميين احرارا . ان اسرائيل شعرت بالحق الشديد من هذا العمل .

هل كن هذا .. كما يشك بعض الإسرائيليين الآن — هو صرمة
 صرّة للتصويه ؟ ان الرطحي المسلحين كما يقتسم الى منظمة
 فلسطينية تسمى « الصاعقة » .. فاعضها في سوريا .. وتشرف
 عليها اسطراب السورية .. الى درجة انه حتى ضابط الجيش
 السوري أعضاء فيها .. وقتل لسموع واحد من حادثة « شوبو » ..
 قام قائد « الصاعقة » .. رهبر محسن .. باستنكر هذه الأعمال
 باعتبارها « أعمالا جسيمة لا يحتاج الى شجاعة حاصه .. وبم
 تنفيذها سبعا وراء الصيت والشهرة » ..

ماذا .. أو من .. غير مكبر رهبر محسن ؟ ان أحمد اسماعيل ورير
 الحزبية المصرية كن بالتأكيد محورا — « خطته الحذائية » الى تم
 وضعها — كما قال هو فيما بعد — بهدف ان تؤدي الى « تشتيت
 الانتباه عما سوى فعلا ان يقوم به » ..

و ذا كان هذا سوبها .. على غارة « شوبو » تكون قد نهجت
 للحاية .. وليس من المألوف ان يقول انه ابتداء من ذلك اليوم ..
 وحس اليوم المسمى على الحرب نفسها .. كانت « عملية شوبو »
 هي الشيء المسلط على يد إسرائيل .. والأكثر خطورة .. هو ان
 الحكومة الإسرائيلية وتبادات مجلراتها وجيشها .. كانوا يشمولين
 بهذا الحادث بدرجة مضلومة

ولقد كان هذا الوصف بئس كارثة .. في ٢٠ سبتمبر أصبحت
 الحكومة الأمريكية — في الشكل الواضح لورير الجارية كينسجر —
 أصبحت مهمه بالحثود العربي .. ولكن المخابرات الأمريكية كانت
 متأثرة تماما .. وللعلة « بأراء المخابرات الإسرائيلية » ..

واتناء ذلك التقدم نحو الحرب .. فلن كفاءة المخابرات الإسرائيلية
 والأمريكية .. منفع قدتها مالمه لاي تقدير لاستحداث حكومتهم ..
 ان كيمسجر ورير الجارية الأمريكية يرعم قتلا : « لقد سألنا

مخابراتنا . وكذلك المخابرات الإسرائيلية .. في ثلاث جلسات
مستملة خلال الأسبوع السابق لشوب الأعمال العدوانية .. من
أجل أن تعطيا تقديرها لما يمكن أن يحدث . ولقد كان هناك الرأي
الاجماعى من أن الأعمال العدوانية هي غير محبلة لوقوع ..
الى درجة أنه لا توجد فرصة لحدوثها .
أن الحقيقة كانت أكثر تعقيدا من ذلك .. بكثير .

من الناحية الفنية ، كانت المخابرات مملزة . على سحر من
الاستعدادات المصرية ، مثلا ، من إسرائيل ملك أخيرا الأمريكة
الخاصة بها في سياء . وإذا كانت فصائل صواريخ « سام » قد
بقرت مقبرة إسرائيل على القيام بطلمعات جوية للاستكشاف والصوب
الموعدى .. فإن القبر الصناعى الأمريكى « ساموس » .. بدأ
يسد هذه الفجوة مع نهاية شهر سبتمبر .

أن كيسنجر أقر بأنه « لا أحد ارتكب أية أخطاء تتعلق بالحقائق » .
ولكن ، كما قال كيسنجر أيضا « أن معرفة الحقائق سهل من معرفة
النوايا » .. لقد كلى المشغل الإسرائيلي هو في النسب - والنكس -
بالاستراتيجية العربية . هذا هو الشيء الذى تم إنكاره . أن أحد
الصراط الإسرائيلىين البارزين ، وهو حليم ملريف الرئيس السابق
لأركان الحرب ووزير الحزب منذ مشوب الحرب ومصمم خط برليف
- قد ادعى أنه لم يكن يوجد « أى نقص في المعرفة » بالنسبة للنوايا
العربية . ولكن ضابطا كبيرا في المخابرات الإسرائيلية أجريا بأن
كل ما توصلت إليه إسرائيل كلى هو أن هجوما عربيا يحصل أن
يكون « وشيك الوقوع » .

وفي المعلومات التى أعطتها إسرائيل للبراطنى الاحاتب لمعلوماتهم
الخاصة وليس للنشر - خلال الأيام العشرة السابقة على الحرب -
من كبار الشخصيات السياسية في إسرائيل كانوا اعتقادهم بأن

الزعماء العرب لم يسموا مسعدين للحرب . ان العرب ربما لا يخطئون
التقدير « ويشسون هجوما . ولكن .. اذا حدث ذلك .. فان
هزبتهم هي امر لاشك فيه . بل ان احد تلك السلطات استخلص
في ثقة مفرطة ان « اسرائيل ليست مهمة بالحرب — وبالتالي
.. فان العرب لن يكونوا مهمين هم ايضا بالحرب ! » .

وبشكل ما .. توصلت المحاربات الأمريكية — عن طريق وسيلة
تجريبية — الى نفس الاستنتاج .

ففي ٣٠ سبتمبر — وساء على طلب كيمسجر وزير الخارجية ،
ارسلت وكالة المحاربات المركزية . وكذلك مكتب المحاربات
والبحوث بوزارة الخارجية . رسلا اليه بتقيراتهم عن الاستعدادات
العربية . ان كليهما لم يكن مرحا كما يرسم كيمسجر . ان تقدير مكتب
محاربات وزارة الخارجية قال ان الحشود العربية « غير قاطعة » ،
ولكن ، بعد ان قام المكتب بتحليل الصورة السياسية ، فانه لم
يكن متفائلا الى درجة استبعاد مشوب الحرب .. ثم استخلص ان
من المشكوك فيه ان تبدأ حرب قريبا .

ولقد كلى تقدير وكالة المحاربات الأمريكية هو نفس الشيء .
انها قدرت ان الاستعداد العرقي محل « نقرا مشكك » . ولكن
الثقة الاسرائيلية من النوايا العربية كانت تتم رؤيتها باعتبارها الشيء
المؤكد ان مكتب محاربات وزارة الخارجية كلى هو الآخر متفائلا بآراء
المحاربات الاسرائيلية . ولقد قال لنا احد المسؤولين فيه . « ان
غلطنا كانت هي قول التاكيدات المنكرة من الاسرائيليين حول
النوايا العربية » . ولكن المكتب — في حكيه على النوايا العربية
— كان يعظر ايضا الى الأمم المتحدة .. حيث بدأت لتوها دورة
جديدة في اجتماعات الجمعية العامة . ان الشيء الذي يدعو الى
السمحية ، هو أنه بينما كلى كيمسجر وزير الخارجية الأمريكية برز

هذه التقرير غير المؤكدة من المخبرات . فانه هو الآخر . كان
جائرا بمس الأحداث في نيويورك .

ان كسمنجر أعلن لوراء خالجية الدول العربية واسرائيل
المتجمعين في الثورة - بشاعر رجل على وشك قبول خاتمة نزل
للسلام - أعلن ان ليريكا هي الال متحصنه للمساعدة في تحقيق
« تقدم حقيقي » نحو تسوية للنزاع في الشرق الاوسط . وعندما دعا
المتحويين العرب الى العداء يوم ٢٥ سبتمبر . . اعترض هذا سبناة
« الحركة الدبلوماسية الاولى من جانبه » (في الواقع . . انه كان قد
مارس صغطا على اسرائيل مملا) . و في المحادثات الخاصة لى
جرت في نيويورك في اواخر سبتمبر . . كن كيسنجر قد حقق نوعين
من النظم . ان يحضر رسميا كيرا في الأمم المتحدة - وكان مطلعا
على تلك المحادثات - قال لنا « ان العرب بقوا اكثر تراجيا وثقة
بالنفس من اى وقت مضى رأيتهم فيه » . ان وزير الخارجية
الاسرائيلى ووراء الخالجية العرب اتفقوا سرا على أنهم سوب
بقابلون في وقت ما من شهر نوفمبر تحت رعاية كيسنجر .
التاريخ سوف يتم تحديده بعد الانتخابات الاسرائيلية . . وسوب
يكون الهدف هو التوصل الى « مجموعة احراءات » تؤدي الى
مفاوضات رسمية .

لقد تعرضت تحليلات المخبرات للحداع . ولكن احد رجال المخبرات
في واشنطن قال لنا : « ان اهتمام العرب بالدبلوماسية بدأ صحبا
حيث انه بالرغم من وجود تجلة عديدة على التمركات العسكرية . .
غلبا تعرضنا للتقليل . لقد كانت لدينا العناصر الصحيحة . .
ولكننا لم نرى اولوياتها بطريقة صحيحة » .

ان كسمنجر ايضا ، بعد ان قرا تقديرات المخبرات - اعتقد ان
العرب سوف يملكون الفرصة لطراز من الدبلوماسية . وما دامت

موايا الرئيس السادات كلفت دائما بصيد على مبادرات عسكرية
سرى موارء المبادرات السياسية .. قريبا ككن لقوى اتصال
ديسخر بين اتصالاته المربية .. هو الذى تم مع وزير الخارجية
المصرى محمد حسنى الربى .. حيث كان مثلها ليس أى تحقيق
تقدم فى الدققة الأخيرة .. لأنه يعرف كم سيكون الثمن بالقلم ..
إذا فشل ذلك .

فى ذلك اليوم — ٢٠ سبتمبر — وبينما المخابرات الأمريكية قد
قررت فى ضجر أن الحرب غير محتملة الوقوع .. أرسل أحمد
إسماعيل وزير الخارجية المصرية أشمله نبيه الى قريته السورى
للواء مصطفى طلاس أن السورى لم يتم اخبارهم بعد سريع يوم
الهجوم . ولكن أحمد إسماعيل أخبر طلاس الآن بأن الهجوم محتمل
الوقوع فى أى وقت . أن المد المازلى الأخير سوف يبدأ عند إعطاء
كلمة رسمية واحدة هى « مرقع » .

وفى الساعات المكرة من يوم الاثنين أول أكتوبر ، بدأت الغارات
والمنغمة السورية فى التحرك أماما من مواقعها الخلفية .. لكى
تنتشر فى مواقعها نقاط الحدود الاسرائيلية . لأن الموارىخ المحصنة
لصابها كانت قد أصبحت موجودة فى أماكنها بالمعمل ، وهى
الصواريخ التى به دايى إليها والنس — هكذا انركت إسرائيل الآن
— كانت متصلة سظام مبيع للدفاع الجوى بطول حمة الحدود .

وبالمسة لنقط المرائنة فى المواقع المحصنة لحط بارلس .. عليهم
تنبهوا فحاة للشط المتزايد حلف الحصون الرملية المرتفعة على
الشاطئ المصرى . وفى يوم أول أكتوبر شوهدت قافلة من ناقلات
الصواريخ وهى تدخل الى مخينه الاسماعيلية . وفى وقت ما . تم
سباع صجيج طاور مدرع . أن مجموعة من النشاط المصرين
تماحط بالقرب من جبهة المياه ، وشوهد صاحب مصرى برتبة « عبيد »

وهو يقوم بتفحص طویل للمشهد .. من خلال المناظر المكررة ومركز
مصري للمراقبة .

وفي الأيام التالية وصل تمركز من المتسللين المصريين ، لكي يقوم
برفع أعمده في الأرض قرب حافة الماء .. بينما قام عدد من عربات
شق الطريق بشهيد الأرض . ولكن لا شيء من هذا خلق شعورا
بالصاحه . غمى كل مكلى آخر على امتداد الشاطئ .. كان المصريون
حريصين على الاحتفاظ بمظاهر تؤكد ان كل شيء يسير بطريقه
عاديه . ان جنودا غير مسلحين جلسوا .. كما هو معتاد .. على
الشاطئ .. باقدامهم مدلاه في المياه الباردة . ان المراكاتورات
استمرت في عملها المحلي لتكبيس السدود الرملية . والحمامي
المنظم يظهر كل يوم وهو يروي حدائق الفيئات المهجورة في ضاحيه
الاسماعيلية .

لقد كس هذا هو يوم ٥ ي ٤ - يوم العرو - باتص خمسة .
ان اسرائيل كانت غير قلقه لو منعه . فمن المركز الاسرائيلي
للمراقبة على قمة جبل هرمون - الذي يبلغ ارتفاعه سبعة آلاف
قدم - كان الجنود الاسرائيليون يستطيعون ان ينقوا النظر شرقا
الى مسامه تصل حتى دمشق . وينظروا أسفل واسفل الى المدفعية
السورية التي تكتسب في غير سرعه على امتداد السهل الصحري
المبسط أسفل عيونهم . ان السوريين استعملوا نكاه شديد هذه
الحقيقة : ان تمنعهم كانت تتم في تشكيلات دفاعية . ان الدبابات
السورية اتممت مواقعها في خنادق .. وهو الشيء الذي يتهافتاومة
هجوم .. وليس لشيء هجوم . في منفعيتهم الموهلة تم وضعها
في الحلف لكي تعطى الأراضي السورية وليس الاسرائيلية .

بل ان بعض الوحدات التي كانت سوريا قد وضعتها في منزله
مناقة على الحدود الأردنية قد تحركت الى الحولان . ان هذا

« انقذهم في الموات » كما لسمته مصادر اسرائيلية عليمة . كان
مجرد اعلان اللوايا الطيبة نحو الارمنين في أعقاب الثوارب ، الذي
بين البندس . ان أحدا من الاسرائيليين لم يتوقع ابدا « مسطرة »
سورية .

وفي اليوم التالي — ٢ اكتوبر . او يوم « ي » ملكس ١ — من
سوريا قامت باستدعاء الاحباطي . وخلال الاربع والعشرين ساعة
الليلة ، رأى مراقبو الأمم المتحدة في محطة قناة السويس ضابطا
مصريين على الشاطئ . . يوجهون العمليات لرحالهم . لا مدر
الامر . خلال كل مستويات القوات المسلحة — من قائد الجيش
الى قادة الفرق الى قادة الألوية ، واحدا الى الوحدات لمقاتله .
نقد تقرر القيام بعملية مدر .

وكان هذا هو يوم « ي » يوم الهجوم — ملكس ٢ .

في يوم الأربعاء هذا — ٢ اكتوبر — عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي
اجتماعه الوحيد في الاسبوع السابق على « يوم كيبور » كل
الاجتماع محصلا لبحث مسئلة « شومو » . ان مسر مائير رئيسه
الوزراء قد عادت لتوها من ستراسبورج — حيث مرتت هبطه كانت
شوي ان تلقى امام المجلس الاوربي حول النزاع الاسرائيلي مع
العرب . . ودلا من ذلك تحدث ارتحاليا لمدة ساعتين ونصف ساعة
من جافته « شومو » . بعدها عادت الى اسرائيل عن طريق غيب . في
محاولة عقيم لاتقاع المستشير كيرسكي بتفسير موقفه . ان على
الحكومة الاسرائيلية ان تقرر الان ماذا يجب عليها ان تفعله . ان
الاشارات المحدرة بالقول للخشود العربية لم تتم تذكرها في الاجتماع
مطلقا . لقد كانت معرومة فقط لعدم محدود من رملاء مسر مائير
المتربين للمعية .



في القاهرة ، بتلسيق ملائم . عقد مجلس الوزراء المصري أيضا اجتماعه الوحيد خلال الأسبوع .. يوم الأربعاء - مناقشة حميدة للمشروع المقترح بالوحدة الانضباطية بين مصر وليبيا . وفي مصر ايضا لم يعرف أعضاء مجلس الوزراء ملاحضات العسكرية الخطيرة . في الواقع .. أصبح من الواضح الآن ملما لتعقيدا عدا صباط التخطيط ورؤساء أركان الحرب ووزراء الدفاع في مصر وسوريا .. وربما الأردن - قل ما لا يريد عن سعة مقل ، هم الذين كانوا يعرفون الحطة . على امتداد العالم العربي كله . ان القضية ربما تكون هكذا السجلات .. الأسد . حسين .. الرئيس العراقي بومدين . فيصل ملك السعودية . ان الأخير تم احضاره في زيارة سرية قام بها للسجلات .

ان السرية ضرورية للعلية .. بقدر ماكل التدريب على الهجوم مهما . ان قائد سلاح المهندسين المصري ، العميد علي محمود ، كتب ، فيما بعد عن أي رحاله قد قاموا بملابته هجوم تدريسي على نموذج منقح لحط مارليف . ويضيف الفريق أحمد اسماعيل ووبر العربية « كانت هناك تيارات المياه في الأرض الى اسطحها والتدريب . لها نفس قوة تيارات المياه في قناة السويس » . انهم حتى تدربوا على الصبور على قناة السويس نفسها - عند البلاح شمال الاسماعيلية . حيث تقترع القناة لمسافة اجمال قليلة الى قرائين ، وكانت مصر ما تزال تسيطر على كلا الشاطئين للقناة العربية .

والاكثر حدة من هذا كله كانت استراتيجية مصر الحذاعية . ان أحمد اسماعيل قال فيما بعد في كل حرب هناك حططن .. احداها حطة للعمليات .. وخطة أخرى للحذاع . واعتقد أننا نحيا .. غلقت وضعنا خطة الحذاع على المستوى الاستراتيجي والعسوي .. ووضعت لها توقيتات وحدائل سارت حيا الى حب مع حطة العمليات وتوقيتاتها وجداولها .

أن وكلفة المحادثات المركزية الأمريكية ربما تكون قد وحدث
التدريبات فاطمه مفرحة أكثر . مثلا . . هل عزموا أن أحمد
اسماعيل كان يرسل لواء كليليا في الصباح . . ولا بعيد منه سوى
حراء مصر . . حولي ثلث الحدود . في الليل . . « لكن يسطى
انطباعا من القوة كانت في مهمة تدريجية وقد عادت بعد أن استنها .
في الحقيقة . . أن ثلثي القوة في كل مرة كلب يبقى في ميدان القتال .

ويقول الفريق أحمد اسماعيل . « انني قررت أيضا تأخير إرسال
معدات المصور الى أقصى حد ممكن . عند كل مؤكدا أن خروج
هذه المعدات من مخازنها ككبل مقبض العدو الى يوايان ولقد صمما
لبعض هذه المعدات صناديق خاصة لا يشعر أحد أن اللواري
المحمية التي تحملها هي لواري مهمين . ثم ربما لهذه المعدات
خفرا على حطب الفناء سرت إليها نور وصيرها في الليل . .
وبالإضافة الى هذا كله . . نشرت صحيفة « الإهرام » القاهرة
هيرا يقول أن ضبط الجيش بتنظيم الحصول على أخبارات
للتنام بإداة البصرة .

ولكن أكثر عمل فعال قام به المصريون للسوية كان . مثل
السوريين . - ضربة حكيمة للصليل . عند قال المصريون لأعضاء
السلوك السياسي الأخص في القاهرة أن مصر مستعد ضد ضربة
إسرائيل بموتهم . . انتقلنا لحادث « شوبو » .

أن هذا لم يكن بعيدا عن الصواب تماما . بل أنه ربما كان
صحيح بالفعل . أن لدينا معلومات تقول أنه قبل أن يبدأ الحرب
باربعة أيام فقط ، كان دافيد اليكازر رئيس أركان الحرب الإسرائيلي
يحطط للتلصص يمثل هذه المرة الاستجابة .

في يوم الثلاثاء ٤ أكتوبر - يوم « ي » ماقص اثنين - حصلت وكالة المخابرات الأمريكية على مرصتها الأخيرة . لن مجلسها الرئيسي الذي يسمى « مجلس مخابرات الولايات المتحدة » . اجتمع إلى الحبوب من واشنطن في مقر وكالة المخابرات المركزية في « لانجلي » بفرجينيا . . لكن يناقش مؤالا واحدا . هن ستقون هناك حرب أ ممد تقارير ٢٠ سجنير كل كينستر وزير الخارجية يسأل مكتب محاسرات وزارة الخارجية يوميا حول معاط محددة . ان المكتب كن يقوم يوميا بالمرسلة معلومات وسارير يوميه الى حوريف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الذي بمحمل مسئولية دائيه من الشرق الأوسط . وفي صباح الخميس طلب كينستر من المكتب تقريراً جديداً شاملاً عن تقديراته الكامله

ونكن ، بينما كانت وكالات المخابرات مرصجه وتلقه في احصاء مجلس المحاسرات ، عن المخابرات الاسرائيليه كانت متفرال بمقتضة بقراعه للنوايا لالعربية . ومصرف النظر عن التقدير المربع الذي ينظر به واشنطن الى المحاسرات الاسرائيليه - علي مجلس مهابرات الولايات المتحدة قرر في اجتماعه انه ما دام الاسرايليو هم - في النهاية - الذين سيواجهون أقصى العقوبه في حالة فشلهم - فلن آراءهم لاند أن يكون لها وزن خاص .

لقد كان من الواضح أن الاستعدادات العربية المتصاعدة هي الموضوع الرئيسي . ولكن ، من المهم هنا أن المصوبة الأكثر قربا من الاسرائيليين . . وهي وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية « انيتاجون » - مازالت تجادل حتى في الطبيعة النهديمية لثلاث الاستعدادات . (من وقتها . . تم قتل المسؤولين الثلاثة السكر في الشرق الأوسط بالوكالة) . وفي وقت لاحق من مساء نفس اليوم ، أرسل مكتب مخابرات وأبحاث الخارجية تقريراً الى كينستر يقول

فيه أن الرأي الجماعي لأجهزة المخابرات كلها .. هو أنه ليس من المحتمل وقوع حرب وشيكة .

ومع مراعاة فرق التوقيت بين واشنطن والشرق الأوسط — الذي يبلغ ست ساعات — فإن التأكيدات الأخيرة من مجلس المخابرات مع شليبيها إلى كيمبتر في نفس اللحظة تقريبا التي ينتهي فيها يوم الحبس وبدأ يوم الجمعة في الشرق الأوسط .. حيث أصبح ثاسا بصورة أكثر أن الحرب أصبحت وشيكة . وفي يوم الحبس ، في وقت متأخر من الليل .. تم سد مداخل الطرق حول المصاحبة العيلة « الرمالك » .. تلك الحديقة البلية التي هي المقر المتصل للعلوميين الاحفاب . أن أسر المستشارين الروس سحر بوجهت — في قاعات من السيارات الرسمية إلى المطار .. وبدأت في الرحيل . بعدها بساعات قليلة جدا بدأ نفس العمل في دمشق . وفي نفس الوقت .. خلال الساعات المبكرة من صباح الجمعة .. أعدت المدفعية السورية انتشارها — في تشكيلات هجومية .

لقد كان هو يوم « ي » يوم الهجوم باتص واحد .



أن هذه الساعات الثلاثين الأخيرة قبل الحرب هي المرحلة الأكثر حرجا في عدم استعداد إسرائيل . لأنها أيضا ظلت حتى الآن الأكثر مبهوما . أن هذا يرجع أساسا إلى أن حكومتى إسرائيل وأمريكا تشعران بالحيرة الشديدة مما حدث . أن إسرائيل كانت مطمئنة بشكل غير عادي — حتى هذه المرحلة — في إدراك أن الحرب قد أصبحت وشيكة . وحيثما عرفت إسرائيل أخيرا .. على أمريكا أنصتت بمنزلة تأثير بالآلة تتصرف .

في صباح يوم الجمعة هذا .. حاولت القوات الإسرائيلية أن تستعد .. أنها كتبت في حاله ناهب بعد ساعة أليم .. أي منذ تحدير نمان في الحولان . والآن في الساعة الحادية عشر صباحا ، لهم دافيد اليعثر رئيس الأركان بـ « أعلى حالات الاستعداد العسكري » كما قال هو فيما بعد — وكذلك بالقاء كل الأبحاث .. وتحدير الوحدات بأن من المحتمل استدعاء الاحتياطي .. أيضا تم تنبيه بعض كبار الضباط الموجودين في الاحتياطي بالاستعداد . أن الرجل الذي سوف يكون ، هو الذي يمبر قناة السويس أثناء الحرب — الجنرال ارييل « أريك » شارون تم استدعاؤه من مزرعته القريبة من بير سبع إلى مقر القيادة الحربية في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا . أن شارون كان حتى يمسح المسح فائدا لجهة سيما ، ثم عندما جاء إليه في المرقية ، استقال لكي يدخل ميدان السياسة ولكنه ظل في قيادة تشكيل الاحتياطي . الآن — تم إطلاعه على صورة استطلاع فوتوغرافية للحشود المصرية واسعة المطاق لحداد عبور القناة . أن شارون قال فيما بعد « أسي أشرت ضباط وحدتي بأنني أعتقد أنه سوف نكون هناك حرب خلال يوم أو يومين » .

مع ذلك ، غنى كل مكنى آخر كان هناك ضباط نظاميون ، برتب كبيرة مثل قادة أولوية ، لم سم شيههم بشكل ما . ومع ذلك على القوات المسلحة كانت تستعد .

لقد أصبح السؤال هو : ما الذي سيقطه الحكومة الإسرائيلية ؟

أن الإجابة غير العافية على هذا السؤال هي أن ممر مقرر ووراءها لم يملوا شيئا حتى مساء الجمعة . وحتى حينئذ .. قرروا عدم استدعاء الاحتياطي (المبح لها أحد المصادر العسكرية أنه كان هناك بالفعل اجتماع غير رسمي للوزراء في صباح يوم

الجمعة ، وأنه بعد ذلك الاحياء رعمت برحة استعداد الحش. ان كل المستقر لآخرى نصر على انه لم ين هناك احتياج للوراء حتى الماء .

في مجلس الوزراء الاسرائيلي - كما في اي مجلس وزراء آخر ، ملي مددا المسئولية الجماعه بتجاهل الحقة العملية من ان بعض الوزراء هم أكثر مساواة من غيرهم . ان « وزارة المطبخ » . كما تسمى اسرائيل هذه المجموعة الداخلية من الوزراء المرسي لجولدا مائير . تختلف في تكوينها . ولكن ، في الحاسبه والنصف من ذلك المساء . مع بداية الظلام وصلاه « كول سدرى » في أرخاء اسرائيل التي ترمو الى بداية يوم كيبور ، القدس يوم في السنة اليهوديه . . احسب أريعه وزراء في ماتب مصر مثير مجمع الحكومة قبل ابهيه . كل الوزراء هم ' مسر مائير نفسها وايحال آلون نائب رئيسه لوزراء وموشي دايان وزير الدفاع ، واسرائيل جاليلي الوزير بلا اختصاص . ان الأخير غير معروف تقريبا خارج اسرائيل . ولكنه واحد من المقربين الى مائير وتثق بهم . في لحظة ما . . سواء مع بداية الاجتماع او بعد بداية قليل . . لحق بالأريعه رئيس الأركان السابق حاسم بارليف الذي هو الآن وزير للصحة . . وكذلك رئيسي الأركان الحالي دافيد اليعئزر .

ان السؤال الرئيسي كئ هو : هل يتم كسر الهدوء المتعس ليوم كيبور باستدعاء الإحتياطى ؟ لقد تم اسناد قرار صد ذلك . ان المهوم الرسمي الذي قيل لما هو انه لا أحد من المصعبين أنشق على هذا القرار . لما الحقيقة نهى لن اليعئزر كئ يريد استدعاء الإحتياطى . . ولكنه غلبه على لمره ما خطه سمير غيطا .

ان اليعئزر قال في ١١ نوفمبر ' لو انه تم استدعاء الإحتياطى قبل الموعد الذى اسقدمي فيه بأربع وعشرين ساعة او اثنين

وأربعين ساعة .. غال الحرب كانت متصحب بمخلفة معر شك .
انه اضاف الى ذلك مقطه متفحرة ، وهى أن عدد القتلى كان
سيمصح اقل ايضا . ولكنه فى لاهله قال مستخلفا ما حدث :
« ان القرار تم اتخاده على أعلى مستوى سياسى وعسكرى . اسأ
لن معرب ماذا كانت الحرب سمشب مطلقا .. لو أسأ كنا قد
استدعينا الإحتياطى » .

وفى عملية اتخاد القرار .. يبدو دور « دايلى » هربا . ان مسر
مثير الحث فى حداث لها مالتيفريون الاسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر
بقولها « حيسا جاء الى شحص ما من سلطته اقتراح التمنية ..
فتنى وافقت على المور » . ان الشحص الذى له هذه السلطة
هو وزير الدفاع . أن دايلى دافع عن نفسه فى اجتماع للصباط يوم
١٤ نوفمبر بقوله انه فى يوم الجمعة لم يكن يعتقد انه ستكون هناك
حرب و « أسئ لم اكس الوحيد الذى أعتمد ذلك .. ولم اسمع من
أى شحص يقول أن الحرب كانت فى ذلك اليوم على وشك أن
تشب » .

ولقد كان هذا صبحا . فحبسها كل الوزراء الاسرائيليون
وحفظون بطريقة منقطعه اثناء الليل .. فانهم كانوا أكثر اعتيلا فى
البدايه برحيل الروس منهم مالحضود العسكرية . أن دايد اليمارز
ونيس الأركلى ، طلب اتخاد اجراءات احتياطية فقط .

ولكن فى الساعة الرابعة صباحا من يوم السبت .. تمرق هذا
السرور ..

ان لجهة الانذار الاسرائيلية والأمريكية التقطت اشترات الرامبو
التي لا تحطىء ، والتي تكشف عن الاستعدادات المصرية الأخيرة
للحرب . ان هيئة أركلى حرب الاسرائيلية استخلصت ان الحرب

« وشبكة وحشية » . أما المعارز رئيس الأركان ، فقد أصبح يفتوح الآن أن يقوم السلاح الجوي الإسرائيلي بشن صدمة وقتليه عند النجس .

إن حولنا مثير امتزجت على هذه الحطة . وكل الحوف من رد العمل الأمريكي هو السبب المسيطر على تفكيرها . أنها قالت المعارز . « كم من الأمعاء سيظلون معنا لو معانا هذا » . أن رئيس الأركان ، وربما مارلبو أيضا ، عاد إلى مانشتها معاطفة : « في كل مرة نقرر فيها أن يأخذ آراء الآخرين في الاعتبار . فانا نضع نحن ذلك مالم . » أن هذا القول يسيبه اليها أحدا المصادر الإسرائيلية . ولكن الضربة الوقائية التي قامت بها إسرائيل في سنة ١٩٦٧ هاجمت الطيران المصري وطائراته محفومة على أرض مطارائها . أن إسرائيل لو قامت بصره مماثلة في هذه المرة . فاسها سوف نغم الآن ضد خصم مسعد . ونحميه شائشه سواريج تائه . وفي أحسن الحالات ، على الإسرائيلي يسيطهم سريق الاستعدادات العربية في سامات ثبله — ولكن في مقابل ذلك سوف يكون الثمن هو خسائر بحيمه يدمومها

أن هذا الجدل حسمه السفير الأمريكي في إسرائيل — كيبث كيتنج — لقد تم اعتقاله في الساعة السادسة صباحا . واستدعي لمقابلة حولنا مثير . وفي الإجماع حذرنا كيتنج من أن إسرائيل لو ضربت أولا . فمن الرأي العام العالي سوف يحمل من المصعب على أمريكا أن تد إسرائيل بمعدات الحرب .

ويبدو أن السفير قد صاع نقطه هذه بطريقة دبلوماسيه ، حيث قال : لو أن إسرائيل لمنعت عن القيام بصره وتائية . . سامحه للحرب أن يقيموا خليلا لا ينقص بانهم هم المحتدون . . من أمريكا سوف نشعر أدبيا بأنها مصطرة للمساعدة » . هكذا وصف لنا

أحد المصادر صياغة السفير الأمريكي . أن التفهيد مارال هو نفسه

وهكذا قررت جولدا مئير أن تلحد المحاطرة . لقد حصل البعازر طعنا على تصريح سعيه الاحيائي . ولأن ، في نفس الوقت ربما تكون اللجة العربية هي الصحيحة . ربما كانوا هم يستعدون للحرب جوما من صربة اسرائيلية . أن مسر مئير سوف تؤكد لهم أن اسرائيل لا تخوي ذلك .

وعلى الفور ، أعطيت رسالة عاطفة الى السفير الأمريكي كينج لاناعها الى كيسنجر . هل يفضل بأن يجبر العرب بأن اسرائيل لا تحطط — بعكس مخاوفهم — لضربة صدهم . ومن ثم وليس لديهم ما يلقون بشأنه . . ؟

كان الوقت ساعتها حوالي منتصف الليل من يوم الجمعة في نيويورك . وإذا كانت مصر مثير قد أملت أن يقوم كيسنجر بهمة الانتاد . . عند باب أطها . فكما قال كيسنجر نفسه لها بعد « لقد تم اخبارنا . بأن اسرائيل لا تخوي هي نفسها الهجوم ، ولكن هذا لا يشير لنا بالضرورة بأن الهجوم العربي كان وشيكا » . ثم أضاف بحسب « ولم يتر أبدا احتمال وقوع أعمال عنوانيه في أي من الميقتات التي حوت مع كلا الجانبين في الأمم المتحدة خلال الأسبوع السابق » .

ومع منتصف ليلة الجمعة ، قرر السناحون أن الحرب وشيكه — ولكن يبدو أنه لم يتم ابلاغ كيسنجر بذلك . وهكذا فإن كيسنجر — شامرا بالثقة في قدراته الخاصة ومقلبا تأكيدات غير هازجه من المحاورات — قام ببلال رسالة لاسرائيل الى العرب بمبر اهتمام محدد . بعدها دخل الى سريريه في الطابق الخامس والثلاثين من برج فندق « والدروف أستوريا » بنيويورك . . متطلما الى عطلة ممتعه في نهاية الأسبوع .

في اسرائيل كمن الوقت هو الساعة صليحا من يوم السبت .
ونفق سباء .. كان ضوء يصرها بالعمل .
انه يوم الاحوم . فنه - احرا - اليوم « ي » .



وحلال استعدادها في الساعة التالية .. فلن اسرائيل - على
الآقل - كانت تشعر بالراحة والاطمئنان من قوة خط بارليف .
انها لم تصرف بعد انه في الساعات الاولى من يوم السبت .
بينما وراء مسر مثير بمجاولون .. سالت في الظلام قوات
كوماندور بحرية وعبرت القناة .. ووضعت كمين من الاسمت
في الانابيب الممتدة من هرايات سرول خط بارليف الى سطح المياه
في القناة .. لند تم اعلاق سلاح اسرائيل السري . ان القصة
لا يمكن اتمالها بالبراز .

ان نفس الوقت سببت مصر سلاحها الحامس ، المسوي ، في
بساطه وسرية . ان استراتيجيه اسرائيل كانت تقوم على اساس
اعتقاد بان المهندسين المصريين سوف يحاصون الى ما لا يقل عن
اثنى عشر ساعة لكي يشقوا مماند السجود الربلية لخط بارليف
قبل ان يستطيعوا نصب الكناري والممار .. وحلال هذا الوقت
نكون قد سبب سمكة الاحبطى الاسرائيلي .

ولكن ، في منتصف سنة 1٩٧١ وحد مهندس شبه في سلاح
المهندسين المصري أن نافورة تنشق منها المياه بصمط كبير ، يمكن
أن تنسف الرمال بعيدا ، بسرعة هي نصف ما حسب الاسرائيليون .
ان مصر تستعد الآن لكي تقوم بتعويض مئلات من الخرطوم
والانابيب ومضحات النيران .

وفي الثانية تمليا من معد ظهور السبت - ٦ اكتوبر - شنت
القوات المصرية والسورية هجومها المشترك : عملته بدر . لقد

وتعقب إسرائيل في الصيد .. بعد حبس المواطنين الذي ملكه ..
وبعير حظها الرئيسي للدفاع .



أن العرو المصري لمياء مدا في تمام الساعة الثانية بالمصيط
من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر - مريم موحات ساحقه من
ميران المدفعية التي تطلق من قلب مجمع محمية بين التكنمى الرملية
حلف الشاطئ، العرس لقضاء السويس . أن الهجوم الذي ملا ذلك
كان مركزا على ثلاثة محاور تحت القنطرة في الشمال .. حول
الاسماعيلية في الوسط .. جنوب البحيرات المرة نحو مدينة
السويس . ومن المدهش ، أنها حققت مفاجأة كاملة . أن رئيسي
الأركان الاسرائيليين دانيال دافيد العازر ، بسبب هذا عيب بعد الى « مثل
حصى في ملاحظة الأمر الصائر بحاله » ذهب تصدى في بعض الرتب
الصعري « . أن الحقيقة هي انه لا يبدو أن احدا أضر الحدود على
الخط الأمامي للضربة من الحرب وشيكه الوقوع .

كان الحود المحضدون في خط بارليف هم من احتياطي اللواء
١١٦ الذي يسمى « لواء القدس » . سمه الى دوره في غزو
القدس في حرب سنة ١٩٦٧ . أن معظمهم رجال أعمال موسطو
العمر . أن اللواء تم إرساله الى هناك لكي يحل محل الحامية
النظامية . ولكن ، حتى اللواء ١١٦ لم يكن في قوته الكاملة ، لقد
أعطيت أجازات كثير من أفرادها المتمسكة في مناسبة يوم كيور .
أن مسر متأخر طلب منها بعد انه في يوم ٦ أكتوبر ، كان يوجد في
خط بارليف أقل من ستمائة جندي . (تتطلب الحط الاسرائيلية
وجود عدد محم هو عشرة آلاف .. في هذا الحط) .

وحينما أسي الهجوم .. كان كثيرون يفسلون ملاسهم .. ومن
المعروض أنهم بهذا كانوا يستمعدون من أعمالهم في يوم كيور من

المهام العسكرية الروتينية . آخرون كانوا يصلون . أن أحدهم —
الحمدى أنسورغر — كان في زيارة مقبلة إلى درجة أن الأعيان
افترضت أن الحزم نوع من الحلفاء المحلي المارسل و — مدعومين
إلى مراكزهم الميدانية — استمروا في صلاتهم . أنه يقول
حيثما كنا — في مراكزنا — سنهل إلى الله . . اسمي يا إسرائيل . .
فإن كل شخص حتى الذي لم يلاحظ شيئاً ، اسمي أيضاً في الدعاء
بهماس وحرارة ضخمة » .

في الواقع ، ربما يكون هذا قد حدث . سيما أبريل ثمانه الأربع
جندي مصري من المشاة أرسل الشواطئ الرملية . . منطلعين
فوق المياه في قوارب من المطاط . . على الإسرائيليين هوجتوا بأول
اكتشاف مرعب : أن أسلحة تحويل المياه إلى حديق من السير . .
لن يعمل .

فتحت كل بقعة تربة في خط بارليف كانت توجد سلسلة من
خزانات النترول معب الأرمس وأنابيب تصل بين هذه الخزانات . .
ثم وصل منها أحداً إلى موهات مريضة تحت سطح المياه . أن
مضاحاً في كل بقعة تربة يبدأ عملية الصبح لكي ينشر النترول
ونشر المواد الملقحة منه فوق سطح القناة في طبقة شملها
حيث قلته حرارية . . وبالتالي ، تحول أبه قوه مصرية مهاجمة
إلى رماد .

أن المصريين يعرفون هذا . لقد تسلب وحدات استكشافية
عبر القناة ، واكتشفوا الأنابيب . أن اللواء سعد الدين الشاذلي
رئيس الأركان المصري قال مؤخراً : « كانت مشكلتنا الأولى التي
يجب أن نتطلب عليها هي كيف نتعامل مع منظر القناة وهي تتحول
إلى جحيم بمجرد أن يبدأ العبور . أن التجارب التي قمنا بها بينت
لنا أن محاولة إطفاء مثل هذه الالهب سوف يتطلب مما صنف

ساعه على الأمل .. حتى مع انقراض انه لن يسه اللقاء المزيد من
المواد الملتهمة » .

ان المصريين فكروا في ضرب حرامات البترول هذه بالمغميه ،
ولكنهم استطلوا العكره . « ان الاستكشاف بين لنا ان العدو قد
حرر المواد الملتهمة بكميات محدب الأرض كوسيله لحمايتها ضد
ميران المغميه » . ان هذا النظام كان مؤنبا للعابه . هكذا قرر
المصريون . عند موهات الانابيب في اللقاء . وهذا يقول الشاذلي
« كانت خططنا هي ان نرسل مجموعات لسد هذه الانسب
بالاسمنت » . ان احمد اسماعيل وزير الحربية والمند العام يضيف
ان مجموعات من قوات الكوماندوز شتلت الى السعه الاخرى
يوم الجمعة — ومن المحتمل ان يكون ذلك قد تم لبلأ . ويقول أحمد
اسماعيل « ان رجالنا سدوا هذه الانسب مصر ان يترك العدو
ان هذا كان جزءا من حطة أشمل » . ان الفريق أحمد اسماعيل
أعطى هذه المعلومات وكثيرا غيرها استمعاها ها — في حديث ممتاز
مع محمد حسيني هيكل ، رئيس التحرير البار للصحيه القاهره
صف الرسيه « الأهرام » .. اللوا ، الشاذلي يحدث مع صحفه
اخرى هي « الإصرار » () .

وقد حدث في مكان واحد ان اكتشف الاسرائيليون الحريب في
صباح السبت . ويقول الفريق أحمد اسماعيل « أنهم جاءوا
بمهندسين لاصلاح الانابيب » . ويضيف الشاذلي انه كان المهندس
الذي همم هذا النظم و « .. وقد شهد أثناء استجوابه بأنه وصل
الى المنطقه في رحله تفريشة قتل يوم واحد فقط » . انه كان
مؤكد — واحدا من أوائل لسرى الحريب . وكما يقول الفريق
اسماعيل بفخر : « انه كان ما يزال يباشر عمله حينما وجد جونا
تحتة فوق رأسه » .

١) بمجرد أن مشرت أخبار قتل هذا السلاح الإسرائيلي السرى . . انكرت سلطات تل أبيب . . في معلوماتها التي تعطيتها للبراسليين الاسرائيليين العسكريين ولصحف النشر - انكرت اهيئته أن وجهة النظر الاسرائيلية هي أن اسرائيل كتبت قد قامت محارب على هذا المظالم معلا في سنة ١٩٧٠ - ولكن سمى أنه نظام غير فعال . وهم يدعون أن حركات السرول كتبت عرصة ليران المدفعية ولكن في سنة ١٩٧١ - هكذا قال الاسرائيليون - وضعت وحده على شاطئ القناه - مناسب وهيبه ملقاة في أماكن أخرى بهدف تخويف المصريين . ولكن - وهذا هو السؤال - لماذا يتم وضع نظام غير فعال ؟ وفي محرد نقطة واحدة ؟

معد الكارثة . كانت وجهة النظر الاسرائيلية المهدئة . . هي أن خط بارليف كان الهمد منه محرد ؟ سلك شينك ؟ . . أو . . ؟ هو ببساطة شائعة متقدمة لمحار النظم المصري ؟ كما يقول السفير الاسرائيلي في برينطانيا ميشيل كوماي . أن الحقيقة . كما قال الضباط الاسرائيليون بفخر للمسحبيين خلال رحلات لهم في سبناه قبل الحرب هي أن خط بارليف الذي تكلف ١٠ مليون حسه استرلىس - بهجزه وحقول العامة ونقطه الحصينة في المؤخرة ومراكز مدفعية - قد اعسر مبعا وحصينا . أن السبب كان هو أن شواطئ القناه منحدره للعامة . . والمدود الرملية الاسرائيلية مرتفعة للعامة (تعمل الى سبي قضا) - بحيث أن القنابات لا تستطيع أن تعبر القناه الا فوق كملرى .

أن الثغافلى رأى السبب في أن دايلى كان قد ضا بأن أى هجوم مصرى عبر القناه سوف يتم هضمه والفضاء عليه خلال أربع وعشرين ساعة . أنه قال : « لقد أدلى دلمان بهذا التصريح ، كما اعتقد ، على أساس حسابات بأن مهتسبها سوف يحتلزون الى

أربع وعشرين ساعة لاقية كبرى . وإن المعدات النملية (مثل قوة دبابات ملموسة) لا نستطيع أن نغير القعدة قبل ثمان وأربعين ساعة .. وهو وقت كاف بما يسمح بوصول الإحتياطى الاسرائيلى المدرع الى الجبهة » .

ولكن .. فى ست ساعات حاسمة ومحمية فى يوم ٦ أكتوبر .. أظهرت مصر أن الإنكار .. رائد الأسطحة الحديثة .. يمكن أن يحطمها هذه الإستراتيجية الإسرائيلية ..

ولدهشة الاسرائيليين فى حصول خط بارليف . ما كل جندي مصرى تقريبا من الذين هاجموا راحقين الى اعلى الجبال والسلاالم الحشبية التى سم وضعها لسل الصفه الاسرائيلية بواسطة يهود الهجوم الأول . كل يحمل معدات غير مألوفة . أن بعضهم كان يحمل الأنابيب فوق كتفيه . آخرون حملوا حقائب معدنية أو من الحيش .. أما فى أيديهم .. أو مطلقه فى ظهورهم . (طبقا لقول للشاذلى ، على كلا منهم كل يحمل معدات من تين سى و ٧٥ رطلا) . أن هذه الموجات الأولى من الحدود لم تحاول أن تستولى على المواقع نفسها — مهددة كانت مهبة الوجه الثانية . أن المهمة الرئيسية لهذا الهجوم الأول كانت هى تغيير القنات والمدمية الإسرائيلية المنقومة فى حضرات حلف خط بارليف تماما .

أن الأنابيب التى كان المصريون يحملونها .. كانت مواسير مدفع اطلاق قذائف صاروخية أسمه آر . بي . جى . ولكن القنات كانت تسم إنكارا أكثر تعقيدا الصاروخ الروسى الموجه المصاد للذبابات الذى يسمى « ساحر » .. والذى يتم توجيهه طوال المسافة الى أهدافه بواسطة اشارات يرسلها الحدى الذى يطلقه عبر موجات نقيقه تنتشر خطب الصاروخ فى طيراته .

ان الدبابات الإسرائيلية قد أصبحت بالعمل تحت سبل من سران
التصنيف المحرمة التي يطلقونها من خزانها الرملية على الضفة
العربية للقناة .

الآن بعد ان أصبح الوقت مدحرا جدا . ادرك الإسرائيليون
معنى هذا النشاط المصري المفترق الذي كان محرقا خلال الصيف .
انه لم يكن لمجرد شمر وقت فراغ الحدود . ولكن . كما قال أحد
امساعيل لهكل . لائمية تحدييات * تادرة على رصد مواقع العدو
والسيطرة على الضفة الشرقية بين سيطرتها على الضفة
العربية * . ومن المنير للسحرة . ان نصف العدد المقرر من
الدبابات الإسرائيلية . كان هو اليهود دائما عند القناة — لأن
الدفعه والعواربع المحرمة استكت معظم الدبابات الإسرائيلية
التي كانت هناك في خلال دقائق .

ان هاويشا يعمل في طاقم إحدى الدبابات . وفي الثانية
والعشرين من العمر . وأخير الثمر . . كان موجه للطلق
الإسرائيلي . انه كالي في الدبابه المتقدمة حينما تحركت وحده
بجسوس نحو القناة . وعلى مساعه ميم قبل تقريبا من حافة المياه .
فلقت ضامه عاروها انطلق من ضامة مصرية حائبة طيف الماريس
المصادرة ، مقتل قائد دباباته في المرح وخرجه هو قليلا . انه هرب .
لكي ياتخذ مكان رجل اسب محراق حظيرة في ذبانه اسرائيليه
أخرى . هذه الدبابه . أيضا . أصابها ثلاثة عواربع ممرامة .
ان الضامة تحترق تماما . . والهاويش الإسرائيلي يبدل جهدا كبيرا
لكي يرحل حارحا من الضامة . . بينما الحجرة داخل الضامة بدأت
تتمحر .

في الساعة الثامنة وسبع دقائق أعلن راديو القاهرة : « بيان
رقم ٥ بحث توافقا في الانتشار على قناة السويس في مطاعات

عديده ، واسولت على نقط قوية للحدو في تلك المناطق وقد رفع العلم
المصري على الضفة الشرقية للقناة ... » . ان السانكس الأربعة
الأولى تناولت شوب القتال .. مطررة ادعاء ظاهرا من اسرائيل
هى التى بدأت القتال .

ان فرق الصواريخ المصرية بدأت الـ فى ناسق وانظام —
الى انجاز مهمتها الثانية . ان جا اسماء الشادلى — « عربات
صغيرة بسطيع الخوذ اسحداها فى حمل المعدات الثقيلة » قد
تم الـ بقلها عبر القناة . وببما بدأت الموجه الثانية بالهجوم على
خط بارليف بالقنصل اليدوية ، والدخان . والمدافع الرشاشه ،
والقتال اليدوى .. فى فرق الصواريخ حملت العربات الصميرة
وانطلقت فى الصحراء الى مسافة سلح عشره ايجال . وهك حفروا
الضائق لأنفسهم . واعادوا جميع صواريخهم المصادة للذبابات
.. واهرجوا السلاح الثالث والاكثر تعقيدا بين كل لسلاح المدفعية
الجديدة : الصاروخ الروسى المحرك المصاد للطائرات « سام ٧ »
.. الذى يقترب من اشعاع الحرارة تحت الحبراء لعادم الطائرة
النفائة . ان مهمة فرق مدفعية الصواريخ اصعبت هى — كما
يقول الشادلى : « ان يشتروا بهراكرهم ضد الهجوم المضاد الذى
تقوم به الذبابات والطائرات لـد تترأوح ما بين ١٢ و ٢٤ ساعة
.. حيث تكون خدائنا ولسحقا للتقبة قد عبرت القناة » .

لقد كانت هذه هى المرحلة التى يمتد عليها موسى دانان لتأخير
المصريين بما يكفى من ممكن احتياطى اسرائيل من التمثل . ولكن
مضائل سلاح المهمين المصريين ، تحت قيادة العميد على محمود ،
احصرت تقدير دابلى الرمى الى قتل من النصف . ان الشادلى
شرح كيف تم ذلك .. فيقول : « كانت المشكلة هى حاجر الرمال ،
لكنى يتم عمل شعرة واحدة معرض حوالى ٢٤ قدما عبر هذا الحاجز

وعدا هو الحد الأدنى اللازم لمرور قنبلة سهوله ، فإن هذا مسماه
— هكذا تقريبا — تحريك حوالى ١٥٠٠ باردة مكعب من الرمال .
ويحق بمصاح الى فتح سقى ثغره بهذا الشكل على الضفة
الشرمية — أى سبعين ألف باردة مكعب من الرمال . ويحسب أن
ستكر اننا نحن أيضا كنا قد سبنا بدأ رمليا خلال السنوات الست
السابقة للوقاية ضد أى هجوم مفاجيء من العدو . ان هذا أدى
الى مصاعبة حجم مشكلنا » .

ويقول الشاذلى : « كانت فكرتنا الأولى هي أن نستخدم
المتفحرات » . ويضيف أحمد إسماعيل التفاصيل : « فى خلال
تجاربنا لازالة هذه الحواجز حرسا استحدثنا مدافع من كل الأحجام
، ولكننا لم نحصل على ما كنا نأمل فيه » . الشاذلى يكمل :
« لقد تمسكنا بالمتفحرات حتى منتصف سنة ١٩٧١ . حينما أتمرح
ضابط شاب من سلاح المهندسين أن نستخدم المياه تحت ضغط
ضخم . أن هذا الأسلوب أثبت ثقوته .. واستطاع بيكينا من فتح
ثغرات خلال فترة تتراوح بين ثلاث وخميس ساعات » . ولو كان
المصريون قد استخدموا المتفحرات ، أو العربات الكاسحة ، فى
الوقت امامهم كان سيسمح سحق تلك الرمم .

وبيضا الحراطيم تنجح بالرمل بمعددا . يشرح الشاذلى .
« كان علينا .. فى نفس الوقت .. أن نستخدم متفحرات ووسائل
أخرى (بغرض أنها فنيات كاسحة الرمال) لكن يصبح من الممكن
الاستراع فى اقامة الكبارى » . وهذا أيضا استطاع المهندسون
المصريون — بمساعدة الخبرة الروسية — أن يحطموا الحسابات
الإسرائيلية .

ان الوسيلة القديمة فى نصب الكبارى واتامة الصور هي
عملية معقدة .. تعتمد على حشد صور من الروارق فى صف

واحد مثاله مائية . ان عبور القناة بهذه الطريقة — كل سيسغرق من المصريين ساعة على الاقل . ولكن الروس ، في مواجعتهم لانهار عديدة فيها لو حدث مطلقا ان قرروا عرو اوربا توصلوا الى ابتكار حديد . ان عبور قناة السويس كلى هو المرة الاولى التى استخدم فيها هذا الابتكار انشاء القنال . ان الكومرى « بي. ان. بي » كما يسمى ، هو عبارة عن سلسلة من حصور الروارق على شكل صناديق . . . يتم حمل كل واحدة منها على عربة محرورة . ان انحراف هندوليكية على العربة تقوم بنزال الجسر الى المياه . ثم تاتى عربة اخرى لانزال حصر آخر ، يتم ربطه بالاول . . . وهكذا . وكما يروى الاسرائيلويون الاحياء من خصومهم . « ان الجسر كان يتم فوق المياه كدراع ممتدة » . ان الس « بي. ان. بي » يمكن اقامته على 15 قدما في الدقيقه . ومن ثم . فان قناة السويس يمكن عبورها في اقل من نصف ساعة .

ولقد كانت هناك ازمة واحدة رئيسية بالمسبة للهجوم المصرى . ان الجيش الثانى المصرى كان يسم حسب الجدول الرسمى في مصب كبرى واقامة حصور العبور حول الاسماعيلية والقنطرة ، ولكن ، في الصحوب ، واجه الجيش الثالث المتعاقب . ان حاصر الرمل الاسرائلى كان اعقب بكثير مما توقعه المصريون . . . وارض تسمع استخدام الحصور الحديد « بي. ان. بي » . . . وقى الساعة الحامسة بعد ظهر نفس اليوم كلى الجيش المصرى مازال بواجه العقبات . ان احمد اسماعيل وزير الحربية اتخذ اجراء شديدا : « اننى ارسلت قائد سلاح المهندسين نفسه (العبيد على محمود) الى مواقع عبور الجيش الثالث . واعطيه تعليمات بان يجر العمل باى شئ . ان العمل تم احتازه . بالرغم من ان نائب قائد سلاح المهندسين استشهد بينما هو يحصر موق احد الحصور » ، لقد اصابته ضربة جوية اسرائيلية .

وحى معير تلك الأزمة .. من الميل الذى قام به المهتمون
 المصريون كل خارقا . وطبقا لما يتولاه الشاذلى منه « فى فترة
 تتراوح بين ست وسبع ساعات على غصائل مهندسها بفتح
 سبى نعمة ، واقاموا عشرة حور ومصبوا خمسين مصرا » .
 ان هذه الأرقام لم يكن مذكروا ان ارادها أحمد اسماعيل — انه
 كل يعتقد ان عشرة حور لا تعطيه ميبا كانا ضد التدمير
 بواسطة الضربات الجوية او قصف المدفعية الاسرائيلية — ولكن ،
 مع بداية الليل يوم السبت . كان واضحا ان سرقة مدفعية
 الصواريخ بحفظ مواعيدها و مواجعه اول هجوم اسرايلى معلا .
 لقد لاحظ الشاذلى ميبا بعد « ان دايان اخطا في الحقيقة حسابيه
 مقدرة المدفعية على محاربه الدبابات والطائرات التى نظير على
 ارتفاعات منخفضة ، وقدرتها على النشت بالارض غرات طويلة
 بعمر معدات ثقيلة » .

ان الطريق اصبح ممهدا الان لصور المدفعية المصرية

وفى هذه المرحلة — ايضا — كان المصريون قد استعدوا ودرسوا
 اتق تفاصيلها . « بعد اللحظات الاولى للهجوم تمت اقامة اسلاك
 الاشيرة عبر القناة . لقد استحدثت الوان مختلفة لكي يحدد لكل
 وحدة طريقها .. وقد تم تدريس قوامنا على هذه التفصيل قبل
 العملية » . وتحت غطاء الظلام ، بدأت خمس سرى محربة و
 المتدفق عبر القناة . وبعد حلول منتصف الليل يوم السبت .. بعد
 عشر ساعات من الحرب .. كانت مصر قد حشفت على الضفة
 الشرقية لقناة السويس خمسمائة دبابة وشبكة صواريخ متقدمة .
 لقد كانت هذه هى اعلى نقطة فى انجاز مصر العسكرية فى
 الحرب .

ان عدم كثافة الهجوم الاسرائيلى المصلد فتلحت المصريين . ان
 الشاذلى — بتجرد محترف — لاحظ ان « عنصر المفاجأة كل

ظاهرا في الاعتقاد الى التضييق والاستجداء من جانب العدو لهذه
يومين على الأقل » .

ان الاسرائيليين المضمهين الى ما حدث هم اكثر مرارة من تلك
.. فالرغم من حالة التأهب التي وضع فيها الجيش الاسرائيلي
قبل ٦ اكتوبر عشرة ايام .. قبل المصنعة كانت غوصي . ان حوالى
عشرين في المائة من ضلالت اسرائيل كانت في حسالة كاملة من
الصيانة والاستعداد . ضلالت اخرى كثيرة ، من المفروض ان
تكون حاضرة داخل عربات نقلها في قيادات المدفعية كانت متفرال
في حالة « شربته » - مواسر مدفعيتها مثلا مطلية بالشمع ضد
حمى الصحراء .. المخرون من القذائف كلى محطسا .. ثم كانت
هناك صعوبات شحن سيئة . ان محص افراد أطلق الذخائر من
الاحتياطي ذهبوا الى النزال بسف نوبهم من « الحيرة » ..
وحسبما كانت الذخائر حاضرة للذهاب .. كانت هناك وسائل نقل
قليلة - وكثير من هذه لمسا كانت تحت الإصلاح .



في المبدأ ، كان الهجوم المضاد الاسرائيلي الاول مضطربا
ومشوشا وجتهورا - كتاب ضلالت افراديه تلف وتدور الى الامام ،
لكي يتم صرمها على القصور بواسطة المصريين . لقد كان
الانهيار في التسبيق واضحا هنا لسا ، ولكنه أكثر قابلية للمدر ،
لا اسرائيل في مواجعتها للهجوم .. كانت تحفظ في مساء
بـ ٢٣ ساعة فقط ، وهي من طرازات أمريكية « أم - ٨ »
و « أم - ٦ » في اللواء المدرع الرابع عشر . وفي مواجعتها
للضغوط على امتداد الجبهة ذات المائة ميل .. فإن اللواء الرابع
عشر كل من المحص ان يتعثر في وحدات صميرة .

وكانت هناك وحدات مشاة تواحه بقى المشاكل . لقد احمرنا
خياط اسرائيلي كبير تمبا بعد مائلا " " لم يكن هناك جيش اسرائيلي
واحد في سيناء .. ولكن حيوش عتيده .. كل واحد منها يفعل
ما محلو له " . ومن المؤكد انه كانت هناك حالات — خصوصا مع
هبوط السلام في هذا السبت الأول — اطلق فيها الاسرائيليون النيران
على بعضهم البعض .

ولكن أكثر المشاكل عموما هي التي تتعلق بالدفعيه الاسرائيليه
الثقلية . فخلال الساعات الحرجه من تلك الايام الأولى .. كانت
الدفعيه الاسرائيليه تصرب قذائفها في صحراء حاويه كيفما اتفق .
فحلف حط بارليف .. كانت الدفاعات الاسرائيليه الرئيسيه و
سيناء هي مدفعيها الثقليه .. التي تطوف على امتداد طريق اقيم
حميصا وبسر بمخاداه للقناة على بعد خمسة عشر ميلا شرقا
في الصحراء . ا حلف هذا يوجد طريق اجر لكى ياخذ الامدادات
للدفعيه) .

ان هذه المدفعية الثقيلة طويلا المدى كانت تعتمد نهاما و
نصوبها ضد الاهداف المصلية على الحدود الاماميين في خط
المراقبة .. وانظم القليل .. او الجود المعروين في الخط
الامامي داخل مخبئهم وما رالوا احياء . ان كل نقطة قوية في
خط بارليف لديها مخرب خاص تحتفظ له بحرائطها وكتاب ضم
للتشفرة يتم عن طرقة احتار سراج ورموز كل هدف قبل نقلها
للراديو . ان رساله موجهة في هذا الصدد هي مثلا : " اصروا
قذائف بتركيز على نقطة ج " .

ولكن .. في الانحطه الى مثل هذه الرسائل خلال الايام الأولى
من الحرب ، كانت المدفعية تكرر دائما سرب النقاط الخطأ . ومن
الواضح هنا .. انه اما ان انظم المدفعية كتقوا يستخدون هرائط

محتلثة .. أو شغرد ورمورا محتلثة عن تلك التي يستعملها
الضود الأمايوس . لقد كتب هناك - حتى - حواش قام فيها
الإسرائيليون بتصف حدودهم هم . ان موقعي حميس الى جانب
القناة يهب امامها نفس الطريقه . لقد تم احباريا بحادث قارب
تبه وهذه دبلات اسرائيليه مطلب مسانده المدعنه .. وبم مصمها
هي نفسها ، مما أدى الى موت طاقم دبله القناده . وربما جناسين
أخريين .

ومع ذلك .. بعد عشره أيام كان مجرى الحرب سغير . ان
الاسباب الكافله لذلك هي ، حتما ، فوق حدود مثل هذا التحليل
ولكن .. في التحليل الأخير فال السبب الرئيسي لذلك كان هو ان
مصر صيغت النصر الذي كان في متناولها بعد الأربع والعشرين
ساعة الأولى من القتال . وفي هذا البدهور كتب هناك بقطه
تقول .. الأولى كانت هدلا خرجا من الاسرائيليه داخل القناده
المصرية . والثانيه كانت فشل حطة سلام امريكيه سلب بطريقه
فعلية بجهود نصر هريي .

ان احمد اسماعيل وزير الحربه المصري قال : « بالنسبه لي
.. كانت الصلاه أهم من التفك .. خصوصا اذا كان الامر
بمتصلا بهربه » .

وكما كتب « هريي نقر » مراسل « النيويورك تايمز » في القاهره
يقول أثناء المعركه . « ان الجيش المصري التمسق بصاد بقطه
استراتيجيه وكتيكيه شامله ومتوقمه . ان المتحدثين العسكريين
يصرون على انه لم يكن هناك ابتعاد عن الحطة .. لا ارتجالات
ولا مبادرات من القادة المحليين بغير تفويض سابق » .

كل هذا هو التكمير المصري ، أو متعبر احمد اسماعيل وزير
الحربه المصري : « ان الحرب هي حوار بين تخطيط وتخطيط »

ان أحمد اسماعيل الأ في الحليمة والحسين - كان في مقدمة كل ثورة أركان حرب حصرها . وبالأصغر الى تلك ماته حارب أيضا في أربع حروب . ان ذكر ماته عن حرب سنة ١٩٦٧ . حسا الى جنب مع ابيه بالخطيط . كان لها أكثر تأثير فعال على ادارته لحرب أكتوبر . لقد أصر محمد حسين هيكل في حقيقته معه * ان ذاكري ما زالت محبل صورة الموقف جيمند . . لم تكن هناك جبهة ، ولم يكن هناك حبس أيضا . كان كل شيء مخططا ومهيأ .

ان ذلك الوقت كان ملارم أحمد اسماعيل . . مثلا كانت حائل بريطانيا المحمية والمكره في الحرب العالمية الثانية تلامر القادة البريطانيين . لقد قتل أحمد اسماعيل * ان تامين قواتي كان شاعلي الأول طوال الحرب الحديدة . ربما كان هناك من راوا انه كان عليا ان يقوم بمحاطر أكثر . انني كنت مستمدا لاي محاطر ولاي مخفيات . ولكني صيحت باستمرار على هدف رأيه أيام عيسى واجيسته في ضميري : المحافظة على قواتي . اني كنت أعرب الجهد الذي أعطته مصر لاعادة بناء الجيش . . كنت اعرف معنى ان تفقد حبشيا . . . مصاء أن تستسلم مصر . واد استسلمت مصر فقد صاعق في هذا الجيل والجيل لاحقه .

ربما كان هذا هو الذي جعل أحمد اسماعيل يقول ميا بعد . بالمسبة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ : * هل لم استطع رؤية الفرصة ؟ ان الموضوع المسبة لى لم تكن مسالة مصرى . . وانما كان مسالة حسابات . وميها وحدث من تعرض سفو متاحة أيضا . فقد كان على الا أمانر . . .

بعد ذلك ذكر أحمد اسماعيل الممرات النفسية لهذا القرار : * اتنا بذانا العملية في حمليه شبكة الصواريخ الشهيرة . وادا كان على أن اتقدم بعدها . فقد كان لابد - سواء كانت هناك تعرض

يرأها يرى أو حتى أراها بنفسى . ان انتظر حتى اتأكد ان توانى وراءها الحملة الكاسه .. كفى لاند ان اعطى الفرصة لخرعاتى بالدحول . وكل لاند ان اعطى الفرصة لصواريخى المحركة المعقدة للطائرات بالدحول .

ولكن اقوى سبب فى التقص بالنسبة لعدوات على الصمصه الشرعية ، كلى هو ان مصر صنعت ماكثر من سمائة نسلة الى سباء .. واحتط أحمد اسماعيل بحمصينه ذبانه عرب القناه ضد احتمال هجوم حوى اسرائيلى يأس من الحلف .

ان أحمد اسماعيل يستطيع ، وقد حدث هذا مملا . ان يتولى انه هو وحده مهم ان استراتيجيه المسلات لم تغير بمد احتضاع قمة القاهرة فى العاشر من سبتمبر وهى . استخدام الحرب ببساطه .. كوسيلة لاشمال أزمة مالية خطيرة بما يكفى لاساع القويى الاعظم بالى الموقف فى الشرق الاوسط اكبر خطورة من ان يظل بلا حل لوقت اطول . وساء على ذلك على أحمد اسماعيل لم ير هناك حاجة لمباردة اسرائيل عبر سباء .

ان عملية « بدر » تطلبت اقلية رلى جسر فى سباء بحق يطلع حوالى مشربين مملا .. حيث الملاحح الطبيعية .. محملها رواب رمليه .. سوف تمد القوات المصرية بحط دفاع مقتطع ولكن صالح للعمل . ان أعمال الانقلاب الاسرائيلى يوم الأحد حاولت حرمان مصر من تحقيق هذا الهدف . وبحلول ليلة الاربعاء . أصبح رئيس الحصر المصرى مبتدا بشكل مثير بطول قناه السويس كلها .. ولكن عمقه كلى يبلغ فى اقضاء عشرة لميال .. اى اكثر قليلا من نصف ما كلى بحص تحقيقه .

وهكذا ، مان اسرائيل أصبح عليها ان تركز على نقطه واحدة : ان تحرم القوات المصرية من اكتساب عمق كاف ومرى فى سباء ..

ضد الصعوط الاسرائيليه العسكريه . لقد كانت هذه هي النقطة
التي سيجاول اريك شارون ان يسيطرها بعد ذلك بأربعة ايام ..
حينما قام في بداية الأسبوع الثاني من الحرب بعبور القناة .

ولكن الأمر كان غير ذلك تماما .. ومشكل لانت للنظر إليها ،
غنى نهاية الأسبوع الأول من التسلل .. بدت اسرائيل معبدة للحاجة
عن كمسب الحرب . بحيث أن حكومة مصر مائت . تد على حافه
الموافقة على أن تعرض عليها وقف إطلاق النيران .. بشروط تعضى
للسادات مصرأ مؤكدا .

في منتصف يوم الأحد - ٧ أكتوبر - والحرب قد مضت عليها
أربع وعشرون ساعة فقط .. استقل السفير البريطاني في مصر
السيد « ميليب أدامز » سيارته الرولز رويس في صباحية مصر
الحديدية بالقاهرة . لكي يرى الرئيس السادات في مقره الحربى
بقصر الطاهرة . أنه وجد الرئيس خالسا .. سد مصره عن النافذة
العريضة التي تطل على حنيمة القصر . ومحميا عليه . ان
السادات قال ملاحظته عليه عن المنظر أمامه بعدها سميت طويلا
.. كسر الرئيس السادات حذره أخيرا . عندما قال للصغير في
سرور « حسنا . ما الذي جرى ذ » ان « أدامز » لم ير الرئيس
السادات من قبل بمثل هذا الاسرحاء .

وعندما يعود حتما إلى السفارة البريطانية بالقاهرة .. فسوف
نجد أن « أدامز » ترك هناك لقائات من الترتبات التي تمطيه آخر
المعلومات عن الجهود الدولية العاحلة .. التي تبدل بهدف وضع
مشروع لوقف إطلاق النيران عن طريق الأمم المتحدة . والآن ،
فلن « أدامز » بشير - بشكل حذر - السؤال الخرج : هل سيهتم
الرئيس السادات بداء بمصره مجلس الأمن لوقف إطلاق النيران ؟
ان الرئيس السادات كان ملأى المراج .. ان لم يكن غامضا .

هذا الموضوع ليس محل مناقشة . في هذه المرة ، سوف يكون المشروع الوحيد الذي تهتم به مصر لوقف إطلاق النار .. هو الذي لابد أن يكون مغارما لسوية طويلة المدى . ان الأساس الوحيد المقبول لذلك سوف يكون غنام اسرائيل منطبق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ - وهو الذي أصدرته الأمم المتحدة في سنة ١٩٦٧ وتطلب فيه من اسرائيل الانسحاب من الأراضي التي كسبتها في حرب الأيام الستة .

ومن ثم .. أصبح جوهر عملية البحث عن صيغة تقبلها مصر لوقف إطلاق النار هو كيف يمكن للمصممة على اسرائيل من أجل أن تقبل ، مورا ، بمسود القرار ٢٤٢ ؟
ان هذا يعتمد على ما اذا كانت أمريكا سوف تقوم بإعادة امداد اسرائيل بالأسلحة .

ولكن وزير الخارجية الأمريكي لم يهرك . وفي يوم ٢٦ أكتوبر تولى هو صياغة موقفه هذا بملهزة .. معنفا قال ، « أثناء الأزمة كان الرئيس أ بيكسون .. يتنمنا بأن أمامنا مشكلتين رئيسيتين - أولاهما .. ان منهي الأعمال العدائية تسرع ما يمكن ، ولكن . ثانیها .. ان منهي الأعمال العدوانية بطريقة يمكن من المساهمة في إزالة الظروف التي أدت إلى أربع حروب بين العرب واسرائيل خلال الخمس وعشرين سنة الماضية »

ان كيسنجر كان يريد . بكلمات أكثر خشونة ، هزيمة اسرائيلية محدودة . ان الفقه تمثلي في حساب المدى الأمثل لهذه الهزيمة . ان هذه الهزيمة لابد ان تكون .. كثيرة بما يكفي لأرضاء العرب .. مواضعه بما يكفي لمنع حدوث انتشار دعائي للروس .. معتدله بما يكفي لأحمار اسرائيل التي ماتده المؤثر .. محتلة بما يكفي لئلا تنهار حكومته حيلدا مثل وحلول الحشوم من جناح اليمين مطها .

وفي مناسبه هذه الامفرانسيه - رمض كيسنجر امدادات السلاح لاسرائيل . ففى الساعة الثلثه وعشر من ثققة من بعد ظهر يوم الأحد ٧ أكتوبر . تلقت النعنه العسكريه الاسرائيليه فى نيويورك برفقيه بالشعراء من السماره الاسرائيليه فى واشنطن . ان الرقعة كانت تقول ان الرد الأمريكى على الطلب الاسرائيلى الأول من أجل الأسلحه كلى « سلبياً » ان كيسنجر مازال يتصور ان اسرائيل سوف تكسب الحرب . انه احمر الرئيس السادات فيما بعد بقوله « حينما سمعت انكم هاضيمه . قلب لىسى مساكين هؤلاء العرب . انهم سيجرحون مدوف منطحه بالبناء . وهذا سوف يبرند حلما ماى أمل فى السلام . مكرها حدث من قبل » .

ومع وصول يوم الإثنين ٨ أكتوبر . كان كيسنجر مازال متجهما لوقف إطلاق النار على اسنى العوده الى مواقع ما قبل السادس من أكتوبر . ان هذا الانفراج كان يرمى اسحاجا هربيا من جانب واحد . لقد كلى اتمراخا هربيا . ومضحكا ، بحيث انه لابد ان يكون الاسنى فيه هو سوء فهم كابل لبحرى الحرب .

ولكن ، مع مساء الاسنى . كان واسحاجا العرب وحاويون جيدا . والاكثر محبا من ذلك .. ان المسلكه نفت كيا لو أن روسيا قد قررت ان محومى عمل الممعة الى جانب أعدائها العرب . ان الرعيم الحرسى السومبيى ليوئمى بريجيف كان يستحث الدول العربيه الأخرى - مثل العراق - على الاشتراك فى المعركة . ولقد كلى تحليل المرور النحارى الروسى عبر النرجيل .. يوحى بأن المحمود الروسى لاعادة امداد العرب .. قد بدأ .

ان كيسنجر مضاهم جيدا مع السفير الروسى فى واشنطن ، أناتولى دوبريىن . ان وزير الخارجية الأمريكى يتحدث الآن ، فى ضغطه على دوبريىن ، عن الآثار المدمرة التى ستعقبنى بها

العلاقات السوفيتية الأمريكية .. فيما لو أصبح القوتان الأعظم
متورطين في الحرب .

ولكن استراتيجية الرئيس السادات كانت هي الضغط توريط
القوتين الأعظم ، بالرغم من أن من المشكوك فيه أن تكون هذه
الاستراتيجية محل تقدير الروس .

أن التقارير المطبوعة افقت على أنه — كاستحالة للحرب
الجوي الروسي الذي بدأ في وقت متأخر من يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر
— فإن بيكسون وافق مبدئياً على عمل حصر جوي أمريكي
جائل في يوم السبت ١٢ أكتوبر . أن الحقيقة هي أنه ، في يوم
الثلاثاء ٩ أكتوبر ، أصبح ضغط الدوائر اليهودية الأمريكية على
بيكسون ضخماً — خصوصاً الضغط الذي قامت به مجموعة من
الشيوخ ينزعهم « جاكوب حافيتز » عضو مجلس الشيوخ في
نيويورك .

ولقد كان هذا الضغط فعلاً ، ففي السابعة وعشر دقائق من
مساء الثلاثاء تلقت البعثة العسكرية الإسرائيلية في نيويورك
برقية أخرى بالشرطة من السفارة الإسرائيلية في واشنطن . أن
البرقية تحذرهم بأن السفير الإسرائيلي « سيمكا ديبتر » قد رأى
الآن الرئيس بيكسون .. وحصل منه على « ضوء أحمر »
بالنسبة لشخصات السلاح .

أن أكثر تفسير محتمل لذلك ، هو أن بيكسون وكيسجر كانا
منقسمين في الرأي . بيكسون يميل للضغط المحلية .. وكيسجر
مازال يحاول أن يستخدم أمدادات السلاح كوسيلة ضاغطة يحصل
مها على منازلات من إسرائيل .

أن الحصر الجوي الروسي إلى سوريا تراجعت حركته خلال
يوم الأربعاء . لقد هيكلت طائرات شحن البضائع الضخمة

« أنتنوبوم ١٢ » على أرض المطار العسكري قرب الأنار الرومانية
في ماليرا شمال شرق دمشق . أما طائرات الانتنوبوم ٢٢ —
الاطول مدى — فقد طارت الى القاهرة . ان حملاتها — طبقا
للمصادر الاسرائيلية — كانت أساسا صواريخ « سام ٦ » .

أما في واشنطن ، فقد مالت الحكومة الأمريكية بشكل محبب في
مدى هذا الجسر الجوي . . رغبة أنه يتكون من سمين رحلة في
اليوم . . وأنه أرسع الى ماته رحلة اسداء من يوم الجمعة . ان
المتحدثين العسكريين — في لوسهم للبحارات الحاطنه — بعدرون
الآن بأن الحسر الجوي الروسي « . . لم يكن وانرا او خطيرا الى
الفرجة التي تصورهاها في البدايه » . ان نفديراهم انظمت
— بعد المراجعة — الى ثلاثين رحلة يوميا في موبد الطريق لبدء
الحسر الجوي الأمريكي . . بأن المالمت ساعدت كثيرا ، مع
ذلك ، نفى انلظه التي انزلت فيها التوت الى الاعظم الى الحركة
. . مجح كيسهر .

ان شروط اسرائيل من أهل المواقفة على وقف اطلاق النار
كانت هي أن يعود كلا الجانبين الى خطوط ما قبل المدمس من
اكتوبر . . بما يمي في التطبيق — انسحابا عربيا من جانب واحد .
ولكن ، مع ليلة الارمء ، تمت اسرائيل المدرعات السورية طما
الى خطوط سمه ١٩٦٧ . في يوم الخميس . . بيما فلباتها
تتمقي داخل السوريي ، حرمت اسرائيل حطة أخرى . ان مسر
مثير سوى نواقم الآن على وقف اطلاق النار . . على أساس
ان تقوم بمعالجة مكاسبها السورية ، بخسارها في سباء .

ومرة أخرى كان هذا يمي ، في التطبيق ، عودة الى مواقع
السلامي من اكتوبر .

ولكن ، مع يوم الجمعة .. أصبحت حاجة إسرائيل الى أسلحة جديدة مسألة وحادة الى شرحه انه بدون هذه الأسلحة الحثثة ملي تكون إسرائيل قادرة على الاستمرار في الحرب أكثر من أيام قليلة . ان كيسنجر اضطر مصر لمثل أخيرا الى قبول شروط أكثر حشونة .

لقد وصف كيسنجر هذا الجزء غميا بعد بقوله " كى اقتراحى هو ان أحصل على وقف إطلاق النار في المواقع القائمة حينئذ - وكما كما اعتقد في يوم ١٠ أكتوبر .. لم يكن سهلا التقدم لإسرائيل باقتراح لوقف إطلاق النار عند خطوط ١٠ أو ١١ أكتوبر . ان مصرضتهم لما كانت تبصر بالمحيط .. لأنهم تصوروا أنه بعد ان اكملت لهم المعونة المالية .. فنتهم سوف يكونون قادرين الآن على تغيير محرى الحرب . ولكنهم .. وافقوا في النهاية . " .

ولكن المصادر البريطانية تقول ان الأمر لم يكن سهلا بهذا الشكل . فمن جانبهم كان الإسرائيليون مبالون بمصر - ولكن كيسنجر أصبح واثقا الآن من انه يستطيع ان يفرض تلك الشروط عليهم . لقد قام السفير الروسى - دوبريدين - بعد المشاور مع موسكو - بمخاض كيسنجر بأن الروس مأكدون من ان السادات سوف يوافق هو أيضا على وقف إطلاق النار .. على أساس هذه الشروط .

ان سوء التقدير هذا .. أدى الى براع ضخم من بريطانيا وأمريكا .

فى وقت متأخر من مساء يوم الجمعة هذا .. اتصل كيسنجر بالسفيرة البريطانية في واشنطن ، ونقل اليها مسودة الصفقة التى توصل اليها مع إسرائيل . انه اتفق مع دوبريدين على أن بريطانيا سوف تقترح الآن في مجلس الأمن بالأمم المتحدة .. مشروعها لوقف إطلاق النار .. على أساس الرجوع الى القرار رقم ٢٤٢

كأساس للتسوية في المدى الطويل . ولكن الجزء العاقل الآن هو
الدعوة إلى وقف إطلاق النار مورا في الواقع الحالية .. وتلك
هي الجملة الخرجة . أن أمريكا وروسيا سوف يؤيدان ذلك مورا
واسرائيل سوف تعلن استمداها للأدلى . وطبقا للروس ، نحن
السادات سوف يوافق على انقضاء موانه في سيده . هل يمكن أن
نقدم بريطانيا بهذا المشروع ؟

لقد كان الوقت في لندن بقرب من منتصف الليل ، أن ورارد
الخارجية البريطانية بعد أن درست المشروع ، شعرت بالحيرة .
أن بريطانيا غير راضية في جميع طائفتها ومعارضين علاقتها
بالسادات للخطر .. من اقترح وقف النيران ساء على شروط قد
بجدها هو غير مقبولة . ولكن « أدھر » كان قد أرسل تقارير
صلية من القاهرة من السادات - الذي رأى برات عبدة بمد
الحرب - أن يوافق على مشروع موثقا إطلاق النيران .. إلا إذا
كان ذلك جزءا من تسوية طويلة المدى . أن كيسنجر يقول الآن
العكس . أن أول شيء لابد من عمله هو مراجعة الموقف مع
الرئيس السادات .

لقد عاد « أدھر » إلى قصر الطاهرة بالقاهرة في الرابعة صباحا
من يوم السبت لقد كان السادات مستيقظا تماما وكان قد انتهى
لثوه من توديع السفير الروسي في القاهرة غلاديسر فيبوجرانوف ..
الذي كان يسمح عليه من أجل قبول الشروط التي أمنت عليها
روسيا مع كيسنجر . أن الممثل الروسي وهو صدي كيسنجر ،
هو أن مصر قد حققت هدفها السيلسي : أن القويين الأعظم سوف
تقوم الآن بفرض تسوية طويلة المدى .

أن الرئيس السادات رفض هذا المشروع غاضبا .. على
أسس أنه بحلول من أية ضمانات معادية . وقد أدرك السفير
البريطاني هذا الموقف من الرئيس السادات خلال أقل من دقيقتين .

معددا ساعات قليلة .. قامت السفرة البريطانية في واشنطن
ببلاغ احاد بريطانيا الى كيسنجر - لمن هناك معنى في السعي
لسميد هذه الحطة . لان السادات لن يقتلها . ان كيسنجر انحر
صالحا . كفى يحرق البريطانيون على ملتصقة ما قاله الروس
لكيسنجر ؟

وهكذا اعادت وزارة الخارجية البريطانية « آدمر » الى
السادات في الرابع من مساء يوم السبت . ولكن الرئيس السادات
لم يتحرك . ولم يسمع موقفه . وفي ذلك المساء ، قدم رئيس
الوزراء البريطاني « ادوارد هيث » مستنداء السير اليك دوحلاس
هجوم وزير الخارجية واثنين من كبار رجال الخارجية .. الى
اجتماع مشغول بالقلق من في مقره الربيعي . ان المشكلة الآن ليست
مجرد ايدي حرب الشرق الاوسط . ولكن المشكلة أصبحت هي
كيف نحم يهذه ما أسماه هو مؤجرا بأنه « هذا التصدع الضخم
في العلاقات الأمريكية البريطانية » .

لقد قرر المحضون من في غير مساعدة - ان بريطانيا ليس امامها
من اصدار سوى ان يقيم على رخص حطة كيسنجر .. بام يرها
غير قابلة للتسدد . وهكذا طلب دوحلاس هجوم كيسنجر تلفويها
في الساعة الحادية عشرة من مساء يوم السبت .

في نفس الوقت ظهرت جولدا مائير تمحدث على ثلاثة التلفزيون
الاسرائيلي .. ولكنها لم تكشف عن رخص السادات للشروط التي
قبلتها اسرائيل . لقد اسعدت عن ذلك تاليا .. وربما كل يرها
في تلك اللحظة مثل كيسنجر .. لكي تشير الى رعية اسرائيل في
النهاية . لو ان الحرب اقترحوا اي نوع من وقف النيران - هكذا
قالت مائير . مانه « في خلال دقائق قليلة ، مسوب يكون على
مائدة مجلس الوزراء يتخذ قرارا » . انها - حتى - الحث -

الى التنازل الحرج الذي تقدمته اسرائيل ، مشيرة الى اغواج الى انها سوف تنزل وقتا لاطلاق النار مع مصر يتصير قبولاً لعبورها قناة السويس .

وفي لقائه كاث المصحف الحبرية يقول : ان الهدف العاجل الذي وضعه الحود الحريون لانصهم هو اسائه الاسراييليين بافدح الحسكر المبكته .

وكما قال وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر فيما بعد ، لقد فشلت هذه المحاولة الأولى لوقف اطلاق النار في يوم السبت ١٢ أكتوبر وأسمبب بخطئة .. ربما سفسر خطأ بعض الأطراف في تقييم الموقف العسكري .



حينما سطر الى الجيش الاسرائيلى من الداخل ، كانت سوف نجد ان معظم صلاطة الكبار حاربوا معا في أربع جهلات .. أولاها اعمال المصائب في فلسطين قبل اسسحب البريطانيين منها . بعدد سعدوا في سلم الترقيات معا خلال حرب ١٩٤٩/٤٨ ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ . ان سواحى القوة والصعب . والابحار والفشل في كل واحد منهم أصبح معرومة لمعاصريه . ان هذا لم يرك قبرا كبيرا من الاحرام داخل القادة العليا . لهذا كل من المحرم ان يحد - مع امزاج الصباغات المحتللة بها - ان صابطا محببا مقدم في الماصف . تحت حماية هذا القائد او ذلك .. ثم بعد آخرين يدسون مألولا لهذا القائد او ذاك . والى جانب ذلك يوجد مصدر اصاق للاحتكاك الكلبى بين المجموعة العليا للصباط .. يشأ من العملة الوثيقة للجيش بالسياسة .. لأن من المفروض ان يتقاعد الصباط في حوالى الاربعين من عمرهم .. وقد أنجحت حسنة كثيرة منهم الى السيلة ، بعد تقاعدهم ، خلال السنوات الأخيرة .

أن حرب سنة ١٩٦٧ قد شهدت عودة موشي دايان إلى وزارة الدفاع بعد عدة سنوات من الح صفوف اليساري النسي . أن مرور أحد ضباطه المضلين - وهو حليم مارليف - أصبح أكثر وصوحا مع عودة دايان إلى الوزارة . وحيثما حدث في نهاية سنة ١٩٧١ ، أن تقاعد مارليف كرئيس لأركان الحرب . لكن بدخل ميدان السياسة . . . فقد كان من المحتم مريسا أن يحلله دافيد اليماز في منصبه . أن مارليف واليمزير كانا صديقين منذ طفولتهما في يوعوسلاميا قبل أن يهاجرا إلى إسرائيل . . . وثت تشاكت وظلتها البالغة من قرب .

أن اليماز كان احتلرا ماموما لمصوب رئيس هيئة أركان الحرب . . . حتى لو كانت حدوده النتيكية محرومة . ولكن أحد مصادر الانشاق هول ميسيه . من رملانه الأكثر كفاء . كان يركز في أن البذر لا يعتبر « مأمويا » عسكريا فقط . . . ولكنه يصبر أيضا « مأمويا » سياسي . أن هذا مماه أنه مطيع ومسنل لبحال لعل السياسي الحاكم في إسرائيل . وسحة لذلك . فإن المساط دوي الاسماءات اليمية . . . شكوا في وجود تمبير وتفرقة كلما كان يتم تعديهم في الرقعة إلى وظائف القمة . وفي طليعة هؤلاء الذين لم يتصلوا مشقة اضاء آرائهم . . . كان العميد أريل (أريك) شارون .

أن شارون أصبح قائدا للجهة الجنوبية (التي سمى سيماء) في نهاية سنة ١٩٦٩ . وباعتباره كذلك . . . فانه واجه أسوأ وأشد مشاكل حرب الاستنزاء التالية . أنه حقق نتائج طيبة . . . مما حله بتحليل أن لديه فرصة طيبة في أن يصبح رئيسا لأركان الحرب ولكن قيل له بومسوح أن ميوله لا تتماشى مع ماتتطلبه تلك الوظيفة الرئيسية . لقد قرر شارون - في اشمذار - أن يستقبل من الجيش ، وكلئ ذلك قبل نشوب حرب أكتوبر بمحرد ثلاثة أشهر ، والتي بنفسه في ميدان السياسة . . . قائما بهمة لحام اهراب

اليمنى اليانسة في تحالف يسمى « ليكود » . لقد كان هذا انحازا سياسيا لاسا .. حقق لشارون مسحة غورية باعتباره « دايان اليمين » .

ان الصفات الشخصية التي مثلت في ان محبة للتقيدة العليا في الجيش كتبت حليفا خيرا للتمور - من الناحية وميل لخبار - او حتى الاسهية بالآوامر . ان سجله العسكري كان شهرة صريحة للقتال . لقد أصبح معروفا لأول مرة كبؤس وقائد - « الكتيبة ١٠١ » التي كانت مهمتها القيام بمعارات انتقامية . وفي سنة ١٩٥٣ . احررت هذه الكتيبة شهرة عالمية في شبح السبب وسوء السمعة حينما قامت بالرد على عارة ارهابية عربية قتلت فيها امراء اسرائيليه وطمعها . لقد كان رد هذه الكتيبة ، هو قيام شارون وحشوده بسحق قرية اربية كلية .. قاتلين ٦٦ من سكانها .. مصفهم من النساء والاطفال . ومبدأ بعد سحق شارون بقوله « ان الكتيبة ١٠١ لم تكن تعرف انه يوجد اهل يحدثن في المنازل » .

ولكن موسى دايان قدر شارون .. لا دايان كان يحاول في الخصبيات ان يخلق كاندرا في السطاط يكون ملصقهم هي الاستيلاء على أي هدف « بواسطة هجوم ابلبي .. ومهما كان الس في الارواح » . ان هدف دايان من ذلك كان هو استنحراح « مهارة يهودية » من الجيش الاسرائيلي . وصرفت النظر عن ان هذا عمل مشوه من مزاج كثيره .. مانه مصر عن مطرء غير عليمه في سريها على جيش يملك حصونه ارواحا كثيرة بيدلومها . واذا نظريا الى هذه المسألة على املبي من شخصية دايان الماكرو والمناقضه .. مره لم يكن هذا اكثر من تدريب بم تصميمه لقتله الروح الدفاعية التي تولدت داخل الجيش الاسرائيلي في حرب الاستقلال - ١٩٤٨ . ولكن هذه العملية لتبرت تنابا - على الأقل في حالة شارون .

مخلال حملة السويس سنة ١٩٥٦ ، ثم اسقاط شارون مع وحدة من جنود المظلات .. بهدف ازعاج واتلاق المحركات المصرية عبر مصر مثلا . لقد تلقى شارون امرا بالامتناع عن المعركة .. نظرا لان الدواعي المصرية فيه قوية .. ولا هذا كى شيئا لا تقسيمه خطة دايل .

ان شارون حصل على تصريح باخراج « ثورية » . وبدلا من ذلك غانه ارسل فصيلة كبيرة الى اعلى البحر مباشرة داخل مهن مصرى . يعتقد أصبح عليه ان يورط بقوى قواه فى المعركة .. لانتقاد الفصيلة التى تبى انها وقعت فى كمين امده المصريون لها . وبعد خسارة ٢٨ قتيل و ١٢ جرحا - أى أكثر من الخسائر فى كل معارك الانحلال الأخرى للحمله - ماى شارون أحد الموقع . ان هذا كل يرمى شيئا بديما ، ولكنه لم يكن شيئا ماهرا . ولولا صدائة عبرها ثلاثون سنة القامها شارون مع داييد من هوريون .. غانه كلى سيعرض للتأديب مقسوة .

وفى حرب سنة ١٩٦٧ قام شارون بقيادة « أوحد » - أى : قوة عمل - كان عليها أن تقدم فى سيناء عبر الطريق الرئيسى الأوسط . لقد كل من الضرورى الاستيلاء لولا على يلقى الطرق فى أبو محجلة . ولكن المصريين دافعوا عن هذه النقطة بقوة ، وبشكل أكثر كثيرا مما توقعته محاورات شارون الميدانية . ان هجوما اسرائيليا من طراز « الهجوم بأى ثمن » منى بالفشل . وكان على شارون أن يعد الهجوم بطريقة أكثر شيولا . وفى هذه المرة أدار الاسرائيليون هجومهم ببهارة وتصميم .. ومع ذلك فقد خرجت قوات شارون من هذا الهجوم ضعيفة و « محبوبة » .. مع فقدان جزء كبير من قدرتها على التحرك . ان « ادجار بالانس » مؤرخ الحرب - .. استخلص من ذلك ان شارون كل « .. أكثر خبرة بالمعارك الموضعية الثقيلة .. منه بحرب الصحراء المتحركة » .

ولكن شارون شخصيا ، يرى نفسه كومي على التنازل في
الحيش الإسرائيلي . ان المحطوط وعمليات الامداد والتموين ..
تثير فيه الملل ، وهو يعبر عن احتقاره للصراط من طرار بارليف ..
الذين يبررون في هذه النواحي ان هذا الاحتقار يتم التعبير عنه
على مستوى شخصي ان شارون - الذي يشبه في أسلوبه
حياته الخاص راعي سر من كنس - يستند انه من الانحراف
ان يحضخ الحيش الإسرائيلي لقياده سكاني صواح مختربين
يحملون شهادات في الاقتصاد .

وخلال نقاعده المبرد مبدا عن الحيش . ظل اريك شارون في
قيادة لواء احتياطي مفرع .. وبت منته مورا مع بدايه حرب
يوم كيور . ان قيادة الحيه الحويه .. وهي الوظيفة التي كان
فيها شارون نفسه .. اصبح بشطها الى العميد ، شامويل
جوين . الذي كان مانا لشارون نفسه . عندما كان الأخير في
الحيه . لقد اعطيت لشارون قيادة المطاع الأوسط من جهة سيما
.. تحت قيادة « جوين » . وحى بالنسبة لاي شخص آخر أقل
تقلبا من اريك شارون .. على مثل هذا الانقلاب في الأدوار ..
كان من الصعب ان يؤدي الى احترام مريح . وسرعان ما بدأت
تصهر الصداقات في الآراء .

ان الموقف أصبح أكثر مقبدا مع تقدم الأسبوع الأول من الحرب
.. واستدعاء المريد من الصراعات المتعاقدين - ومن بينهم حايم
بارليف نفسه . لقد تم استدعاؤهم لكي يقوموا « مهمات خاصة »
.. لمساعدة القيادات الأمر سما .. والذين كان معظمهم جديدا
نسبيا على وظائفهم . ان بعض كبار الضباط الآخرين لم ينظروا
الى أن يتم استدعاؤهم . انهم بساطه ارتدوا ملابسهم العسكرية
القديمة .. ووضعوا علامات رتبهم .. وذهبوا الى الحيه .. ان

أحدا لم يكن لديه من حدود القلب أو من الاستعداد المطلق ما يكفي
لصرفهم .

إن الجبهة المصرية « هذلولى هزلى » وصفت نتائج هذا استعداد
في اجتماعات مقولها « . . » أن التخصيلات السياسية التي لمعت
أدوارا رئيسية في « الحقبة » الاستيعابية . أصبحت محطمة محبة إلى
البحاوس في ميادين القتال . لقد كلى من المستحيل أن يروى كل
المناسبة بينهم مرة واحدة . أن حقيقة أن الحرب أنت أيضا -
وعنى الأمور - إلى حبل أيدى لوجي حول مدى صحة الآراء
السياسية المخلفة والمعلقة بالسلام والأمن - الحدود الآمنة
ولحواجر الإسرائيلية والقوة الرادعة للخبث الإسرائيلي - قد
ساعتبت في سببه الاحتمالات السلمية » .

أن بؤرة هذه « الاحتمالات » كلى أربك شارون أن رئيسه
الجديد « الحمرال جوبى » . . كان ضابطا شجاعا ومقدرا . ولكنه
كلى معتز إلى أداء شارون . . وهو لم يصرم للتيارات المصادرة
التي يصرم لها شارون . . ويمدونه - من البداية - بدا شارون
بعبيل جوبى باحتمار . . قتلا له . « لو أسي كتب ما أزال في
المبتدة . لم يكن سمح لديك ما نعلمه في هذه الحرب » .



وفي وقت مبكر من الحربية . . أي في يوم الاثنين . . وهو اليوم
الثالث للقتال كانت الوحدات الإسرائيلية ما تزال تستطيع أن تصل
مرد أخرى التي تقط على القنات . أن رؤوس الجسور المصرية كانت
ماتصة في بعض الأماكن . . وغير كثيفة في الأماكن الأخرى . ولكن
« . . أي هدف كلى سيخدمه مثل هذا العمل ؟ أن إسرائيل كانت
تركز على معركة الحولان . وقد بدا على المصريين أنهم يهونون تشتت
وتكتف مراكزهم التي بحروبها الآن . . تكثر من استعمال المايا

المارّة التي لحروها . ان شارون - في مسؤوليته عن القطاع الأوسط الذي يذاع عن المرات - كان يؤيد بحماس القيام بعمل إسرائيلي هجومي مز . انه شرّح ذلك بعد الحرب بقوله « كان هدفا هو اختصارهم (المصريين) في سيناء .. سيما نحن ننتهز للسوريين . اني شخصيا كنت اعتقد ان هذا خط .. وقد عبرت عن آرائي هذه كثيرا .. اني رأيت انما لم يكن بلك مسعا من الوقت . ولقد وحدث ان المصريين لا يسهطون الى الأمام . ولكنهم كانوا يحدقون . وسوف نرى وقت انطلاق النار .. لكن يجدهم حصصتي العمية » .

وبهذا الشكل ، فان شارون كان يركّز مهنيا على نقطتين دائمتين : انه من البداية كانت آرائه تتعرض لنقص متعدد .. وان الوقت في سيناء هلال ملقى الأسبوع كثر حرجا .

ان كلب النقطتين غير صحيحين لقد سمح « حوبي » بشن هجوم إسرائيلي معاد يوم الثلاثاء في قطاع شارون الأوسط .. وكنت النتيجة هي فشل هذا الهجوم .. مع خسارة اللواء ١٩٠ بفعل الصواريخ المصرية . ومن مصائد مصرية .. يبدو ان وسط الأسبوع شهد معركة كبرى في سيناء .. حيث فقد شارون فيها موقع مقر قيادته المنقظم .

وهكذا .. اذا كان موقف شارون ، مع ليل الأربعاء ، قد أصبح أقل ثباتا وبأمينا مما يترسّنه هو من وقتها . فان من الصحيح ان صباح الخميس قد شهد مصرا حاسما في الانتشار العسكري المصري . ان الفريق أحمد إسماعيل - وزير الحربية المصري - قد يرسل الى سيناء الحساسة ثمانية آلاف رجل يحتفظ بها على الضفة الغربية من القناة لحملة مؤجلة جيوشه .. سنة وأصحه ، وهي صرف جزء من المحمود الإسرائيلي المتزايد في الجبهة السورية ..

ان الحتل الذي تبع ذلك بين الجيوش الاسرائيليين يوم الخميس 11 أكتوبر . وفي وراره الدفاع مثل لبيب . وفي مقرر قيادة حوسبي سميناء .. كان محور حول نقطة واحدة هي كيف يستطيع اسرائيل من هذه الحركة الحربية غير الموثقة ؟

عند هذه النقطة لم يكن شارون يدعي مطلقا انه يستطيع الوصول الى القناه .. ولكنه ادعى انما انه يستطيع عبورها محلال المسوات الاربع التي تصافها كفتات للصفه الخبويه وحد شارون مسبقا من الوقت ليفرضه بل حتى ويجهز به نقطة للممر . ولقد كانت آراؤه في هذا الصدد مباشره .. ملقد كان يقول « .. عندما نقوم بنقل الحرب الى الضفة العربيه من القناه . من هذا هو الذي يتمشى مع طبيعتنا . مفرعات سريعه الحركة في أرض مفتوحة صالحة للعمليات بشكل كلاسيكي » .

ان شارون لم يكن حذر فئات ومن ذلك . فانه حصل على مساعدة قوية داخل وزارة الدفاع من اللواء « امراهام مامير » الذي يبلغ التاسعة والأربعين من عمره .. ومعتبر واحدا من أشهر اسين أو ثلاثة في الجيش الاسرائيلي .. مع انه من أقل الصايط شهرة . ان « مامير » يستلذه مسيطر عذبون آخرون من بينهم أحمد العمدة - كان يسمحت القيادة من أجل القيام بممر اسرائيلى للقناة .. على أساس ان الهجوم الآن .. يبين معظم الجيش الثالث (المصري) يتفق من الضفة العربيه الى الضفة الشرقية .. سوف يتأخر ، مفرعاته وهي غير مدعده ومؤخره هذا الجيش غير متبعة بالحمله .

ان آراء « مامير » كانت تحظى بمقدار من الاحترام .. ولكنه كان يفسب اليه الانتقار الى الحيرة القتالية . ان خطة شارون - مامير تم تمضيها من أعلى المسويات : من الثلاث دايبل واليمازر وبارليف

.. والآخر اصبح يعمل مع الجنازير في « المهبات الحاصه » ان
الثلاثة مروا الانتظار .. فكل يوم يمر .. هكذا قالوا .. سوف
يشهد مريدا من المدرعات والطائرات الاسرائيليه الى مركز
محبودها في سيناء .. كما شهد دنانف محاصرة اقل على الصفة
المصرية .. مما يخمس المرضي أمام هجومهم مينا بعد .

اما بالنسبة للهجوم المصري المتوقع . يبدو ان « حوبين » قائد
سبب هو الذي رأى ان هذا الهجوم سوف يبدد القوات الاسرائيليه
بالمعرضه الحاصه لتدمير المدرعات المصرية . لان المصريين سوف
يسلطون في مقدمهم الى الخروج من نطاقات حصاره تسكنهم
العسائريه . ان يهدد بارليف لهذا التقسيم كان خليا في رفض
فترة القيام بهجوم سريع للعبور . وكما اثبت شارون « ان بارليف
قال ان علينا ان نسيطر ونصد هجولهم المدرعه . اسى - اى
شارون - اعيد انه كلى يجب علينا ان نمر القصة وننها . واننا
طبعنا اياها عمدة .

في صباح الأحد الثاني من الحرب قال رائدو القاهرة « نعم
الله الرحيم الرحيم . في الساعة السادسة من صباح اليوم بدأت
قواتنا المسلحة في الهجوم شرقا طبقا للخطة .. ان قواتنا المدرعة
والميكانيكيه نستخدم بمحاج بطول خط المواجهة » لقد كان هجوم
انصر المصري هذا - الذي سبقه قصف من المدفعية المصرية لمدة
سبعين دقيقة - هو الاحتمار الحاسم للقوات المدرعه في سيناء .
وكما تبين الاسرائيليون . على مصر خرجت لمجارب . وكما رأى
حوبين وبارليف .. على هذا الخروج سيج لأطقم الدبابات الاسرائيلية
.. الأهداف التي يبحثون عنها ..

والواقع ان هذا الهجوم لم يف بعد فترة من الهدوء .. لان
القتال كان مستمرا بمرجه أو مخرى منذ اليوم الاول . ولكن هذا

البحوم كان اسبوعا قداميا في نطق اليهود المصري . ان الجسماء دينة الاضطاطيه التي تم عبورها خلال ايام الخمس والجمعة والسبت . . حطت مجموع الدبابات المصريه في ميناء يمل الى اكثر من الف كلمه . . وفي نفس الوقت كانت الدبابات الاسرائيليه تتحرك غربا خلال ممرات سيناء مع تدهور التهديد السوري . وبشكل اجمالي اشركت في القتال مدرعات اكثر مما استخدمت في معركة العلمين الشهيرة . . التي خاضت بينها 1600 دبابة بريطانية وألمانية وإيطالية . .

ان المعط المصري الرئيسي كان في اتجاه ممر الحدي . وقبل ان نتقدم الموجه الاولى من الدبابات الى الالم . . انتم المصريون مسددا من تدافد المدفعية وجهود نحو الاسرائيليين . . كما شن المصريون ايضا هجمات حويه عبيده فوق المواقع الاسرائيلية . ثم ، عند الفجر بالضبط . . تقدمت الدبابات المصريه تحت قطاء صحراء من قنار الصحراء .

في معارك الدبابات تكون لدى المدافعين ميزة المواقع الجبلية سلف . ان الدبابات الاسرائيلية المنتشرة في حفر وحلب كثيبات رملية كانت اقل تعرضا للنصر من الدبابات المتقدمة . لقد قتل قائد دبابات اسرائيلي فيما بعد . « خلال عشرين دقيقة . . اشعلنا الميران في عشرين مقعه » .

انه قال بعد ذلك « ان الموجه الاولى تقدمت عبر واد ، وتسلفت الى اعلى هضبه في الجنوب من مواتمنا - (ربما يكون هذا حل شحقا . . في منتصف المسافه تقريبا بين ممر الحدي والمحيرات المره الصغرى) . ان قواتنا قتلهم على الهصية . . ودارت هناك معركة ضارية . وبعدها ساعه اخرى من انتهاء المعركة . . هاجمتنا الموجه الثانية من الدبابات المصريه . . وكانت

هناك ١٤٥ منها . وحسبنا دخلت في مرمى ميرانا .. حشمت كل
قواي .. وحاولنا اصلتها بكل شيء بملكة .

ان الاسرائيليين يدعون منهم ديمروا ٢٥٠ ضامة في ذلك اليوم —
وهذا رقم مبالغ فيه كثيرا - بالرغم من ان الميليت العربية نسيم
موجود حسبان مصرية كبيرة .

مع ذلك . فان الهجوم كان لابد منه .. لان رؤوس الجسور
ابصرية التي كانت بيد في سماء مصرى سمعة اقبال فقط بدلا من
١٨ كما يمرر الحطة . كانت سلالته ظلمة المص من حيث الذراع
عينا . ان احياسا — حتى وهي ذراع — يجب ان يكون لديها
مستع من الارض سخرت من — اذا اريد لها ان تكون معالة . ان
رؤوس الجسور المشيدة كى مصاها انه في التمثال المثل . فان
الاسرائيليين يستطيعون الاستمرار في تحرير قواهم والحصول على
مراب حاسمة جديدة .. معز حرية مملووية في الماوراء بهنكها
الجيب الاخر — اي المصريون

ان معركة يوم الأحد هذه كانت أهم مواجهه مفرعة على نطاق
سحيم في الحرب . ان السخنة حيلت طلع سياحة لعدة الانتظار
المحسوب بالحذر . والتي طينها الطارر وبارلى وحوشى . ان
الشرح اصبح مبهدا لهم الآن لكي يعطوا اشارد البدء لاريك شلرون
.. الذي ما زال بشد رباطه .. لكن محاول السلام بهجوم مضاد
وخرى عبر القناة .

وكما حدث كثيرا في ملاقات شلرون .. فان الهجوم لم سر
المسيطر كما قرر رؤسائهم . انه نصح .. ولكن : تنزيبا .

لقد أحضر أرمك شارون نقطة لعبور القناة قبل الحرب بوقت طويل . حيسا كان قائدًا لحصنة سيناء . إن هذه النقطة التي أحضرها تقع في موقع عريب . مني بحيرة السمحاق والبحيرة المرة الكبيرة . . يمتد طريق القناة الشمالي الشرقي ميلا أو ميلين شرق الشاطئ . ولكن ، فوق منحل البحيرة المرة الكبيرة بالمسط بوجد طرفين حائشان متفرعين من بعضهما ويتصلان مرة أخرى بجانب القناة . في هذه النقطة ، التي يقع حوض الاسماعيلية الثلاثة عشر ميلا تقريبا . . حلف شارون من السندود الرملية الفخية على الضفة الشرقية . . ووضع علامات من الطوب الأحمر عند انحناء نقطة . وبالتقرب من هذه النقطة أعد أرضا مهيأة للمرات والذبات بساحتها مائه باردة في أربعمائة باردة . . ونحيتها حوايط مربعة .

إن مقر قيادة شارون في القطاع الأوسط كان بالقرب من نقطة اسمها « الطامة » . . شمال شرق نقطة العبور المقترحة شمالية عشر ميلا . لقد كان يوجد تحت مصرف شارون هناك ثلاثة ألوية مخدعة ، يضم كل منها أصلا ما بين تسعين إلى مائة جندي . . ولكنها تانصت بعد أسبوع من التمال . وبالإضافة إلى ذلك . كان يوجد تحت مصرف شارون لواء رابع من المشاة . . يضم قوات مظاهرات . . ثم يوجد بعد مصرفه أحرا قوة خاصة من المهنيين ، بمعدات لتفجير الأرض ، ونقلات متعبة دائمة الحركة . ومعدات للعبور .

وفي مواجهة شارون كتبت الوحدة المصرية المدرعة الحادية والعشرون . . بدبابات تكاد تتساوى في مجموعها مع دبائنه . . وهذه الوحدة هي جوهر الجيش المصري الثاني . . الذي يقوده من الاسماعيلية السيد سعد بلون .

إن المصريين كانوا يسيطرون — بأعداد كبيرة من تشكيلات المشاة المجهرة بالصواريخ — على كلا الطريقين الموصليين من

« الطائفة » الى القنصاء . ان شارون يقول : « كانت المشكلة هي كيف يصل الى مياه القنصاء ونعيم رأس حصر في نفس الليلة . ان علينا ان نعمل ذلك قبل ان يخل ضوء النهار . . لاسا لو تقبنا الملاحاة فسوف نجد مصر شك عددا كثيرا من الذباب يقتظرها على الحائط الآخر » . لهذا . . من الحل الذي اصابه شارون كان سعيه هو . خلا « مقعدا » .

في محرم يوم الاثنين بدأ شارون بشرح لضباطه عملية عبور القنصاء . . فاكرا لهم انه سوف يحمل على مصرح بهذا الهجوم خلال ساعت قليلة . ان المهندس المسئول قال انه لا يملك تحت تصرفه سوى عشرة مولنورورات فقط . . وانه لن يكون قادرا بهذا العدد على ازالة السدود الرملية على القنصاء . . وفي وقت يسمح باتقائه رأس الحصر عند أول ضوء . وهذا يقول شارون : « اننى اخبرته ان يبحث عن علامات الطوبى الأخير . وحيثما هان الوقت لذلك . . يته وحدها وائم الليل » . ان الضريح مالهوم هاء بعد ظهر الاثنين . . حيثما لم يصبح هناك شك في ان المصريين سوف يحاولون التقدم من جديد من رموس حصورهم . ان جوهر خطه شارون كان هو ان يسمح واحدا من لواءاته المتبعة لكي يشغل اسباه المصريين . . فيما تقوم لواء آخر بالسيطرة على الطريق المؤدى الى الجيوب العرس من ممر قلادته في « الطائفة » الى البحيرة المرة الكيرة . ان هذا الطريق (انظر الخريطة) ينصل بطريق القنصاء الرئيسى قبل اثنا قليلة من المارادات ، من مخطى الاتصال الجوبيتين الى نقطة العبور المختارة . ان منطقة نقط الاتصال كانت معروفة باسم المربعة الصينية . . لانه قبل حرب الايام الستة بوقت قصير . . كان حبراء استصلاح الاراضي الصينيون يجرون بجانب هناك لاستصلاح الارض .

ويعتمد أن يتم لتجاوز السيطرة على الطرق ومنع الالتقاء ..
فئة سوف يكون قادرا على إرسال مهندسيه ، والتصالات المائية
الميكانيكية ، وقوات المظلات . لتأمين نقطة العبور والقتال على
القسم الأخرى .. وبعد عبور عدد قليل من الدبابات فوق القنارات
.. يصبح على المهندسين أن يدفعوا بأحراء كوبري قطامي (أي
مؤلف من أقسام مستقلة متجاوزة) عبر القناة .

لقد تم توقيت العملية على أسس أن تبدأ في شمس يوم الاثنين ..
وسوف يكون من العيب أن يمتد هذا التوقيت الزمني بأحراء .
قد كان من المروص أن تقوم الوحدات الأولى من قوات المظلات
بعبور القناة في توارب من المطاط في الساعة الحادية عشرة مساء
.. أن هذا يعني أن الانسحاب الحيوية من قوة الدبابات أمامها خمس
ساعات فقط لكي يعطى طريقا معقدا طوله عشرون ميلا خلف خطوط
العدو .. ولكن بحارب معركة ليلية ، وتتصل مع المهندسين .
وتتقدمهم . هم وقوات المظلات .. حتى نقطة العبور ، أن أحراء
كثيرة من الطريق كانت تحتلها نلال ومطية مجهزة .. والدبابات
هيسا تسير بعيدا من الطريق في الليل .. نادرا ما تستطيع أن
تتجاوز في سرعتها حمصة ليل .

ولكن الحملة بدأ تنفيذها ..

في الساعة الخامسة مساء قام لواء مدرع ، متمركز في شمال
الطريق الموصل بين « الطلعة » والبحيرة المرة الكبرى .. بشن
هجوم عرسي في اتجاه الاسماعيليه . لقد كان هذا هو العمل المقرر
لشبيات النساء المصريين . أن القنال كان ضاريا .. وقد أدى
بالندميج إلى جذب القتل الرئيسي للفرقة المدرعة الحادية والعشرين
شمالا نحو محور الطريق بين « الطلعة » والاسماعيليه .

بعدها ساعة ، في الشفق المنكر ، اتجه هذا اللواء المدرع بعيدا عن الطريق نحو الجنوب . وتحت غطاء الظلام .. استدار غربا و - عبر نخل من المصريين - اتجه عبر الكثبان الرملية نحو البحيرة المرة الكبرى . هنا كلى هذا اللواء بحة الى المخوة بين الجيش الثاني بمقادة مأون .. والجيش الثالث في الجنوب ..

ان مخدرات اسرائيل الميدانية - محسطة بكمائها المعتادة ، قد تعرضت على نقطة الصنف الانقلابية التي تحدث في مناطق القيادة المتداخلة . ان هذا ، الى جانب المهارة الفتيكة لقواد الدسات الاسرائيلية - يفسر الى حد كبير الانتصار الى المعارضة - وعندما وصل طابور الدلمات الى الطريق المحاذي للقناة عند البحيرات المرة .. فقه استدار لكي يتقدم بسرعة نحو الشمال .. بينما مياه القناة تؤمن له حائنه الأيسر .

وقبل ان تنتشر الدبابات ، تم تقسيمها الى ثلاث « قوات عمل » . فعند ملتقى طريق « الطلقة » .. انتهت القوة الاولى في اتجاه الشمال الشرقي لكي تؤمن الطريق وتناحد القوات المصرية الرئيسية في المؤخرة .

وفي اول طريق حائس يؤدي الى القناة - عند نقطة اتصال « س » انتهت القوة الثانية غربا لتأمين موقع المصور .

لما القسم الاكبر من هذا اللواء المدرع ، غمد اسحه الى الامام مباشرة .. عبرا نقطة اتصال الطرق . ان مهمته كانت هي اقامة محيط آمن الى أقصى نقطة ممكنة في الشمال . وقد حدث ، بعد نقطة الالتقاء الفتيمة « ص » بالآف قليلة من اليزداد .. ان تعرضت هذه القوة الاسرائيلية الى نيران مصرية كثيفة .. مما ارجعها على ان تقوم بالانتشار بسرعة بعيدا عن الطريق . لقد دارت هنا معركة دلمات ضاربه سوف تستمر - بفترات توقف قليلة - طوال اليومين التاليين .

وكل من معنى هذه المقاومة المصرية العبيقة أن نقط انتمال الطرق لا يمكن تأميمها تماما . وفي هذا الوقت كانت العملية سير مطلة من توقيتاتها المقررة . ان القوات التي كان يجب أن تعبر الآن فوق قوارب من المطاط .. كانت ما تزال قريبة من « الجلطة » .. وهي النقطة التي بدأت بها العملية كلها .

ولكن قوة العمل التي كانت نتقدم شرما - أحده المصريين من المؤخرة على طريق « الجلطة » - كانت نتقدم بخارج . وفي حوالي منتصف الليل . اتصلت هذه القوة مع قوات مظاهرات اللواء الثالث .. بسطبه جنلات الحدود نصف المدرعة . ان الدبابات عكست اتجاهها .. وقامت العربات نصف المدرعة خلفها نحو القنطرة .. بالمهدسين وبمعداتهم خلفها .

وفي حوالي الساعة الواحدة صباحا ركب شارون نفسه . مع مجموعة من حوالي مائتي فرد ، في قوارب من المطاط . وعبروا اتساع القناة الذي يبلغ مائة ياردة .. وسعدوا الى اعلى الضفة المصرية . ان شارون يستطيع أن يقول الآن انه احفرق مصر الإمبريتيه ، ولكن ، في نفس الوقت ، كانت القوات الإسرائيلية الرئيسية ما زالت تتعامل مع المشكلة الأكثر خطرا بالأرض - ولكن الأكثر صعوبة ، انها مشكلة الاحتفاظ بممر ارمي مفتوح الى القناة .. حتى يمكن إقامة رأس حربة مناسب .

ان شارون ورجاله وجدوا أنفسهم على الضفة العربية من القناة - كعداء على الأمل - بحرب معارضة . ولكنهم خلفهم بميلين اثنين - على الضفة الشرقية من القناة - عندهم كانوا يستطيعون رؤية علامات متزايدة من الانسحاب تعرض لها قواتهم الرئيسية .

لقد كانت ومصصات المدافع ومرار الصواريخ المصرية نضج
الليل حول نقطة اتصال طريق المررعه الصبيه .

ان ما حدث هو ان وحدة مشاة مصريه استطاعت ان تحرق
القوات الاسرائيلية الى الشمال من محطة الماء الطرق في النقطة
« س » . لقد استجبت هذه الوحدة حواريخها وقذائرها - بحيث
اصبح من المستحيل على امة قوات اسرائيل ان تمر من نقطه
اللقاء الطريق « س » وفي نفس الوقت . كل هلك سوء بارر
من نقطه اتصال « س » يعرض للهجوم المصري من وقت لآخر .
في نفس الوقت كانت تدور معركة ضالكة هامة الى الشمال بمدة
آلاف قتيله من اليرادات .. ومعركة اخرى (التي كان هدفها
الاصلي تشيخه امراء المصريين) كانت ما يزال مستمرة على مسافة
عشرة أميال الى الشمال الشرقي وفي الجزء الجنوبي من الطريق
الى « الطابقة » .. كانت تطلق في نفس الوقت قذائف ضالكة
بين فترة وأخرى .

خلال هذا كله .. كل لاند من نقل البنادق ومعدات
الحفر والمقاتلات المائية . لقد كل من المفروض ان تكون المطبات
قد اتحدت مواعدها على الضفة العربية في الساعة الحادية عشرة
ماء . ولكنها لم تستطع الوصول الى هناك حتى الساعة الثالثة
صباحا .. أي تعطلت أربع ساعات عن الجدول الزمني . وبالإضافة
الى ذلك مات عدد المحر .. كانت القذائف المائية ما زالت عاجزة
عن الوصول الى نقطة العبور المقررة .

ان رد فعل اريك شارون تميز باهمال موهجي لحقيقة انه
وغريته القليل من حدود المشاة .. كانوا معزولين على الجانب
الخطأ من القناة . انه قال لهم « يا رفاق .. لا تترعوا من شيء
.. ان معكم هنا كرم حرب ليكود » ! .

ومع أول ضوء في الصباح ، صبت المفعية ثاماً على نقط
 النقاء الطرق .. جاعلة من الرحلة اختبار أعصاب بالنسبة للقوات
 التي أصبح عليها أن يحصر البقالات المائية وأحمره الإعانة
 والعوامات الحديدية تقيه الزوايا المحولة على لوربات ضخمة .
 أن ملاح النملة الأولى وهو خاويش من بياتيا ، وصف « حمام
 النيران » الذي هدد وحدته بقوله . « كانت هناك معركة دبابات
 على كلا جانبي الطريق . وكنا نحن ستخدم في الوسط . لقد كانت
 معركة من أجل السيطرة على نقطة اتصال الطرق .. وكانت نقطة
 الاتصال داخل نطاق رؤيتهم (المصريين) .. وقد قتلوا بحرب
 كل مركبة لنا تقدمت إلى هناك . لقد كنا قاتله صميرة من السهل
 هذا أميتها .. وقد حدث مملاً ببعض الإصابات .. وبعض
 القنوب » .

أن هذه البقالات المائية الميكانيكية الأولى وصلت إلى نقطة العبور
 عند العجر . لقد أصبح المهندسون يستطيعون الآن فقط أن يبدأوا
 المرحلة التالية لنحميل وربط هذه الدبابات — دبابة واحدة في كل
 مرة — على البقالات .. وأرسالها متحركة سماء عبر القناة .

وفي مقطع غير بعيد من النهاية الغربية لمنطقة العبور .. كان
 يوجد خطام أربع دبابات مصرية . أنها شملت في لحظة ما خلال
 — عات الليل — وربما كانت مهمتها هي البحرية .. ولكن من
 المحتمل أيضاً أنها كانت تقوم بجولة عسكرية روتينية — وقد صرنا
 قوات المظلات بالصواريخ .. ولكن « مع شروق الشمس .. لم
 يكن هناك مزيد من التحلل من حلقب الجيش المصري . وعندما
 أصبحت الساعة هي الساعة صباحاً .. كان قد تم عبور ثلاثين
 دبابة وحوالي ألف رجل . أما الخاويش الذي من سابا فقد وجد أن
 الطقس على الضفة الغربية كان « بارداً والسماء زرقاء والجو

هاديء جدا ، انما لم يكن قد تمّنا بعد تنسيق انفسنا من الارض
.. فقد كان الطقس ممسجا .. وممسا للرعى معلا .

ومن المذهل ، ان المصريين لم يكونوا قد خرجوا بعد حد متطّعة
التصور بمسها - باقاعم من انه على مسافه امثل قلله مقط من
الصفه الثرميه .. كل المصريين يظرون معب وبراوه اللوين
الاسرائيليين المدرعين الذين بدأ العمليه كذا في ليل الاسي لسد
كل هذا القتال الصاري ما زال مسمر على امتداد المحيط الشمالي
للممر المؤدى حتما الي « الطسه »

وطبقا لماقديس العسكريه المعه .. على محاوله شبارون
لاقامة رأس حصر .. كتف سئل كارته . ان القوات التي بدأت
العمليه كلها كانت مساوي مرفه كامله .

ولكن .. بعد ١٦ ساعه من التباط الاسرائيلي الحومى ..
فان شبارون لم يسطع ان يبتل الى الصفه انجريه من اقتناء سوى
قوة تقبل عن كتيبه واحده .. بالاصافه الي دعم مدرع صير .
وبالاضافه الى هذا كله فلم يمح الاسرائيليون في اقامة كوبري أو
جسر . وبسبب اصناف القذائف المصريه التي تطلتها لأحراء الحصر
المقولة عبر الطريق .. منه لم تكن هناك فرصه لاقامه الحصر
خلال الاثنى عشرة ساعه النائية .

ولو احدا في الامصار كيمه النيران التي كانت ممسرة في الامطلاق
خلال كل سبطه الثلث « الطليه - البحيرات المره - الإسماعليه »
بعد المساء السابق .. على الاسرائيليين لم يكن لديهم الحق في ان
يأملوا ان تكون في حقيهم حتى الآن ميره المفجأة . ولو كتف قوة
مؤثرة من اى نوع قد تحطت يوم الثلاثاء .. فانها كانت ستتفضي
على العمليه كلها مهما فعل الاسرائيليون .. فلكي يقوم الاسرائيليون

يقتل ما يساوي قرقة عسكرية عبر مياه القناة . فإن هذا كان يتطلب منهم جوالى ألف رجل .

إن الخطة الأصلية للقيادة الإسرائيلية العليا كانت تقتضي أن يقوم شارون ولواء تحت قيادته بإقامة رأس حرس ونائبه — حتى يستطيع العميد « المراهم ادان » وهو واحد من أحسن خبراء العمليات في الجيش الإسرائيلي — يستطيع أن يعبر بعد ذلك نورا . . لكن يبدأ الاكتساح في اتجاه الحبوب بهدف قطع الجيش المصري الثالث . إن هذه السيلة تم تصميمها نظرية للحاجة الماسة من جانب إسرائيل للحصول على حلقة كبيرة بمرخص ما يمكن . . قبل فرص وقت إطلاق النيران . ولقد كلى أصحاب هذه الخطة يقولون أنه بمجرد تركز القوات الإسرائيلية جنوبا . . فإن إسرائيل سوف تحتاج فقط إلى السيطرة على حصة بند حصة عشر ميلا تقريبا بين الثلومة والسويس . . وهذا يمكنها من احتواء الجيش الثالث .

ولكن . . في صباح يوم الثلاثاء كان المصريون قد حطبوا كل هذا . إن ما حدث بعد ذلك كان سبعة ملاده ملحوظة من جانب . . ونتيجة تصرف قام به شارون . . وهو تصرف يفسر بوعا في نظر أعدائه . . ويمرر بلاهه عسكرية في نظر أعدائه لو استخدما الفطامهية .

إن صليبا كان معه قال في هذه النقطة « إن شارون كان مستطانيا جدا حينما قال : فلنذهب رأس الحرس هذا إلى الجحيم . إن الشيء المهم هو أن نضلل خلف خطوط المصريين » . . وحينما سمع الحمرال « جومين » أن خطة شارون هي سيطرة النطلى عن موقع العصور والتقدم داخل مناطق المؤخرة المصرية . . فإنه لم يقل أن هذا شيء « مستطاني » . إن جومين أخبر شارون

بأن عليه أن يحصن حول رأس الحصر ويحفظه .. إلى أن يمكن
القمام مخلولة عمود حديدية . أن المصريين سوب يدركون كم هو
هذه سبل هذا الذي يقدم لهم .

أن هذه لم تكن وجهات نظر يمكن التوصل إليها . وقد انتهت
المحادثة بين جوبس وشارون بطريقة مهينة . أن شارون صاح في
الراديو « اسع يا حوصس .. اشرب من البحر »

لقد بدأ شارون في تجريد قواته إلى مرق اعاره سمير ..
وارسلها للبحث عن مواقع حواريح سم المخرقة .. ومسودعات
الوقود .. وأي شيء آخر يسحق الهجوم .

لقد ترك الإسرائيليون قوة تذكارية سمير عند نقطة المرور .
وبدأوا يتقدمون في تشكيلات سمير خلال جزارع الزيتون وبين
أشجار النخيل .. أن الأجراء الأكثر كانت بقودها داسلي لكل
مجبورة .. مهربات نصف مدرعة سمها . ولكن شيئا مع الطبيعة
القرصانية بهذا المشروع .. على أي حمدي يرى ما يسحق أن
ينائر بالضرب .. فانه حر في ذلك . وعلى سبيل المثال فإن صابطين
بدا بالسطر على مرة جصرية مدرعة . ومحمد قبالا تله ..
فانهما امظراهما حتى مرت بها .. ثم بدأ بصرياتها من الخلف .
وهربا . وحيما وحدا مسودع وثود دخلا اليه بالعره المصريه
المدرعة .. والقبأ بعدد من القنابل لتفجير .. وحسبما بعد رقود
العره المدرعة . تركاها واحطقتا عربة حسب عادا بها . أن
التحقيق كان هو السرب انصحبح طلقا للحظة الامليه .. وأي
شيء غيره كان معناه ترك المهتمين بعمر جميله .. ولكن شارون
قرر أن عمل حفريات يتم المحقق قبها .. سوف يحفل قواته
السمير ظاهرة .

لقد كل من المحتم .. ان تصبح معظم الأضرار التي يوقعها
 الإسرائيليون بالمصريين .. أضرارا ناتجة سببا ، ولكن في يسمف
 النهار طبقا لأقوال شايرون سم تصبح أربعة مواقع صواريخ
 سام . حدث أصبحت توجد في السماء سحابة عريضة مضيئة ..
 تستطيع الطائرات الإسرائيلية ان يصل منها مصر خطورة . ان
 المصريين ربما يكونون أيضا قد تحققوا وحداث مجرمة عديدة في
 سيده بالطلاق النيران من وقت لآخر في مؤخرهم من الضفة العربية؛
 وبعدها رفع العلم الإسرائيلي لفترات متقطعة بوضوح على الحدود
 الرملية الملامسة للقناة . وقد كل لشارون هدب من ذلك .. اد
 أنه يرى - حسب أقواله - أنه « لا شيء يسمف من عريضة جيش
 مثلما ان يحد عدوه خلفه » . في نفس الوقت . لماذا لم يكن هناك
 محمود يسمف لصعد الإسرائيلي ونعيمهم على الضفة العربية ؟
 ما الذي كان يتم سحبله على صفوف الحرائط الرجاءية المضيئة ..
 والتي كان مفروضا ان ينعى كل تفاصيل الحبهة المتصه أ.

ان العربي أحمد اسماعيل هبط الى داخل مركز التبادلة لكي يأخذ
 زمام الاشراف على العمليات في اليوم الثاني من أكتوبر .. أي قبل
 أن تبدأ الحرب بأربعة أيام . ولقد كل يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر ..
 هو أول يوم يشرح فيه أحمد اسماعيل الى صوء النهار مرة أخرى ..
 لكي يذهب مع الرئيس السادات الى اجتماع مجلس الشعب ..
 وطبقا لأقواله هو في حديث مع الأهرام .. فانه لم يعرف شيئا عن
 العبور الإسرائيلي حسا دخل ميلاربه منوها الى قاعة مجلس
 الشعب . في ذلك الوقت . كان قد مضى على وجود الإسرائيليين
 في الضفة الغربية إحدى عشرة ساعة .

وحينما لم ينكر الرئيس السادات هذا المرور في خطابه ..
 افترض الإسرائيليون أنه تعمد ذلك . وطبقا لأقوال المتحدثين

الإسرائيليي . . على كل يمين وجود « مارق سياسي » داخل مصر . وساء على هذا الرأي الذي ثبت قريبا بعد عدم صحة . .
ميت بحبيبات معتدة تتعلق بالفرحات المختلطة من ماء الوجه التي قد
يجسرها المصريون . . والتي طبقا لها سوف يستحقون ثواب
لكي يحاولوا تنمير قوة شارون .

ومن المفهوم انه لم يحدث للإسرائيليين ان توقعوا ان المعلومات
من هذه العملية لم تكن قد وصلت بعد إلى القادة العليا في مصر .
ان أقوال أحمد إسماعيل وزير الحربية المصري نفسه تؤكد انه
عرف بأمر الحرو ولأول مرة من : « معلومات وحيدة ستعترض بعد
عزتي من اجتماع مجلس الشعب » . لقد ذكر ان هذه المعلومات
كانت نتجت من « تسلل مصر من الخدمات الرئاسية » ولقد
أضافت الرسالة انه في تقدير القيساء المحلية « ما » من المكي
تدميرها سرعة . . وبالمعل تحركت لواجبها كتيبه من قوات
الصاعقة المصرية . والواقع انه كان يجب ان يكون واضحاً انه
بالرغم من أنها قوة صغيرة تلك التي عبرت القناة إلا ان هناك شيئاً
ما كبيراً يتم تدميره . ومن المدهل ان تأخر المعلومات أدى إلى عدم
قيام أحد بتكوين صورة « رابطة » متكاملة لما يحدث ويحصل ان
يحدث .

ومثلما بين عبور المصريين لحد « السويس ماعليه الحش وكندسه
.. فان استجابتهم للاحتراق الإسرائيلي في ١٥ و ١٦ أكتوبر كشفت
بقسوة عن نقطه هامة في الحرب . ان الجهاز العسكري المصري
مهم وبعد حطة كبرى مدروسة ودية ومحكمة . ان أدبه إداريين
الكفاء . . وعدداً كبيراً من الرجال المخصصين والضراء في
الخدمات والمدافع وقاذفات الصواريخ . ولكن هاتين الصمتين
تحتاجان إلى صفه ثالثة من أجل استكمال النجاح في حربهما تحركة .
هذه الصفه تعتبر أكثر الأعمال حيوية وهي . المعلومات . ان القائد

الألماني روميل كتب في سنة ١٩٤٢ مقالا بعنوان « قواعد حرب الصحراء » قال فيه : « ان سرعة رد الفعل في القيادة يقرر مصير المعركة » . وبناء على هذا قال روميل . « ان نتائج الاستطلاع يجب ان تصل الى القائد في اقصر وقت ممكن » و . . « ومواد المراقبة يجب ان يكونوا في اقرب امكن ممكنة لقواتهم » وفي كل من الملاحظتين . . كان سوء الحظ من نصيب الجيش المصري في سنة ١٩٧٢ .

لم يكن هناك محادل مصري للروايات الاسرائيلية المسمومة . وبشاط الاستطلاع . ان القيادة المصرية المصار كانوا بسيطاه يحاربون الاسرائيليين بشجاعة خارقة وكفاءة مستنزة عندما كانوا يظهرون امامهم . . ولكن النقص الوحيد هو انهم لم يقوموا باعطاء اولوية كاملة لممثل تقارير قتال يتم تلخيصها مسورا الى اعلى المستويات .

ان نفس الاتصال العسكري يرجع حقيقته الى ان الجيش ، مثل معظم المؤسسات المصرية الاخرى ، لم يتسم بما يكفي لخطورة البيروقراطية والتعبد في المستويات . . والاعمال الورقية .

ومع وجود كل هذا . . فالحقيقة هي ان المصريين نالوا انفسهم احيرا . . وقاموا بهجوم هديد مضيق ومتراكم يرتفع الكفاءة للعلية . . في يوم ١٦ اكتوبر . لقد ركزوا هجومهم هذا على المداخل الشرقية لنقطة السور الاسرائيلية .

ومع ان هذا الهجوم جاء متأخرا . . الا انه كان عمالا جدا ، وبحس تقريبا . لقد جاء الجيش الثاني المصري من الشمال جنوبا بقتله كاملا . . وجاء الجيش الثالث من الجنوب شمالا . ان هدفهما كان هو جدة ومعزير المشاة المصريين الذين مزلوا يحشطون سرائرهم في منطقة المرمره الصبية ، ضد كل شراسة الهجوم

الإسرائيلي الموالى للطيران والدفعية ، والذي لم يتوقف لحظة واحدة . ولقد كان مقدر أن يؤدي هذا الهجوم المصري الى وضع نهاية للحطط الاسرائيلية ... لأن انطلاق كمية حطيرة من النيران المصرية من المزرعة . كان سيحصل نقطة العبور محردة من الحامية .

لقد دارت معركة فحلبا ثقيلة وضارية طوال الليل .. كان المصريون يقاتلون فيها الاسرائيليين قتلة بصفة . أن حلول الظلام قتل من ماعلية الصواريخ المضادة للصناعات التي يحملها المشاة المصريون ، ولكن ، لأن المسافة قريبة في الليل .. فإن الظلام أدى أيضا الى تضليل ماعلية المدفائف بعيدة المدى التي تطلقها الدبابات الاسرائيلية .

انها كانت معركة سمقدة .. تعرضت فيها الدبابات الاسرائيلية الى نيران مصرية من اسماهي واحيتا من ثلاثة اتجاهات في وقت واحد . ولم تكن لدى المهندسين الاسرائيليين عند ضفة القناة صعوبة في تقييم الاهمية العملية لهذه الحركة . لقد قال جاويش ملاح بسيطة . أن المصريين أغلقوا الطريق هلقا .

لقد أوقف المهندسون الاسرائيليون عملية النقل خلال الليل .. ولكن مازال ينقصهم الوقت اللازم لاقبلة حمر على القناة . وعند الظهر ، تبدا معركة الفحلبات مسخرة بضراوة ، بدأوا بنقلون المهمات والمعدات من جديد . ولكن المدفعية المصرية تدخلت في نفس اللحظة تقريبا . أن أحد الصنود الاسرائيليين المشركين في الحركة قال : * أسي كنت موق تقالته مائية جيتما وصلنا الى الضفة القريبة . لقد كانت القتالة فحلل عرينين نصف مجرعتين وسباره جيب . وبالمصط ، في نفس اللحظة التي وصلت فيها هذه الشحنة الى الشاطئ الآخر ، بدأ نصف المدفعية المصرية ، أن القديمة

الأولى سقطت بعيدا عن المياه محالاً حشريين مترا . الخدعة
الثانية سقطت الى جانب النقلة المته على الشاطئ تماما .

أن الحايوش « زفي » .. من مينانيا .. وجد أن طقس يوم
الثلاثاء الملب « للرعى » .. قد احتفى بحشوه وقسوة . انه
يقول : « مع صباح الأربعاء ، سيطر المصريون بالنيران علينا في
كلتا الضفتين . ففى اللحظة التى كانت تسداً فيها مائدة مائية في
الحروج من قمة منحفة الى الضفة الأخرى .. ماتنا كنت نحد
أمامها ونوقتها سداً محيلاً ومرعباً من الخدعة المصرية . وإذا
وصلت الى الشاطئ الآخر .. لمتهم كانوا يقتلونهم من حديد » .

الآن ، بعد أن تحرك المصريون ، أصبح الإسرائيليون ينساقون
قتلى وحرى بأعداد كبيرة وضخمة . وسرعان ما أصبحت الضفتان
مغروشتين بالأسلاك المثبتة ، التى قطعها خدمة الغدائى المنفجرة .

أن الغدائى المصرية بدأت تفرق التللات المائية الميكانيكية
الإسرائيلية . ويرى أحد الضباط الإسرائيليين الذين اشتركوا في
هذه المعركة فكرياته قليلاً : « لقد رأيت معجربين تحدثن أبامى ..
أن قائد غصيلتنا تشنت قذبة في كسر حدث بالمائدة المائية حينما
أصابها المصريون وبدأت تفرق . اننى أعتقد أنه كل الشخص
الوحيد الذى هبط الى قاع القناة وخرج منها بمجرد قدم مكسورة ،
لقد فرق تحت المياه .. بما حرر جسميه .. وكلى خروجيه بمجرد
قدم مكسورة هو معجزة . الحالة الأخرى . هي حالة أحد ملاحنا
الذى لم يكن يعرف السباحة .. لقد بدأ يغرق مع منافيه .. و
تلك اللحظة طلقاً خرج كلبية القيادة حرام حياة . والتصق به
محيطاً له من أسفل .. مما دفعه الى أعلى المياه » .

ولقد كل الموقف بوضوح هو أن إسرائيل سوف تستفيد تماماً

في هذه المعركة لأنها سوف تكون العامل الخفي الوحيد الذي ستخرج به في قتال الجاح للكليل الذي حققه المصريون طوال الأيام العشرة الأولى . ان هذا يفسر الحسائر الضخمة التي تحلوها .. والحلوات المسميته التي قلبوا بها بواسطة كل انواع الأسلحة ..

وهكذا .. في بدء .. وبالدعم .. انخفضت المقاومة المصرية عند المرعة المييبة ، وتراحت النيران عند نقطة العبور .. بما أصبح يكتلى المهندسين الاسرائيليين ان يسموا أجزاء الجسر في أماكنها من أجل إزالة حصرهم الذي تاهرت أقاليمه كثيرا . وحتى بهذا الشكل .. على ممران المدعية المصرية وضربت السلاح الجوي المصري من وقت لآخر .. كانت تجعل مهمتهم أسهل في الأعصاب ان الضابط الاسرائيلي الذي قاد فرق لتأدية الجسر قال . « لقد كنا تحت النيران طول الوقت .. وكانت نيران المصريين خطيرة جدا . ان حوصلا كانوا هدفا للدافع والطائرات في المواقع المحلورة .. ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقا في هذه المعركة » .

وقال جندي اسرائيلي آخر « حينما نأتي طائرة لموتك .. فان هذا يرهك . ان كل شخص لا يظن النيران على الطائرة يعوض في الأرض ، ويدرس رأسه في الرمال . ولكن ، حينما هانت طائرات الميراج .. فالطائرات المصرية كانت تفعل معها في قتال طائرة بطائرة . ان الناس .. وقموا على الضفة يصطقون بطلا في مباراة كرة قدم » .

ان مثل هذا المعطاء الحوي الاسرائيلي كان ممكنا فقط لأن قوات شارون مرتقت ثقبا في مظله « سلم » . ان هذا ربما كان هو الحس سيد للشارون في تحديه لحونين .

برقم ذلك .. على الحقيقة هي أن الحطة الإسرائيلية غشلت
أصلاً ، وبشكل ذراعى .. ولم يتم رتبها بالضرورة إلا بالقذرة
القتالية للمجموع الإسرائيلي - على حوالى منتصف ميسر يوم
الأربعاء ١٧ أكتوبر - أى ثلاثين ساعة بعد الموعد المقرر - أقيم
الجسر فى مكانه .. وبدأ أول واحد فى الوجة الثابتات الإسرائيلية
الثلاثة التى يقودها « يريم آدان » بعمر إلى الصبى الأخرى .

وطوال باقى الأسبوع ، على الجسر ومحيطه الكامل .. ظل
مكاننا مخلوقا بالمحاطر . ولكن الهجبت المصرية كانت متميزة
بعنادها وتصميمها .. بلكر مما نبوت ضاسفها . وهذا يقول
المريق أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى . « أن المعلومات
تقطعت نتيجة اعتبار يتصل بتبادل فى المسئوليات أجرياء فى ظروف
طارئة فى بعض القيادات » . بعدها بلبام قليلة ، أصبح معروف أن
قائد الجيش الثالث على من قربة قلبية .. وعين قتلا آخر محله ،
* * *

وكما عرفنا من نتيجة الحرب . على هذه المنذرة الإسرائيلية
غرب القناة قد حقت - فقط - نجاحا فى الحد الأدنى من أهدافها
السياسية ، أن الهدف السياسى الرئيسى من العملية كلها كان
يرس إلى تحقيق نصر لرفع الروح المصومة الإسرائيلية .. والحصول
على ورقة للمسلومة قبل أن يفرس الضغط المتزايد من جانب
القوتين الأعظم وقف إطلاق النار .

وحتى فى هذه الحدود .. على الأمر اصباح إلى استغلال
إسرائيلى وعد وسكل لانتهاكات وقف إطلاق النار - حينها جاءت
الهدنة تدريجا فى ٢٢ أكتوبر - من أجل نقل هذا النصر إلى
إسرائيل . وبشكل أجالى .. على جوهر عملية المسبة القربة
كان هو الوقت .

أن لعمليات المصرة أحرز الاسرائيليين كثيرا جدا وجعلتهم يدفعون ثمنها مائة للعلامة .. ولكن المسئولين الرئيسيه للناظر تكمن داخل الجيش الاسرائيلي نفسه . وفي الحذل المسلسلي المستمر بين الجبرالاب الاسرائيليين .. على شارون يلوم القيادة الاسرائيله العليا .. ويقول ان انهيار اعصاب القيادة العليا كان هو السبب في الناحية . انه يؤكد في لمداده مدعم أسرع يوم الثلاثاء .. كان هو الذي سيؤدي الى الاحتلال الجوى .

وفي المنح للحدل .. ان استحاله شارون الحرثة للموقف في صباح الثلاثاء كانت صحبته مكثريا . نظرا من ان الدين يحطون من شأنه داخل القيادة الاسرائيلية العليا منها يستهزئ في اعتقادهم بأنها كانت مجرد معارضة لم نتجح الا سبب حسن انظر . ومن المشار اليه ها .. ان مثل شارون الحمى باقامة الجسر طيفا للنوقيت المقرر .. هو السبب الذي كله اسرائيل مثل هذا الوقت الكثير .. وهذا المسند الكبير في التلى .. وهذا التلى الفداح في العملية كلها .

فلسطين ∞ أو إسرائيل؟
♦ چوت گیمش

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف

● صدر هذا الكتاب في لندن قبل حرب أكتوبر بشهرين . صدر بقلم الكاتب اليهودي الانتطيري « حور كيمشي » . ان كيمشي قال الدشر في كتبه السابقة عن العرب واسرائيل . قال الكثير في كتابه « الاعداء السبعة الماهرة » وقال الكثير في كتابه « لخرق السرية » و « جاني التل » .

قال « كيمشي » الكثير من قبل في كتبه السبعة . كتب اصدر معظمها باسمه .. واصدر بعضها بالاشتراك مع اخيه « دايد كيمشي » .

ومع ذلك .. لما ما يريد « كيمشي » ان يقول في هذا الكتاب الجديد قليل ومعرض : ان الموقف في الشرق الأوسط كان يمس دائما امن ومصالح الدول العظمى ولكن السموات البت الأخيرة شهدت مبراً في طبيعة علاقة الدول العظمى بدول المنطقة .

من ثل كانت كل من اسرائيل والدول العربية تبحث عن حلف لها من بين الدول العظمى .. يؤيدها في صراعها ضد الحاتب الآخر . ولكن الآية انقلبت بعد التوازن الذي وعصر الوفاق في هذه المرة اصبحت الدول الكبرى هي التي تبحث عن حليف لها من بين دول المنطقة . ان التوازن الذي ادى الى حدوث شك في قدرة الدول العظمى على التصرف الحفر — وبشكل مباشر — في مناطق كثيرة .. من بينها الشرق الأوسط .

في هذا الوضع سحث كل حول من طرف محلي نكفله بمهمة الدماغ
من مصالحها بالمطقة .. ميلة عنها .. وتقويها منها .. وحمة
لها . معنى " أن أمريكا لها اليوم مصلحة أساسية — بقول المؤلف
— في وجود إسرائيل قوية ورائعة ومعزدة في المنطقة .. بقدر
ما لإسرائيل هي الأخرى مصلحة في غمر استمرار التأييد الأمريكي
السياسي والعسكري . و ... حينا يحدث مشاكل بين الاثنين ،
لكن يكون سببها تمرا في الموقف الأمريكي نحو إسرائيل . ولكن
السبب سوف يكون مثلاً إسرائيلياً في اقتناع أمريكا بقدرتها — قدرة
إسرائيل — على حملته المصالح الأمريكية في المنطقة .

ولقد بنى « جون كينيث » تحليله .. وأصدر أحكامه .. وأقام
تقنياته .. بناء على موقف سبق لشهر أكتوبر سنة ١٩٧٣ . بناء
على استمرار إسرائيل واضح في سنة ١٩٦٧ . ومساندة يهودية
عالية كاسحه بعد ١٩٦٧ ، ووماق تولي بحسوب بعد ١٩٧٢ ..
واليمينس إسرائيلياً كامل إلى التوق النوعي في ميدان القتال .

ولكن . عملاً اقتصادياً عربياً مشتركاً غير من هذه الحسابات
كلها . حسابات المستقبل . وعملاً سياسياً عربياً غير من هذه
الحسابات كلها . حسابات الدول الكبرى .

وعمل عسكرياً عربياً ثم في ٦ أكتوبر ، غير من هذه الحسابات
كلها . حسابات إسرائيل .

إنها العاقل الوحيد الذي لم يفتل في حسابات أحد — حرب
أكتوبر . حرب لم يشأ بها المؤلف .. حتى كمجرد احتمال .

هنا يصح أن الفت النظر إلى مصالحه هامة . لن تحليلات الكتاب
لملانة مصر بالدول العظمى في السنوات الثلاث الأخيرة .. توضح

لنا مدى حقه وتعقيد الظروف التي عملت فيها الوطنية المصرية خلال تلك السنوات .

نقد مكرت الوطنية المصرية في الحرب ، وأعدت لها ، وبادرت بها .. في ظل تيار كاسح من المصالح الدولية المتحالفة ضد المطقة أو - لو امرضا حسن النية - المصنعة على اسرار الاخلال الاسرائيلي لأراميا . في هذا الاطر .. لم يكن مطلوبا من الوطنية المصرية ان تواجه الأعداء فقط .. ولكنها اضطرت في بعض المواقف الى مواجهه الأصدقاء أيضا .

صعوبة جديدة أضيفت الى الصعوبات التي واجهت مصر في ٦ أكتوبر .. ولكنها - في الوقت نفسه - رميد جديد يضرب الى ما استطاعت السياسة المصرية ان تحفقه . وفي الوقت الذي تصور فيه الجميع أن الموقف يشتر البأس ، تصرمت السياسة المصرية على أسس أن الموقف يشتر النجدي .. وسعر هذا .. كانت حرب أكتوبر ستصبح صعبة .

انها الحرب التي هزت المياه الراكدة ، بمق .. وخلخلت الصواب كلها .. بشدة . صابات الأعداء والأصدقاء على السواء .

وهذا هو الشيء الذي غات على مؤلف هذا الكتاب ان يحسبه .

وربما لو أماد « حور كيمش » النظر في كتبه اليوم - وعلى سوء نتائج العمل العسكري المصري السوري المشترك في شهر أكتوبر ١٩٧٣ - ربما ان يعبر في كتابه شيئا على الاطلاق .

فلسطين .. أو إسرائيل ؟

مع قدوم عام ١٩٧٣ - أدى مبرم الرعب النووي الى ازعاج الدول الاعظم الى ان يصح سائيه في طعناها ، انها أصبحت تستطيع ان تحرض الحروب بالوكالة فقط .. بحوضها في الهند الصينية ، في شبه القارة الهندية ، في البحر الابيض ، وفي الشرق الاوسط . وحتى هذا الامر .. أصبح لقل اغراء مع وجود حالة الافتتاح والتعامل الاسرائيلي وظهور جمهوريه الصين الشعبية في حلبة الدول المظلمة . لقد تغيرت الأولويات . ان سماسات المستقبل لم يعد ممكنا ان تعتمد على الوسائل اعتقديه . لقد كانت تجربة القوى الاعظم في الامتناع مخطفتها في الشرق الاوسط خلال الصيف الساحي لسنة ١٩٦٧ مصفاة حقيقه . لقد كانت تلك هي بداية الدبلوماسية الحميدة . انها كانت ايضا بداية ايام كل الاطراف المصية في الشرق الاوسط باعادة ترتيب انفسها .. ومراجعة كل مفاهيمها السائدة . والقائمة بمد صدور وعد بلنور في سنة ١٩١٧ . ان الحرب العربية الاسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ كانت هي العامل المساعد الذي ادى الى كل هذه التفاعلات . انها كانت حربا قصيرة ، ولكن اصحلال وتسايط الواقع القديم الذي ائت اليه كان بطيب .. مل بطينا هذا .

نبرسم التدفق اللاهائي للحقائق والمذكرات والتساير من تلك الحرب ، فان لكثير المواحي خروجا على المألوف في حرب الاينم السنة هو انه بعد ست سنوات من وقوعها . مازال هناك اعاز كثيرة فيها لم تتم تفسيرها . في كل الأدلة تشير الى ان السلطات المعنية قد قررت الاحتفاظ بهذه « الاعمى » على الكتمان . وصيدا من اي لرشيف .. لسنوات طويلة أكثر .

مع ذلك ، غلقد كانت تجري . في نفس الوقت من استقصاءات وتحقيقات يقوم بها كل من الروس ، والأمريكيين ، والمصريين ،

والإسرائيلي . . بهدف استصاح تلك الاسلحة المتعلقة بحرب الأيام الستة . لكن يكون ذلك اسلحا تعتمد عليه سياسات المستقبل . ولقد كان التحقيق الذي يجرى في الاتحاد السوفيتي يوضح هذه العملية .

إن الرجل الذي تم اختياره في الاتحاد السوفيتي للقيام بمهمة اكتشاف الأخطاء التي وقعت . . كان هو الرجل الذي وجد في قلب الأحداث بطل أسبب أسلحة للحرب وقتلها . هذا الرجل هو « تشوفاجين » السفير السوفيتي لدى إسرائيل قبل الحرب وخلالها . إن معظم المسئولين الأمريكيين والإسرائيليين بمزور « تشوفاجين » هو المسئول شخصيا عن مشوب الحرب . لقد بطل وقتها أن « تشوفاجين » كان لداة فيها مالحى مقتدبه السخ ابى موسكو والناهرة خلال شهر مايو سنة ١٩٦٧ . وكذلك المعلومات التي قالت أن إسرائيل تعتمد لشس هجوم كبير على سوريا . . وهي المعلومات التي لم يكن يوجد بهرر مقول لوجودها .

إن « تشوفاجين » اختفى من الحياة العامة بعد عودته الى موسكو في صيف سنة ١٩٦٧ . وكلى الاسراسى المساند وقتها هو أن هذا الاحتفاء هو بمثابة عقاب له على الخطأ المادح في تقديره . ولكن . . لم تكن هذه هي الطريقة التي رأى بها القادة السوفييت دورهم في إسرائيل . لقد كان هناك شك لدى بعض المجاهدين العربيين في أن « تشوفاجين » قد تصرف ساء على تعليقات من وزارة الدفاع في موسكو عندما أرسل تقاريره عن الهجوم الاسرائيلى الشوك ضد سوريا . فلأسباب خاصة مهم ، كان رعباء الكرملين مهتمين للغاية بالحصول على صورة كلية لما حدث خلال شهرى مايو ويونيو ، ومن الذي كان مسئولا فعلا عن تقارير « تشوفاجين » . . لأنه حينما عاد الى موسكو في سنة ١٩٦٧ . . وضعوه في إدارة خاصة بمعهد

موسكو للخراسات الشرقية . وفي تلك الوظيفة الصعبة تخاصي
«شوفانين» معاشا أعلى من مرتب الوزير في الحكومة بولميتيازات
استثنائية ، وسلطه للوصول الى كل المصالح الرسمية . لقد كل
مكلفا بأعداد تقرير مخصص عن لسبب حرب الأيام الستة ، والشكل
الحقيقي الذي أحدثه أحداثها . وحتى الآن . . لا يبدو أن تقرير
«شوفانين» سوف يكون قفلا للنشر . . ولكن من المؤكد أن أعضاء
المكتب السيلسي قد قرأوه باهتمام .

يصرف النظر عما فعلته الحرب بالنسبة لطرفيها الرئيسيين -
مصر واسرائيل - فإن نتائجها الأكثر أهمية في المدى الطويل هي
شيء يهم الاتحاد السوفيتي ويتعلق به بالدرجة الأولى . أنها كانت
تجربة جارية للكرملين ، فكل المعلومات والحسابات لغيره ثبت أنها
كانت خاطئة : عن مصر ، وعن اسرائيل ، وعن سياسة الولايات
المتحدة . وبالنسبة لمصر . . كان هناك حساب جري للذين اعتبروا
مستولين عما حدث . أما في موسكو . فلم يكن دور الحساب
قد جاء بعد . . ونزل الأدلة تشير الى أن المكتب السيلسي يستعد
لمثل هذا اليوم . يصرّف النظر عن المدى الذي سيقاخر اليه . وإذا
كل هذا قد حدث في الاتحاد السوفيتي على المستوى المحلي . . فإنه
على المستوى الخارجي اعتبر بمرحّب في السجاء على مصر
بالمساعدات على نطاق لم يكن له مثيل من قبل ، ومن المقرر أن تلبية
المساعدات السوفيتية ، عسكرية وغير عسكرية ، قد بلغت خلال
المسومات الخمس المالية على كثره ٥ يونيو . . ما قيمته ٨ بلايين
دولار .

إن برخيف قد أخذ لنفسه أيضا الإشراف الشخصي على علاقات
الاتحاد السوفيتي بمصر ودول الشرق الأوسط . لقد ظهر هذا
بوضوح كامل لأول مرة من الأحداث الدبلوماسية التي وقعت خلال
الـ ٢٢ يوما ما بين ٢٥ يناير و ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٢ ، وهي
التي عبرت تماما المفهوم الاستراتيجي الدبلوماسي للشرق الأوسط.

لقد اقامت أمريكا واسرائيل امتراضاتهما — على خطأ كيمسا
ميتصح — على السلي ان الرعاء السوفيت قد اشدوا قرارا
بائسة للبلدرة الامريكية التي عكسها اتفاق حولدا مائر وبكسون
في ديسمبر ١٩٧١ ، وائسسه لاحتفات بكسون الثالثة في مكن .
ان السوفيت قرروا — هكذا بدا وقتها — ان يحتفظوا برد عملهم .
انتظارا لانعام زيارة بكسون الى موسكو في مايو ١٩٧٢ .

ومع ذلك ، على الرعاء السوفيت ، بدلا من ان يحتفظوا
بالسلبية والهدوء . . قاموا في تلك ال ٢٢ يوما بمجهود دبلوماسي
مركز لم يسبق له مثيل في تاريخ السياسة الخارجية السوفيتية . ان
الطريقة التي تم بها تنفيذ هذا الهجوم السوفيتي المضاد للبلدرة
الامريكية تتم عن قدر قابل من الاحاح . من الدحية الظهيرة ،
بعت المسألة باعتبارها سلسله من الاجراءات الحاطمة التي احكم
تسريها . ولكنها كتبت في الواقع عملية كاملة احكمت حللتها . ان
كل الدلائل تشير الى وجود يد قوية موهبة ومقل من خلفها —
وهذا مريج عظيم من الدبلوماسية . وفي الواقع . . كان هناك
دليل كاف على ان ليونيد بريخيف السكريم العام للحرب الشيوعي
السوفيتي ، هو المهندس الرئيسي للدبلوماسية شهر اكتوبر هذه .

خبيرنا على الرعاء السوفيت يستعدون لمؤتمر القمة مع بكسون
في موسكو . . فانهم كانوا يقيمون مراكز مساومه قوية دبلوماسيا
وسياسيا . ولتحقيق هذا الهدف قلمهم حاولوا — مع اشياء اخرى
— ان يقوموا بتحييد الوجود الامريكي الفعال في البحر الابيض
والشرق الاوسط . . مل وئله لو امكن ذلك . لقد راوا ان عليهم
في سبيل تنفيذ ذلك ان يقوموا باحتواء وحصر الادائن الرئيسيين
لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة : الاسطول السادس الامريكي
. . والقوة العسكرية الاسرائيلية . وهكذا بدا السوفيت يسعون

بحو هذا الهدف خلال شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٧١ .. وذلك
عن طريق تنفيذ سياسة محسومة .. بهدف إقامة مراكز جديدة
للقوة السوفيتية في الشرق الأوسط والبحر الأبيض .

ولقد احتاج الزعماء السوفييت الى بعض الوقت لكي يروا الحاجة
غير السارة .. التى حرقوا بها من محاولات جولدا مائير وبىكون
في واشنطن في ٢ ديسمبر ١٩٧١ . لقد أدت تلك المحادثات الى
اتفاق على توريدات جديدة من السلاح الأمريكى لإسرائيل ، وهى
توريدات أكثر حدا مما توقعه السوفييت ، كذلك لوجهى السوفييت
اتفاق جديد يتعلق بدور إسرائيل في المبادرة الدبلوماسية الأمريكية
وفي البداية ، عطلت أحداث الحرب الهندية الباكستانية على الأثر
المعجلة لتفاهم جولدا مائير وبىكون . وسرعان ما بدأ يتضح أن
هذا التفاهم قد ترك كلا من أمريكا وإسرائيل في مركز قوى هذا ،
بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى .

إن الزعماء السوفييت لم يقوموا بتحريكهم المضاد إلا في نهاية
شهر يناير سنة ١٩٧٢ .. وكانت طريقتهم في ذلك محوجة . أنهم
قاموا أولا بدموع زعماء دول حلف وارسو الى مؤتمر في « براغ » بمقد
في ٢٥ يناير . وبعد يومين من الإحساس .. خرج المؤتمر سبيل
رئيسى يعطى كل محاولات الدبلوماسية السوفيتية ، وكل فعلا بيان
واحد من تلك السياسات النموذجية على الطريقة السوفيتية . لقد
حاء في البيان أن « الحدود القديمة حاليا بين الدول الأوربية ، بما في
ذلك الحدود التى تمحضت عنها الحرب العالمية الثانية ، هى غير
عاقلة للاعتداء » . بعد ذلك أكد البيان بوضوح لاستخدام القوة ..
وناكيدته لمبادئ التعايش السلى بين كل الدول .

إن كثيرين من المراقبين رأوا أنه ليس من المعقول أن يجتمع

زعيماء دول حلف وارسلو لكي يمحذوا في صوبيات مثل هذه . لا بد
اذن ان تكون هناك امور اكثر جدية وتحديدا من ذلك .

وعملا . فخلال اسبوع واحد من اجتماع « براغ » .. بدا
الهجوم الدولوي السوفيتي ، المتعلق بشرق الأوسط .

ففي الثاني من تمراير سنة ١٩٧٢ .. قلم الرئيس السادات
بزيارة ودبة للاتحاد السوفيتي « .. على حد تعبير البيان الرسمي
الذي صدر عند انتهاء الزيارة بعد يومين . لقد كلى هذا انطوبا
غير هادي ، وغامضا . في وصف وصول الرئيس السادات .

بالمقاربة مع حالات الزعماء العرب الاخرين الذين سموه في ذلك
الشهر . ان البيئي لم يقل ان الزيارة كانت مدموة من الحكومة
السوفييتية . وقد حملت باقي فقراته نفس الطابع . لقد قال البيان
ان المباحثات المشتركة قد جرت « .. في جو من الثقة ، والهدوء
الكامل ، والصداقة » . مع ذلك كان البيئي لم ينصم اي اشارة الى
الالتزام السوفيتي ذي الحظي الواحد .. الذي كانت تطله دائما
جميع البيانات السوفييتية المصرية المشتركة . وعلى العكس من
ذلك . ففي هذه المرة .. كلى هناك تأكيد على ان كل شيء سوف يتم
بالمشاركة بين مصر وروسيا على أسس السعي لحل مشكلة
الشرق الأوسط بناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .. وبواسطة
جهود الميسر « جومار ماريج » .. وليس جهود الولايات المتحدة .

وبعد رحيل الرئيس السادات بمكة ايلام وصل الى موسكو لمحاة
وقد عراقي برئاسة مدلم حسين التكريتي نائب رئيس مجلس
الثورة العراقي . وعمما صدر بيان سوفييتي - عراقي مشترك
عن هذه المباحثات فانه لم يشر الى قرار مجلس الأمن . وبدلا من
ذلك نص البيان العراقي السوفيتي على « .. ان السلام الدائم في
الشرق الأوسط لا يمكن تحقيقه بغير تحرير كل الأراضي المصوبية

الحديثة بنجحه للمعنوان الاسرائيلى الامريكى .. وسعى ضمنى لتحقيق المطالب المشروعه لشعب فلسطين * . بعد ذلك تمى البذل على مقرة غريمة سوف تتكرر بعدها عشرة ايام فى بيان سوقيى ليس مشترك . كانت تلك المقرة نص على .. ان العراق عبرت عن تقديرها لقرارات حلف وارسو .. وبرى انها مساهمة هبة لتحرير السلام فى اوربا * .

كانت تلك المقرة اشارة الى شكل الاشياء الملقبة ، والى نصبر عن رغبة الروس فى ان تشارك دول الشرق الاوسط فى تشكيل سياسة الامن الاوربى .

وقبل ان تنهى المباحثات بين الوفدين السوفى والعراقى ، غادر المارشال اندريه جريشكو وزير الدفاع السوفيتى موسكو ، على رأس وفد سوفيتى للسلحت مع الصومال - التى تقع على الجانب الآخر من البحر الاحمر فى مواجهة عدن ، وعمر محجل البحر الاحمر والمحيط الهى . ان جريشكو غادر الصومال فى ١٨ فبراير . وقد أعلن رسماً ان مباحثاته أدت الى « .. فهم كلل متبادل بالنسبة للتعاون السوفيتى الصومالى المشترك وتعيينه الى الحد الأقصى » . بعدها ذهب جريشكو الى القاهرة لسيا ومف بأنه « زيارة ودية رسمية » . ان جريشكو قضى ثلاثة ايام فقط فى مصر ، وبعدها صدر بيان مشترك عمر من « .. الرضا الكامل عن تطور التعاون بين القوات المسلحة لكل من مصر والاتحاد السوفيتى »

ومع عودة جريشكو الى موسكو فى ٢١ فبراير .. كانت هناك بعثة سوفيتية أخرى معسكر موسكو ، متوجهة فى هذه المرة الى دمشق . لقد كلفت البعثة برئاسة « كيريل مازوروف » القائد الأول لرئيس الوزراء .. وكان من بين اعضائها الأربعة عشر .. نائب

وزير الدفاع والحرال سوكولوف . وفي أول يوم كامل قضته بعثة « مازوروف » في دمشق . تم توقيع اتفاقية مع الحكومة السورية لتقديم مساعدات فنية واقتصادية سوفيتية . ولكن العرض الحقيقي للبعثة .. لم يشر إلا بعد الأيام الأربعة التالية من المباحثات .

إن المباحثات لم تركز فقط على المسائل الدبلوماسية والعسكرية المعتادة .. ولكنها أظهرت أيضا أن الاهتمام السوفياتي بالحديد في المنطقة له مخاوف سياسية قوية .. لأن المباحثات أظهرت محلا سوفيتيا جديدا للعمل على استقرار النظم السياسية للدول الصديقة والمهمة للاتحاد السوفيتي . وكما حدث مع العراقين ، فإن البيان المشترك لم يشر إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وقد نص البيان على تعريف وتحديد المساعدة السوفيتية .. بحيث تحقق « المقاومة العربية العادلة للشعوب العربية من أجل انسحاب إسرائيل » . بعد ذلك لمس البيان مناطق الصراع مع الولايات المتحدة ، كما فعل البيان العراقي من قبل ، وعبر عن مساندة ، والتعاطف مع ، قرار دول حلف وارسو من أجل التحضير المؤثر للأمن الأوربي ، ولكن ، بعد هذا .. جاءت الفرقة . إن البيان قال — وهذا غير مألوف بالنسبة لهذا النوع من البيئات السوفيتية — أن الجانبين قاما أيضا « .. بتوقيع وثائق هامة تتعلق بتطور تعاونهما الاقتصادي .. وبالعلاقات بين الحرب الشيوعية السوفيتية وحرب البعث .. وبالمساعدة في تقوية الجهاز الدفاعي للجمهورية العربية السورية » .

إن السرعة غير المألوفة التي كانت تعمل بها الدبلوماسية السوفيتية أصبحت ظاهرة في دمشق بعد عشرة أيام من توقيع هذه الوثائق الهامة « . غنى لا مارس أعلن زعماء البعث في دمشق أنه تم تشكيل « جبهة تقيمية قومية سورية » .. وتشمل كل التجمعات السياسية ، بالإضافة إلى حزب البعث الحاكم . إن الحزب

الشيوعي السوري ، والاتحاد الاشتراكي العربي ، والحركة
الاشتراكية العربية .. قد ذكرت بالاسم ، كؤسسين للجهة
الجديدة . وفي نفس المساء ، اذاع نائب الرئيس السوري النص
الكامل لبيان الجهة ، الذي حدد سلطتها وواجباتها . وكليهما
يتشبان مع المنقشات مع بعضه « مأزوروم » .

ان الجهة القومية قد اتمت في الواقع سلطه الحكومه وخطاها
حكومية حيوية . مطلقا للمادة الاولى .. على مهنتها هي « تحرير
الاراضي العربية المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ » . ان هذا الهدف
له الاولوية فوق كل المهام الاخرى . اما المادة الثانية ، فقد اعلنت
ان الجهة سوف تكون مستقلة هي السلطة الاسيلة في « تقرير
مسائل الحرب والسلام » . المادة الثالثة اعصرت سلطة تنفيذية في
كل ما يتعلق بالمحيط الاسلحي . ان السمة المستقلة للجهة
قد عبرت عنها المادة الخامسة بتفصيل كد .. حيث تبرز ضرورة
مواءمة الحقوق القومية الكاملة لشعب فلسطين في ارضه . ان هذا
السند قد كرر صيغة الخرطوم المشهورة من انه « .. لن يكون هناك
سلام او تفاوض مع التولية الصهيونية .. ولا سائر من اى حرمين
الاراضي العربية المحتلة » . واكثر من ذلك .. قرر ميثاق الجهة
اعطاء بمساندة كاملة للمقاومة الفلسطينية ، وحيابتها ضد المحرمين ،
وامطائها « حرية الحركة » . واعلى الميثاق ان « الصهيونية العالمية
ورببتها اسرائيل .. هما العدو الاول والمتميز لوطنا العربي . ان
المعركة الرئيسية هي بين وطننا من ناحية . وبين الصهيونية
واسرائيل والاستعمار العالمي الذي سرعه الولايات المتحدة من
ناحية اخرى » .

وبعد هذا الجانب الآخر من العملة . لن الدول الاشتراكية
الصديقة ، وفي مقبعتها الاتحاد السوفيتي . هي السند الرئيسي

للجمهورية العربية السورية . أن هذه الدول هي التي « تقدم كل أنواع الأيد المادي والإقتصادي والسياسي » .
ولكن ، حتى بينما الصفحة السورية يتم في دمشق - اتحاد
الوئيت خطوة أخرى في البحر الأبيض ، ووسط ظروف متناقضة
بعض الشيء .

في الساعة الثامنة عشرة والنصف مساء الوئيت هنا مهم
يوم ٢٣ فبراير ١٩٧٢ ، أعلنت موسكو أن الرئيس عبد السلام
خلود رئيس الوزراء الليبي قد وصل من ليبيا على رأس وفد رسمي
ليبي يضم وزير اسرول وثمان لرئيس الأركان له على اسمه . و
مطار موسكو قال الرائد خلود أن المرمى من رياره - وهي أول
اتصال من هذا النوع مع الاتحاد السوفيتي - هو « تقوية الروابط
من الثورة اللببية والاتحاد السوفيتي » . بعدها أضف أنه ينظر
قدما إلى « نتائج سياسية واتصالية وعسكرية » تتحقق من
مصادقاته . وفي نفس المساء ، في الساعة التاسعة ، قامت وزارة
الخارجية اللببية - التي كانت تحت الإشراف الشخصي للعقيد مصر
الغذاي رئيس مجلس الثورة - بإصدار بيان يكرر اعتباره واحدا
من أكثر المبادئ حبا وعرامة في الدبلوماسية العربية . لقد كلى
من أنواصح أنه أعد بعلمه . . وقد حظي بأكثر قدر من الإعلام
في صحف وإذاعة الحكومة اللببية . لقد قال البيان : « لقد أصبح
من الثابت أن العراق الشقيق على وشك إبرام اتفاقية مع الاتحاد
السوفيتي . أن الجمهورية العربية اللببية تعبر عن اهتمامها البالغ
بهذا الاتحاد الذي يعود بالعراق إلى أيام حلف بغداد والمعاهدات
الاستعمارية العربية . . انما ، مقارن بمل في أن مقاوم العراق هذا
الاتحاد ويحافظ على ما بقي من كرامته » . . أن الرسالة كتبت
واضحة - أن الدول العربية يجب أن تكون بعيدة سلبا عن أي تورط ،
سواء مع المعسكر الشيوعي . . أو مع القوى الغربية .

وفي اليوم التالي ، وأنت الرائد جلود مرمة لكي يشرح هذا التصرف العريب برئيسه ، حنبا احتمع برئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين . . في محادثات استمرت أكثر من ثلاث ساعات . أن الروس وضعوا ملقا احتيرت كلمته مخرص ، بعد هذه المناوشة ، وقال النبل أن كوسيجين قد « استنبل » جلود . . وأنه « حري بينهما حديث ودي ناقشا خلاله نظور العلاقات السوفيتية الليبية ومشاكل دولية ملحة مثل الموقف في الشرق الأوسط » .

وبعدها بيومين ، وضع الوفد الليبي اتفاقية برولية تنص على بمساعدة فيه روثيه ، مع نائب الوزير السومبي « بونيكوف » . بعدها كل من المروخي أن يعاير جلود موسكو الى بوجارست لزيد من المباحثات البرولية مع الرومانيين . . ولكن رحيله تأخر . لن شيئا لم يحدث لمدة ثلاثة أيام . وبعدها قال بيلى قصر أن جلود أصبح مع الرئيس السوفيتي بونجورني يوم ٢٩ فبراير ، أن ملك يقله النبلان هو انهما تحدثا لمدة خمس ساعات و ١٥ دقيقة — وهذا رقم قياسي حتى بالمفليس السوفيتية . أن موضوعها الرئيسي كل هو العلاقات بين ليبيا والاتحاد السوفيتي في « مختلف الميادين » . . وكذلك القضايا الدولية و « . في مقدمتها احتلال فلسطين والقضايا المتعلقة به » .

في نفس الوقت ، في طرابلس ، كل العقيد القذافي مستمرا في حرب العصابات هذه ضد التقدم الواضح لمباحثات جلود في موسكو أن الصحافة والإداعة الليبية قالت ، بما جلود يتحدث مع بونجورني ، أن العقيد القذافي رفض استقبال سمر العراق في مصر ، الذي قدم خصمها من القاهرة لكي « يشرح وجهة نظر العراق في المعاهدة السوفيتية العراقية » .

مع ذلك ، يبدو أن هذا لم يؤثر على تقدم بعثة جلود في موسكو .
 غنى الثاني من مدارس اجتماع جلود بالزعيم السوفيتي الذي سبق
 اسمه دائما رئيس الدولة ورئيس الوزراء في كل السنين الرسمية
 — ليونيد برحبييف سكرير الحرب الشيوعي السوفييتي ، انهما
 تحدثا لمدة أربع ساعات و ٤٥ دقيقة . وهكذا قضى جلود ١٣ ساعة
 مع ثلاثة رعايا سوفييت مهمين . وكل من الواضح انهم لم يهتموا
 بالمشكلة الصغرى المتعلقة بكيفية اداء ليبيا لحدث التترول البريطاني
 سابقا ، والذي تم تأجيله . ان .. لابد ان يكون في الامر شيء مهم
 كثيرا من ذلك .

لقد ورفت اشهر ما لهذه الحقبة في الحدث الذي اعطاه جلود
 لوكالة ناس السوفييتية والذي لم يشر في بلده — ليبيا — مع ذلك
 .. فان موسكو لم تدع آراء جلود بحلبا غلط ، ولكنها ادامتها أيضا
 في ادامتها العربية الموحدة .

ان جلود قال في حديثه : « ان الاتحاد السوفيتي أمامه دور هام
 يلعبه في تمكين الثواب الثورية العسكرية من هزيمة الاستعمار
 الاستيطاني الصهيوني الذي تساهله الولايات المتحدة » . انه أصاب
 بحسونة يشهر بها ، ولكي الأصلي لا يسهمها عادة في الاداعة
 السوفيتية ، أنه مقتنع بأن « الاتحاد السوفيتي يستطيع ان يفعل
 الكثير لضاعطة القدرة الدفاعية للعالم العربي .. وتمكين الشعب
 للفلسطيني من استعادة وطنه وأرضه » .

ان جريدة « البراعدا » السوفيتية — تشجعها في ذلك صراحة
 جلود — قد جعلت مقورها في لوحة شد الجبل بين جلود وموسكو
 والقتافي في طرابلس . غنى « مارس كنت البرافدا نقول » ان بعض
 الناس لا يحبون ان يروا العلاقات المتبادلة الرأيا .. وهي تسمى

بين بلدين . ان هناك اتفقا في ليبيا يرغبون في خلق أسفين من عدم الثقة بينهما » . ان المرادفا - فيما عدا ذكر اسم العقيد القذافي كمصدر للمعارضة - جعلت القحوة وامحة بين الرعبيين الليبيين . ان الاختلاف لم يمتد حتى الى نصر النيل المشترك الذي صدر عقب انتهاء الزيارة في ٧ مارس . فمن نفس اليوم اداع راديو ليبيا المفهوم العربي للنيل ، فيما لم يدع النص السوفيتي الا في اليوم التالي .. ككشفا عن وجود عدد من الاختلافات .

ان المفهوم العربي - ولكن ليس الروسي - أكد وجود مباحثات مطولة مع مرجعيات وموجودين وكوسبيجين ، وان المباحثات جرت في حو من الفهم المتبادل والصراحة حينما تناولت العلاقات السوفيتية الليبية . ان المفهوم السوفيتي حذف الفقرة التي ادعاه المفهوم العربي ، والتي تنص على « ان الجانبين طلبا اغلاق كل القواعد العسكرية في المنطقة ، لكي تكون منطقة امن وهدوء وسلام واستقرار لكل الشعوب » والمنسوبة للباني ، على نص ليس اقرب من البيتين السوري والعراقي : لقد اذان الولايات المتحدة وعمر عن مسئلة لحفظ دول حلف وارسو بالنسبة للامن الاوربي ولحركة التحرير الاثريقية . لقد كان واصحا ان الرائد حلود قد عاد الى بلده حاملا تركت وتليد الرعاء السوفيت .

وهكذا ، فان شكل الحركات السوفيتية الاستراتيجية والدبلوماسية المضادة .. كان يكتمل في مطلع ربيع سنة ١٩٧٢ . لقد كان من الواضح انه بهدف الى تشكيل حطة سياسية استراتيجية حول اسرائيل .. وتحقيق مراكز قوة سياسية وعسكرية للاتحاد السوفيتي . وكان من الواضح ايضا ان الزعماء السوفيت مهتمون منقطة رئيسية : انه بالرغم من انهم ربما يحتلون مراكز قوة دبلوماسية .. فان العالم العربي متأثر للغاية بضموط

داخلية يمكن أن نهزم البناء السوفيتي العلماني والاستراتيجي،
أن السموات للعلمانية للرئيس السادات ذات بلهوسية . أن
التصدع الفلسطيني أظهرته هزيمة حتى لمنظمات المقاومة
الفلسطينية .. تركا محيلا واحدا أمام المقاومة الفلسطينية ..
وهو الاتجاه إلى الإرهاب . أن هذا سوف يترك الروس والزعماء
العرب الآخرين ، ويضيف إلى عدم الاستقرار الشامل في المنطقة

أن محلكمة المنهين بقتل وعلى القتل رئيس الوزراء الأردني
السابق في القاهرة ، وسماح القاهرة لمحامي المنهين بأن يطعوا
أن القتل كان محيلا مشروعا ضد طاعية بمسدد . قد أضاع إلى
هذا الاتجاه . أن الزعماء السوفيت قد عبروا أيضا لشخصيات
سياسية اجنبية زلزلت موسكو . هي اهتمامهم بالدور الذي تلعبه
الصين الشعبية في التسلل النشط إلى الخمسة والثلاثين مليون
مسلم الذين يعيشون في الاتحاد السوفيتي .. أساسا في المناطق
المتاخمة للحدود الصينية . ومن ناحية أخرى فإن الصين اداومت
ببازات عنيدة تملأ فيها أداة السياسة السوفيتية التي تسمح
للبيهود السوفيت بالمرور إلى اسرائيل . وعندما تأخذ كل هذا مما
في الاعتبار .. على الهجوم العلماني الذي تم شمه .. كل أكثر
شولا وتركيزا من الحركات السابقة المماثلة . لأول مرة ، كان
الاتحاد السوفيتي يسمى أيضا إلى أن يضمن لنفسه درجة من
السيطرة المباشرة في البلاد العربية .

أن مريجا من الوعود المعكرو السوفيتي في مصر ، والتشكيل
السياسي للجهات القومية النقدية مع الشيوعيين ، وإبرام
اتفاقيات صداقة مع مصر والعراق وسوريا واليمن الجنوبية
وجمهورية الصومال وربما مع ليبيا .. لم تعد مجرد أفكار على
الورق . أن هدفها جديدا كل معبر ميران القوة السياسية

والعسكرة في الشرق الأوسط والبحر الأبيض ، برغم الترتيبات
الجديدة بين الولايات المتحدة وإسرائيل . . وبرغم وجود الأسطول
السامي الأمريكي وحلف الأطلسي في البحر الأحمر . لقد كانت
هذه هي أكثر المبادرات طموحا من جانب الاتحاد السوفيتي فيما
يتعلق بالشرق الأوسط — أو هكذا بدت المسألة في أعين الرعياء
السوميت والمراقبين الغربيين . ولكن مريضيف — مثل سمارك
من قبله . . والذي يشبهه من نواح كثيرة — كل لديه ما هو أكثر
من الحديد العربي في النار . لقد وضع حديدا في النار بالنسبة
لتيكسوت أيضا .

إن إعادة دراسة الأحداث بعد وقوعها له منافعه . . ومساوئه
أيضا . إن أغراء إعادة كتابة تاريخ العلاقات السوفيتية المصرية في
ضوء « طرد » السوفيت من مصر في يوليو ١٩٧٢ ، هو أغراء عظيم .
إنما يدرك القارئ أنه كلما هناك قدر كبير من التحديث المزدوج في كل
تلك الأحاديث والبيانات الرسمية ، كما نلاحظه حتى ١٨ يوليو
سنة ١٩٧٢ ، عندما انسحب الرئيس المصري أنور السادات القرار
الذي لم ينص على أحد أن مصر تخرق على اتخاذ . أنه القرار الخامس
بترحيل جميع الخبراء والمختبرين السوفيت من مصر قورا .

إن الرئيس السادات نفسه كل هو الذي اتخذ القرارات ، وهو
الذي عسر دوائحه ، وهو الذي تحمل نتائجها . لقد أعطى الرئيس
السادات تفسيرات واسعة ومقنعة للشعب المصري ، وفي الأحاديث
المصحوبة . وفي المحادثات الخاصة مع سفراء الدول الصديقة . .
وكذلك في حديث مع عدد من رؤساء التحرير المصريين قبل عدة
أيام من إعلان القرار التاريخي الحاسم بترحيل الخبراء الروس من
مصر . أن « أرمود دي مورشيكراف » الصحفي الكبير في مجلة
« ميوروك » الأمريكية . . أعاد بناء الخط الرئيسى لأقوال الرئيس

السلطات في هذا الاجتماع . ومن الواضح ان تقرير «بور شيجراف» هو أصفق تقرير نشر مفسرا ما حدث . وطبقا لهذا المفهوم على خلاصة الخط الرئيسي لتفسير الرئيس السلطات هو — طبقا لأمواله — كما يلي :

« .. انكم لا تستطيعون ان سحلووا كيف أصبح حياتي معد أصبحت رئيسا للجمهورية . من البادر ان كان هناك يوم واحد يمر مصر شجار مع الروس . انهم لم يبقوا في مطلقا . لقد قالوا انني متعاطف مع الأمريكيين ، وأصبح مصر للأمريكيين . وحسبما ذهبت الى موسكو في مارس سنة ١٩٧١ . وتحدثت طلي الاور لندسات الميج ٢٢ ، فاتهم لاهروتى بعد مناقشه مطوله . ان طائرات الميج ٢٢ سوف تصل حالا ، وانهم سوف يبدأون في تدريب لطيارين المصريين غورا . ان الميج ٢٢ لم تصل ابدا . وبدلا من ذلك على مجموعة على عبرى حاولت قلبى من الحكم ل مايو سنة ١٩٧١ . وحينما اتى الرئيس السوفيتى بوجورس الى القاهرة مؤجرا في نفس الشهر — مايو سنة ١٩٧١ — وتم توقيع معاهدة الدفاع المشترك . لقد اعطيتى كليه شرف بلنا سوف يحصل على الميج ٢٢ خلال أربعة ايام من عودته الى موسكو » .

« انني وثقت المعاهدة لانى تصورت ان هذا سوف يجعل الروس يملكون من جديد انى لم اك رجل امريكا ، وانهم يستطيعون الثقة بى ، وموق تلك كله .. ان ملحه مصر فوق الجميع » .

« بعدها .. لم يحدث شيء .. ان الروس يعرفون انى قررت ان سة ١٩٧١ يجب ان تكون هى سنة الحسم بالنسبة لأرمسا المختلة ، ولكن ، كان يتضح لى انهم ان يحويوا بالمعدات التى محتاج اليها من

أجل تحقيق حدّ الهدف . أن حصر الأسماء في سياستهم كان هو ضرورة الاحتفاظ بحالة " لاسلم ولا حرب في الشرق الأوسط " . أتت دعت إلى موسكو مرة ثانية في أكتوبر سنة ١٩٧١ . أن يودحورمي — الرجز الذي أعطاني كلمة شرع — كان غير موجود في أي مكان . لقد أصبحت وحدى مع كوسجيني ، ثم لحق بنا بريخيف في يومه الأخير هناك . »

« لقد توصلنا إلى اتفاق حديد . أنهم وعدوني بأن هذا الاتفاق الحديد سوف يتم تنميده قبل نهاية السنة . ومرة أخرى لم يحدث شيء . واستثناء الحصر الحوي السوفيتي إلى الهند . هذا الحصر أثبت لي أن الروس ، حيثما يريدون مساعدة بلد .. فاتهم يفتون ذلك .. معبر أن سمعهم حقيقة أن الولايات المتحدة شتت الطرف الآخر . وبما على ذلك .. فأنسى قررت أن الوقت قد حان من أجل تحديد وتولية علاقاتنا بالامحاد السوفيتي .. لقد أجبرت السفير السوفيتي بأنى أربع في زيارة موسكو قبل نهاية السنة . كل هذا يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٧١ . لقد جاء ردهم في ٢٧ ديسمبر ، واقترح الرد أن يكون موعد الزيارة في شهر فبراير . أتت أجبرت السفير السوفيتي « ميوهرافوف » بأنى صبرى قد أوشك على النماذ .. ولكن من أجل صداقتنا فأتنى سوف أنتظر حتى فبراير . وبعد تلك الزيارة ذهبت إلى موسكو من جديد قبيل اجتماع القمة الروسي مع بيكسوف . اتنى كنت أريد أن أتأكد من أن الروس لن يوافقوا على تقسّد أمدادات السلاح قبل أن تغلّو إسرائيل . »

« أتنى ظلمت بريدا من الوعود التي لم تتحقق .. وبعد الانتظار شهرا كاملا — أرسلت خطانا يتضمن نقاطا سما إلى بريخيف .. من أجل تحديد علاقاتنا . أتنى أجبرته بأنى سياسة مصر سوف تتحدد على أحملته . وحتى ١٥ يونيو سنة ١٩٧٢ لم تطلق أية احابة لهذا

كثرت حملات آخر الى بريجنيف . وبعد ثلاثة اسابيع اخرى ، احضرني السفير السوفيتي انه تلقى رد موسكو . انه جاء ليراسي ، واعطاني خطاب بريجنيف ، الذي كان مكتوما باللغة العربية . انني طلبت من مساعدتي ان يقرأه . ان الصفحة الاولى من الخطاب كانت تتكلم بالروح الصاروخ والوقعة التي سيطرت على العلاقات السوفيتية المصرية . الصفحة الثانية هاجمت محمد حسني هيكل . وتعرضه المسئول من تدهور علاقاتنا . للصفحة الثالثة استمرار في الهجوم على هيكل . بعد ذلك — لا شيء . لقد انتهى الخطاب . ان هذا جعلني غاضبا جدا ، وعلى الفور قررت ان اتصرف في وجود السفير السوفيتي . انني املت لوامري :

١ — جميع المستشارين السوفيت في القوات المسلحة عليهم معاداة الاراضي المصرية خلال عشرة ايام تبدأ من ١٧ يوليو .

٢ — كل الاجهزة العسكرية السوفيتية يجب وضعها تحت الاشراف المصري .

٣ — جميع المعدات العسكرية السوفيتية يجب بيعها الى مصر او اخراجها من الاراضي المصرية فوراً .

٤ — أي مباحثات قديمة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، يجب اجرائها في القاهرة . . وليس في أي مكان آخر .

ان نيموهرادوف رحل الى موسكو على الفور . وكان الرئيس السوري حافظ الأسد قد اصاب لزيارته بعد ان انتهى لثوّه من محادثات مشتركة في موسكو . ان الرئيس الاسد سألني كيف اتوم بمثل هذا العمل بينما هو قد وقع لثوّه لتتلقا مع الروس لشراء اسلحة قتيها ستمائة مليون دولار . انني اجبرته بالا يتلق عليا ، وان يفعل ما يرى انه في مصلحة سوريا . واحيرا ، احضروني من الروس يريدون وفداً مصرياً على مستوى عال . لكي يسافر الى موسكو

ويشرح لهم اسباب تصري . . اننى قررت ارسال رئيس الوزراء
صفى . واحضره على يقوم بجهود آخر للحصول على الميج ٢٢ .
وكل هذا بلا فائدة . انكم مرمون ببقى القصة .

بعدها اكد الرئيس السادات لى هذه الوثيقة الضرورية مع
المصري . . لا مؤثر بأى حال على جوهر المذاقة السوفيتية
المصرية . التى رآها تتوسع فى مقام حديد ومرحلة جديدة .

والتوقع ان الرئيس السادات لم يكن مفاجئا لأحد فى تفكيره هذا .
ان السادات كان يرى دائما ان المعركة هى معركة مصر ، ولا أحد
غيرها . وان مصر لا تريد من أحد ان يحوض حربها باليلة عنها .
ان الصدى المصرى هو الذى سيحرر مصر شرا شرا . وكانت هذه
هى عقيدة الرئيس السادات دائما . وكانت عقيدته ايضا هى انه
لا يرغب فى أحداث مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .
ان كل ما يسعى اليه هو تحرير التراب المصرى من الاحتلال الأجنبي
.. وهذه هى الغلبة الرئيسية ، بل الوحيدة ، التى شغل بها
نفسه منذ تولي الرئاسة . . ومن أجل تحقيق سياسته هذه . . كان
الهدف من طلبه الى الاتحاد السوفيتى امداده بأسلحة ههوية —
الميج ٢٢ وأنواع معينة من الصواريخ أرض أرض . ولقد كان
مسعدا لمل أى شئ فى سبيل تحقيق هدفه الأخير طرد الاحتلال
الإسرائيلى .

مع ذلك غائلا لا موبكر ، ولا واشمطن . صدر عنهما أى رد فعل
لهذا التطور المفاجئ . ان كليهما حاول فى البداية ان يتحاشا
مضمون هذه الخطوة فى المدى الطويل . ان برمخيف وبمكسور ،
لم يرتكبا الخط الذى ارتكبه ببقى المواقفين والحكومات . . بما فى
ذلك الاسرائيلىون — جميعا نفترضوا ان اسحاب الروس قد لذى
الى حدوث تغيير أساسى فى الشرق الأوسط ، وساعف من تعرض

وجود تسوية بالمفاوضات بين مصر وإسرائيل. إن هذا ليس بمعناه أنه يمكن هناك تعير في الوقت . كل هناك تعير .. ولكن التعير كآلة نتيجة لاحتياجات بريخيف وبكسوت ، وليس بسبب انسحاب السوفييت . إن الروس استنطاعوا - قبل مؤتمر القمة الأمريكي السوفيتي - أن يكتسبوا موافقة الولايات المتحدة على حالة من التبادل الإسرائيلي في البحر الأبيض . إن محطى هذا «الترتيب» يتطلب ترتيبات أصعب .. برغم أنها خفية .

إن المصالح الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية لكل من الشرق والغرب ، أصبحت تتطلب مقاييس جديدة لمنع نشوب حرب أخرى . هذه المقاييس لابد لتحقيقها من وجود شكل ما من المصالح السوفيتي الأمريكي القائم على تعادل سبيلى واستراتيجى متفق عليه في البر كما في البحر . مع ذلك .. على السياسة السوفيتية كسب تتحرك بسرعة أكبر ، وتنظر إلى الأمام أمام من الأمريكي والحكومات الأوربية . وسواء كان هذا خطأ أم صوابا .. فإن الروس كانوا أكثر اهتماما بالحلف الجديد المسمى بالشرق الأوسط ، والذي يقوم على أساس وجود قوتين عسكريتين في المنطقة : إسرائيل وإيران .

إن ما بدا أنه قد تم تركه مفتوحا في مناقشات الشرق الأوسط - إلى ليهكن معهد هذا - ضمن احتياج القمة وموسسة ١٩٧٢ .. كئن هو السؤال : هل يقوم الروس والأمريكيون بتشجيع هذا الاتجاه الجديد في الشرق الأوسط .. أم يعارضونه كمصير انقسامى جديد ؟ إن الروس عابوا اتسحابهم من مصر كمؤدع حديث المفهوم ليس : خطوة واحدة إلى الوراء .. وحطوت إلى الأمام . إن المحور الجديد للمصالح الروسية معقد عبر سوريا والعراق إلى حبوب اليمن والتركيا .. وقد اكتسب هذا المحور ثوة عن طريق إيران والهند وألمانيا . إن الروس كانوا يتصخرون الاحتياط

بوجودهم في الشرق الأوسط من مراكز قوة جديدة . انهم لم يكونوا وحدهم في ذلك . ان الأمريكيين ايضا فهموا ان الشرق الأوسط — ليس جنوب شرقي آسيا .. ولا فيتنام .. ولا باكستان — هو الذي يتطلب شكلا جديدا من الوجود الأمريكي يساعد على تأمين مورد البترول .

ان كلتا القوتين — روسيا وأمريكا — أصبحا مهتمتين في سنة ١٩٧٣ بشيء جديد وواحد ومتفق عليه ' البترول . انهما تختلفان في طبيعة هذا الاهتمام والسليبه ، ولكن الاتفاق بوجود علي نقطة واحدة : ان بترول الشرق الأوسط يجب الا ينتزح مصراعات الشرق الأوسط .. وخصوصا بالتزاغ العربي الإسرائيلي .

وهكذا مني مصرا جديدا دخل في حسابات الدول الكبرى بالنسبة لصراعها على الشرق الأوسط . ان هذا الصراع كان موجودا دائما .. وحاسبا دائما .. ولكن في هذه المرة أصبح هو الصراع الذي يحدد أولوية مطلقة بالنسبة لسياسات الدول العظمى المعنية بالشرق الأوسط وأهدافها في المنطقة . هذا الصراع هو ' البترول ' .

بعد هذه المقطلة بالصيغ أصبح ان نرجع الى الوراء كثيرا .. الى مطلع هذا القرن العشرين ، قبل خمسين سنة من الآن تقريبا .

في منتصف شهر أغسطس سنة ١٩١٨ قال «آرثر هيلمسليفور» وزير خارجية بريطانيا لرؤساء ووزارات المصمرات والمسولين عنها في اجتماعهم بلندن . «لنا لا يهمني ما هو شكل الحكومة التي محتفظ في ظلها بالبترول .. ولكني وأصح في انه من المهم جدا لنا ان نضمن استمرار الحصول عليه » .

لقد حامت هذه الكلبف وتسلكت برطانيا هي القوة العظمى
السيطرة في الشرق الأوسط . وقد سقتها فكرة هامة للعامة هي
الكولوميل هاتكي سكرير مجلس الوزراء ومجلس الحرب البريطانى
حول سرول الشرق الأوسط . ان تلك المذكرة لصامت مجلس الحرب
البريطانى بالقلق .. وهو قلق استمر قائما طوال الخمسين سنة
الطالية ، ولم يتوقف حتى اليوم (١٩٧٢) .

ان الكولوميل البريطانى « هاتكى » أدرك في تلك الايام المذكرة
والعصية من سنة ١٩١٨ أهمية مثل السرول . وسبب ادراكه
هذا .. على البريطانيين سمعوا سيره جلسه حبيب حان وقت
اقتسام مناطق النفوذ بين الدول الكبرى المتحاربة .. ولكن لم
يكن الحال كذلك بالنسبة لثريكيها في معامره الشرق الأوسط .

اما بالنسبة للقوميين العرب من ناحية ، والصهيونية من ناحية
اخرى . فانهم أخطأوا القارب معا .. ان كلا منهما كان مشغولا
بالنظر الى داخله نهائيا .. بحيث أنه في خلال تلك السنوات
الشكليه بعد سنة ١٩١٧ .. كان كل منهما مشغولا نهائيا
بمسالمة الخاصة .. ومرثم فارتكبا غشلا ورؤية أهمية عنصر
النفوذ . ليس هذا فقط بل ان كلا من العرب والصهيونية رأى
ان اهتمام البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين سرول الشرق
الأوسط .. هو عنصر حادية مفاس .. ومن ثم مل عندهم ان
يكسبوا المفاسه ضده . انهم — العرب والصهيونيين — لم يروا
السرول ماعنصره المورقة المراحة للى يستطيع كل منهما أن يحصل
عليها ويلعب بها .. لذا استطاع أن يفهم اللمة الأكبر .. التى
كان كل منهما جزءا منها تولى أن يدرك

ان العرب والصهيونيين — في تلك الايام — مشغولوا في أن يفعلوا
هذا . والاسوا من ذلك ، انهم نجحوا في خلق انطباع لدى

البريطانيين بأنه لا الصهيونية ولا التوحيه العربية لديها ما دفعه للمساهمة في اعلاء تشكيل الحطة البريطانية الكبرى للشرق الأوسط . لقد أدى هذا الى عزل النترول عن الصراع السياسي في الشرق الأوسط . وكان هذا شيئا كاما مروجهه نظر الدول الكبرى لكي تصانده باقوى المبررات الاخلاقية والسياسية . ان النترول كان عنصرا ضروريا في الأمن القومي البريطاني . . وأنت لست مداهما لأن تكون مؤمما بالصهيونية أو مؤمما بالقومية العربية . . (لكن يكون مؤمما بالنترول .

لقد كان هذا يمثل مكل متكبد شكلا جدادا وقعدا بالنسبة للدول الكبرى ولقد كان هذا هو لبنا جوهر المسئلة بعنونه ١٩٢٢ . ان كلا من القومية العربية والصهيونية لم تصد له جانبية كبيرة للبريطانيين أو الفرنسيين أو الأمريكيين بالنسبة للسياسات العملية المتعلقة بالشرق الأوسط . ان كليهما لم يكون مفيدا في دعم المركز الاستعماري للسيطرة على — واستغلال — جدول النترول . لأن احدا بهما لم تراوده هذه الفكرة .

ومع قدوم سنة ١٩٢٢ . . أصبح كل من العرب والصهيويين أكثر اهميا بأن يكون مرعيا ومؤيدا للبريطانيين . . وأكثر من اهتمامه بالدخول معهم كشريك . ولهذا السبب على النترول أصبح — كما كان دائما — هو قوة ثالثة في الصراع بين العرب والصهيويين ومع غزور القضايا القومية ودبولها بعد الحساس الأول لها قبل سنة ١٩٢٢ . . على تصيه النترول امتجمعت قوتها و — بعدها بحمين سنة — حدثت ملحدات تحول ضخم في الموقف العالمي .

وليست هناك حاجة لأن نكرر من جديد تاريخ اهمية الشرق الأوسط . ولكن بالرغم من أن العناصر الأساسية قد أصبحت معروفة . . فإن هناك واحدا أو اثنين من الاستثناءات الأساسية

للقائه العامه . بناء على ذلك غلب ما يحتاج اليه هذا هو ان يؤكد على العناصر الاساسيه في دور سروس الشرق الأوسط .

لقد بدأت القصه مع اهتمام وزارة البحريه البريطانيه بامدادات الوقود اللامه للاسطول الملكي البريطاني .. والذي كان بحلول من النقص الى التزول . لقد بحث مجلس الحرب البريطاني واستولوا في الحكومه البريطانيه المطبعت العريضه لذلك ولكن خلال أشهر قسلة من اتفاقيه الهدنة في يومير سنة ١٩١٨ . انصحت عوامل اخرى اكثر ملامة لاهم السلطات البريطانيه . وكانت هذه العوامل كافيه لان يرمض السلطات البريطانيه لتباح لسركه « سكلير » الأمريكيه للتزول .. بان يرسل مرقى استكشاف الى العراق .

كانت اتفاقيه « سكلير ريمو » في ابريل سنة ١٩٢٠ قد أدت الى حل الحلافت الانجليزيه البريطانيه حول سوريا و فلسطين . وادت أيضا الى اقامة سوق مطلق سيايا - مقصور على البريطانيي والفرنسيي - بالمسبه لاسملاال التزول العرب . لقد اصاح الامر الى ست سموات من الجهد الامريكي المستمر قبل ان يتم التوصل الى اتفاقيه حديده سببت له اتفاقيه الحط الاحمر « في سنة ١٩٢٨ . في هذه الاتفاقيه الجديده لاصحح مسموحا للامريكيين بمشاركه محدوده في عمليات التزول الفرنسيه الانجليزيه . ولم يكن هذا التطور ممكنا - الا بعد ان اصحح عنصر الازياج الضحيه حانرا اضافيا .. اهتم شركت التزول الدولي .

لقد استمر الحال كذلك حتى شوب الحرب العالميه الثانيه . وخلال سنوات الحرب على الامر لم يضح من الامريكيين في هذه المرحه اى وقت على الاطلاق لالغاء اتفاقيه الحط الاحمر . في هذه المرحه كل الفرنسيين والبريطانيون يواحدون بمصاعب شديده ويحتاجون الى المساعدات الامريكيه . ولو لم يحدث هذا التطور الحديلا كان

البريطانيون والعربون قد ضمموا اشراكهم مع الأمريكيين في
الاكتشافات النورولية المحبة الحديدية في السعودية . ومع ذلك
فحتى قبل ان يحدث هذا التطور - نستطيع ان نعود حلفا الى
سنة ١٩٣٣ . وقتها كانت شركة النورول العراقية - وهي شركة
بريطانية - تستطيع ان تشترك مع الأمريكيين في عمليات البحث
والاستقب من النورول في السعودية . لكن شركة نترول العراق
اعتبرت ان طلبات الملك سعود المالية مرتفعة جدا . ان الشركة
قررت انها لن تدفع للملك أكثر من عشرة آلاف جنيه استرليني فقط
.. ثمنا للحصول على امتيازات النورول .. ولو كانوا قد عرضوا
عشرين ألف جنيه فقط - لكنوا حصلوا على الامتيازات . وعندما
دخل الأمريكيون في المناقشة معهم كانوا يريدون ان يضمنوا من
النهاية حصولهم على هذه الامتيازات . ولهذا عرضوا خمسين ألف
جنيه استرليني .. وحصلوا على الامتياز فعلا .

ان الارباح التي حصل عليها الأمريكيون من هذه الصفقة رادت
عن ألف مليون دولار . ولكن في الثلاثينات ، لم يكن قد انضمت بعد
إمام الشركات النفطية المعتمدة . مصلحة الأمانى المالية لأعمال
النورول . ان تلك الشركات النفطية - التي كانت هولندية وبريطانية
اسميا - كانت تحصل على ارباح ضخمة جدا من النورول مقابل
انباق قليل جدا . انها كانت سعيدة بذلك .. ولم يكن تغيير هذه
المقايمة ممكنا .. الا مع مشوب الحرب العالمية الثانية .

مع قدوم سنة ١٩٤٢ . كانت السياسة الأمريكية النورولية
بأحد لسانها الأخيرة ، متحررة من قيود اتفاقية الحط الأحمر . ان
الأمريكيين تلقوا - في وقت مبكر من تلك السنة - مكره بريطانية
. اراد منها البريطانيون ان يقدموا الأمريكيين - بالاهية
الذبرى والمترابذة للشرق الاوسط بالنسبة للكومولث البريطانى .
.. وهي اهية رأى البريطانيون لها تفوق أهمية المنطقة بالنسبة

للولايات المتحدة . لقد طلب البريطانيون التسليحت مع الأمريكيين حول هذا الموضوع . . . ولكن الأمريكيين احتجروا هذا الطلب .

مع ذلك من بريطانيا تصورب انه يمكن اقتناع الأمريكيين — « ان يسمحوا لنا بتحرر معي من الملوحة السيلية » ولكن الأمريكيين لم يكونوا ميالين لذلك . ان المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي روزفلت — هالغورد هو سكرتير — منح الرئيس بأن هذه هي الفرصة الحقيقية الأولى أمام الولايات المتحدة لكي تسمى مصالحها بالشرق الأوسط فيما بعد الحرب . وحتى لو تصرفنا واشطن ككثيرك اصغر للبريطاني — فإن أمريكا لابد ان تترك — وتحتفظ بتزايد مصالحها السروليه في المنطقة . و « . . . نشيا مع هذا التفكير فانه أوصى أيضا بأن تعرض الولايات المتحدة الادعاءات الصهيونية في فلسطين . . . وفي الحقيقة فإن السيطرة على البرول تحتل الآن أولوية مطلقة في السياسة الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط » . هكذا أصبح هناك ادراك أمريكي كامل بأن بقول الصهيونية أصبح بشكل واحد من أكبر الحوائز المالية .

وفي نفس الوقت طلب وزير الخارجية الأمريكي من حكومته وزير حبيبة حثيثية ومماسية للمصالح الأمريكية ضد النوايا البريطانية طويلة الأجل الخاصة — « . . . تلبية مركزهم في غرفة ما بعد الحرب بالشرق الأوسط على حساب المصالح الأمريكية هناك » . ومن ثم . . . فإن وزير الخارجية الأمريكي منح حكومته بأن تقتصر مساعدتها للبريطاني فيما يتعلق بتوسيع مصالحهم السرولية . على القدر الضروري اللازم لطلبات الحرب الخاصة .

كان هذا الاحتمال بالاحاح والتدخل في واشطن — يعديه

حسن الطالع في اكتشافات البترول السعودي — يمتد الى دائرة
اكثر من هؤلاء المنصلين به مباشرة . تحليل فترة قصيره من رسالة
وزير الخارجية الأمريكي . . قام « جيمس مورسفال » . . وزير
البحريه الأمريكي بخبراء حديث شيموس مع الرئيس الأمريكي
روورملت . لقد احمر الرئيس بل رجال البترول الأمريكيين بملفون
لاحصول على تأييد ومسانده الحكومة الامريكيه فيما يسعى ببتول
السعوديه . . ولكنهم في نفس الوقت لا يريدون مشاركته الحكومة .

وفي تلك المكنة المسطحة قال وزير البحريه للرئيس الأمريكي
« ان الشيء الرئيسي هو ان هذا الكثر البترولى في السعوديه . .
هو شيء « يجب الا نضره بأي شيء » . بعدها احمر الرئيس بل
البريطانيي ارسلوا الى السعوديه خمسمائه رجل عسكري تحت
اسم خبراء لحاربة الجراد . . بينما هدمهم الحقبلى هو ان « يروا
ماذا يفعلون نحن هناك وما الذى حصلنا عليه » .

لقد كان البريطانيون متشبهين الى هذا الاهتمام الأمريكى ،
المحوم والمغاهى ، ببتول السعوديه . ان رئيس الوزراء
البريطاني وسفوف نشرشش شمر بأن عليه ان يرسل برشيه الى
روورملت تميم مالمسلطه والحفاظ . يحذر فيها بل هناك هشيه
في مجلس الوزراء البريطانى من ان « الولايات المجدده لديها رعمه
في ان تحرمنا من ممتلكات البترول الخاصه بنا في الشرق الاوسط
— والتي تعتمد عليها — من اشياء اخرى — كل الامدادات
اللازمه لاسطولنا البحرى » .

لقد احاب رورملت منه انزعج من اشاعه « ان البريطانيين
يرغبون في ان ينقموا بقرمهم في احتفالات البترولى بالسعوديه » .
وكان هذا الرد من رورملت هو انشيساره حطر رآها نشرشش
بوضوح — واضطر بعدها ان يسلم في النهايه بالامر الواقع ،
حتى لا يؤثر هذا على التحالف العربى في الحرب . وساء على ذلك

قرر نشر مثل أن مضمي درجة الحرارة ودراسة شخصية بعض مها
الى رورملت . انه شمسك الرئسي الأمريكى على أن الحصول
البريطانية للسفرون في ايران والعراق لا « ترعلل » ميون
الأمريكيين . بعدها قال له : « انى أعطيك ضمانات وتاكيدات
كاملة باننا لا نمكر في أن نمنع تقريبا في مصالحتكم أو ثروكم في
المعمونة . ان بريطانيا لا تريد مكاسب اقليمية أو اية مكاسب
أخرى من الحرب ، ولكن يجب عدم حرمانها من أى شيء ينتمى
اليها بطريقة مشروعة . . على الأقل سلامة أحسن ممتلككم في حسن
تصهيري للأموال » .

كانت تلك هي أيام القرعنة الرومسية بالنسبة لبتول الشرق
الأوسط ، وأولئك كانوا هم الرجال المسلمين بها . ان بعضهم كان
مهما بالأمس القوي ، وبعضهم اهتم بالمكاسب الاقتصادية —
وبعضهم بالمكاسب الشخصية أو الحصول على أكثر قدر من الثروة
— سياسيين تلك الأيام . ان النفقات السياسية كانت موجودة هي
الأخرى . . ولهم لم تكن بعد مهيمنة .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية . . جاء المصير . لقد كل
تعبيرا كاملا واجهته شركات البترول . ان المقارنة كانت كاملة ،
والثناصيص أصبح نابا . . بين الرجال الحديد . . والسياسات الحديدية
.. والنظورات الجديدة لسنة ١٩٤٦ . . عن كل شيء قبلها . لقد
كلن تعبيرا الحرس القديم صما ، وكثير من الشركات لم يعمل ،
ولم يرغب في اجرائه . لو . . لم يمتنع بعمده ان إحدى الحالات
الواضحة لذلك كلن يمثلها السير « ويليام فرانسر » الرئيس
العظم للشركة الإمبريالية البريطانية للبترول . انه كلن يتحدد
اجراءات مشددة للعملية . . لكن يضمن في النهاية انه لا أحد خارج
مكتبه . . يعرمد لقرار عمليات شركته في ايران ، أو ما هي

الأرباح الحقيقية التي تحمل عليها الشركة من عملاتها في إيران .
 ان الميراثية السعودية للشركة كل يتم تصميمها بحيث يحظى
 المعلومات بأكثر مما تكشف عنها . ان كل ما كان معروفاً هو ان
 الحكومة الإيرانية حصلت على عائد مسوى يتراوح بين مليونين
 وأربعة ملايين حبة .. ثمناً للترول ثم يبعه بملح يتراوح بين ٧٠
 و ١٠٠ مليون حبة استرلينى . ان معظم التحريات المستقلة للخبراء
 الإيرانيين والمنتمين الأمريكيين لم تكشف عن التكاليف الحقيقية
 لهذا الاساج للترولى .. لو حدود الأرباح التي حققتها الشركة
 الاحتلرية . مع ذلك — على لحنه في مجلس الشيوخ الأمريكى
 أعدت « هيئة تكاليف » محسوبة على أساس التترول المستخرج
 من المملكة السعودية . ان الظروف هناك كانت مشابهة لتلك
 القائمة في إيران — فيها عدا ان الرسوم التي يدفعها الأمريكيون
 كانت أعلى مما يدفعه البريطانيون بقدر ملموس . مع مراعاة هذا
 الاختلاف — على الرغم الاجمالي الذي حققته الشركة البريطانية
 الإيرانية في السنوات العشر ما بين ١٩٢٤ و ١٩٤٣ يقدر بأشائه
 مليون دولار ، بينما الرسوم التي تم دفعها للحكومة الإيرانية خلال
 تلك الفترة لم تزيد عن مائة مليون دولار

ومن المريب ان الإيرانيين في ذلك الوقت لم يكونوا يطالبون
 بأية زيادة في الرسوم . ان كل ما كان الإيرانيون يسعون اليه
 هو الحد الأدنى من المشاركة — أى مجرد الاعتراف بالحدود الإيرانية في
 « الشركة الإيرانية البريطانية » . مجرد اثنين من الإيرانيين في
 مجلس الإدارة . ولم يكن هذا يبدو بقليل الكثير .. ومع ذلك
 كان رئيس الشركة غم المضمون فوراً . وحيفاً قيل له انه
 يستطيع ان يشترى السلام مع الإيرانيين بمجرد وظيفتين ، فانه
 رد بالفعال وسخط وغضب قاتلاً : « هل تريد ان ينظروا في
 دفترا ؟ » و .. كان هذا هو كل شيء .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية .. بدأت الأيام الذهبية للبترول .

ان اعادة تعمير أوروبا بعد الحرب — والاحتياحات الحادة في الولايات المتحدة قد تطلعت حدود ما سبق مسوره بالساسة للبترول . ان أوروبا كانت عطشى للبترول ، والذين يستطيعون امداده بوفرة .. اصبحوا هم رجال شركات البترول الدولية — التي تسيطر على حقول البترول في ايران والسعودية واسعراق والخليج الفارسي .

وفي ظل تلك الظروف .. فلن شركات البترول لم تكن تريد ان يظهر اي عربي أو إيراني في صفاتها .. او يسال الى ماسها . ان الشركات تفضل اي شيء — بما في ذلك دفع رسوم اعلى — حتى يتحقق ذلك . انهم يستطيعون قبول اي ربح في الرسوم ولكنهم في الشركات لا يستطيعون قبول فتح صفاتها للإيرانيين أو العراقيين أو السعوديين ولا حتى للمستهلك او دافع الضرائب البريطاني والأمريكي .

ان الشركات البريطانية أصبحت الآن مخطوطة ومحصنة بقوة في ايران والعراق .. والأمريكيون في السعودية . أنهم يحكمون في نظم النقد الأجنبي الذي تملكه تلك البلاد . ان الإدارات القوية للعلاقات العامة والصحافة في شركات البترول مطهران ويمداد تقوم بترشاد الصحفي الأجنبي عبر ممر الفهم الصحيح .. وتقدير العمل الطيب الذي تقوم به شركات البترول داخل تلك البلاد — ليس هذا فقط ، بل انها قامت أيضا بمساعدة الصحف المحلية وبعض الصحفيين في حل مشاكلهم المالية .. ان مصروفات الشركات على هذه « المساعدات » كانت كبيرة وغير محيية — ماكينيس الساذقي تلك الفترة . لقد كان هناك ميسيون ووزراء .. قلاوي على

أن يعطوا لأنفسهم جزءاً من تلك المساعدات التي كانت تقدمها شركات النترول أن كلا منهم لم يكن مطالباً بعد ذلك في اظهار تقديره لشركات النترول في صحتهم ، وفي مجالسهم .

وبصرف النظر عن بعض حالات التمرحمة المتطرفة من مركز شركات النترول في ايران والعراق والمصوذية بدا حصينا ومينما — خصوصاً في السنوات التالية مباشرة للحرب العالمية الثانية . وهكذا مضى الحال . . برغم الصعوبات التي علتها شركات النترول . فبعد كل صيحة . . كانت شركات النترول يصرح كما هي . احياناً باسماء جديدة — ولكن دائماً بأرباح متزايدة وبفود منضم . لقد كان على تلك الشركات أن تدفع أكثر — ولكن هذا لم يجعلها تشر باى سوء . ان الشركات استطاعت في النهاية أن تحصل على مساهم حديد في لرباحها . دافع الضرائب البريطاني والأمريكي .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية — أي في سنة ١٩٤٦ — لم يرد اهبالي الرسوم المنقوعة لدول الشرق الأوسط من عشرة ملايين جنيه استرليني . . بينما لم تقل ارباح شركات النترول عن مائة مليون جنيه استرليني .

كانت تلك كما يحدث في ذلك الوقت — لرؤساء ضخمة . ولكن من وقتها . . حدثت ثلاث لزمات بقولية على الأقل . ثلاث أزمات ضخمة . . معرضت فيها ابداعات النترول لخطر حقيقي أو مدالغ فيه . كانت هناك ثورات وحروب وانتفاضات سياسية خطيرة . . في كل دولة من دول الشرق الأوسط . وفي نهاية هذا كله — أي في سنة ١٩٧٢ — وبعد ٢٥ سنة من العداوة . . فإن الرسوم التي أصبحت دول الشرق الأوسط تحصل عليها في سنة واحدة من طريق الامتيازات والضرائب تصل إلى عشرة آلاف مليون دولار —

أي أن الرقم ارتفع من عشرة ملايين جنيه إسترليني في سنة ١٩٦٦ إلى أربعة آلاف مليون جنيه إسترليني في سنة ١٩٧٢ .

كل هذا حدث .. بينما الشركات السبع الرئيسية ما زالت تحقق الأرباح . في الواقع أن دخلها الصافي من نفط الشرق الأوسط وصل في سنة ١٩٧١ إلى مليوني ونصف مليون دولار ، أو ما يعادل ألف مليون جنيه إسترليني ، من بين دخل إجمالي قيمته خمسة بلايين وربع مليون دولار .

وذلك أن مستثمر لمحت النتائج السياسية لهذا المعجم النفطي في السبعينيات على التقييم الكامل للأرباح الثلاثة من نفط الشرق الأوسط يحتاج إلى مزيد من البحث . أن مجال هذه العملية منحصر للاهتمام .. والحقائق الأساسية هنا سطت - مع إحصاءات بسيطة - على المبالغ الإجمالية المتعلقة بكل كبار منتجي النفط - غيبا عدا ليبيا .. التي كانت حديثا سببا . أن المملكة العربية السعودية يمكن تقديمها هنا كنموذج مثالي متكرر في حالات إيران والكويت و .. على مستوى أقل - العراق .

على الفترة ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٧ حصلت الحكومة السعودية من دخل النفط على ١٧٨٥ مليون دولار . وخلال الفترة هذه على الشركة العربية الأمريكية للنفط (أرامكو) حصلت ربحا صافيا يبلغ ٢.٢٩ مليون دولار من عملياتها النفطية في السعودية .

أما في الفترة ما بين سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٧ عند حصلت الحكومة السعودية على ٥١٥٥ مليون دولار .. بينما قدرت أرباح شركة « أرامكو » إلى ١٧٠٠ مليون دولار .

وخلال الفترة ما بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٢ حصلت الحكومة السعودية على ٧٨٢٤ مليون دولار - بينما الأرباح الصافية لأرامكو - ما زالت ترتفع - وصلت إلى ٥٤٠٠ مليون دولار .

إن الانجاء العلم كل هو نفسه في حالات إيران والكويت
 مؤخرا - ليبيا والطبع العربي . ومع ذلك يجب أن نلاحظ أنه
 في داخل هذه الأزمات توجد ثلاث أزمات بتولية كبرى . هناك
 أولا أزمة سنة ١٩٤٦ ، حينما واجهت أوروبا وروسيا وأمريكا
 تنصا عاجلا في الإمدادات البترولية بسبب التوسع الاقتصادي .
 وهناك ثانيا أزمة سنة ١٩٥٦ .. حينما أغلقت قناة السويس ،
 وهناك ثالثا أزمة ما بعد حرب ١٩٦٧ حينما أغلقت قناة السويس ،
 وظلت كذلك حتى الآن . إن كل واحدة من هذه الأزمات تم امتصاصها
 عن طريق مزيد من التوسع ، ومزيد من المدفوعات للحكومات
 المنتجة ، ومزيد من الأرباح للشركات نفسها . إن الحكومات
 المعنية لم تعال شيئا ، فلقد أصبحت أغنى . والشركات الدولية
 للبترول لم تعال شيئا .. بالرغم من أنه أصبح عليها أن تستفيد
 من هذا التصخم المتزايد في أرباحها . لقد دفعت الشركات أكثر
 .. وأصبحت مسيطرة في الدخل الإجمالي أقل .. ومع ذلك لم
 أرباحها ظلت تتزايد إلى درجة أكبر وأكبر .

ما هو السر في هذا العجز ؟ إن في الأمر لعرا كبيرا وسرا أكبر
 .. فكيف محل الاتني مما ؟ هذا السر هو واحد من الأسرار التي
 ظلت شركات البترول تتكتمها طويلا ودائها بالاستئثار مع العرانة
 البريطانية والعرانة الأمريكية . إن الرجل الذي اكتشف هذا السر
 في مبرانيات شركات البترول كان هو للحكم العراقي عبد الكريم
 قاسم .. الذي ربما تكون له مملووية كثيرة .. ولكنه كان يعرف
 عالم البترول .

حينما ذهب فريق مبرطاني لمقابلته وبنقش معه اتفاقية جديدة
 يريد إبرامها مع شركة متروك العراق .. مخدى قاسم رئيس
 الشركة أن ينكر هذه الحقيقة : أن الرسوم التي تدفعها الشركة
 لا تشكل أى عيب على مبرانية الشركة مادامت الحكومة البريطانية

سمح للشركة بحصص المخفوعات التي تقدمها للحكومة العراقية .
من مخفوعات الشركة للضرائب البريطانية . بكلمات أخرى ..
على رسوم البنزول — وبقي مخفوعات البنزول — كانت مصحومة
ضرائباً .. ومن ثم كان يدفعها في النهاية ليس هو الشركة
— ولكن دافع الضرائب البريطاني .

أن أحدا لم يكن سيمسح لهذا بهذا الاسكار المرائي الشاذ —
الذي لم يعلن عنه أبداً أمام البرلمان — لو أنه ظل مصر مسؤولاً
في المفاوضات الخاصة بين شركة بنزول العراق ، وبين الجنرال
كاسم . ولكن قاسم كان قد سجل الحديث بحبر علم المفوضين
البريطانيين — ثم نشره وترجمه وأذاعه من راديو بغداد .

وحسباً لسائل المعص — واندحش الكثيرون — تبين في النهاية
ما يلي : أنه في وقت ما من أواخر سنوات الأربعينات وانفت
الحكومة البريطانية على فكرة فتحها الحرة البريطانية للساح
لشركة بنزول العراق بأن تحصص رسموها المدفوعة للحكومة
المرايية من الضرائب التي تلزم الشركة بدفعها للحكومة
البريطانية . أن شركات البنزول الكبرى في فرنسا والولايات
المتحدة توصلت إلى اتفاقيات مشابهة مع حكوماتها . وعلى هذا
الأساس ما شركة بنزول العراق وحدها استطاعت أن تخفف
رسموها المدفوعة للحكومة المرايية من الضرائب التي تلزم
الشركة بدفعها للحكومة البريطانية . أن شركات البنزول الكبرى
في فرنسا والولايات المتحدة توصلت إلى اتفاقيات مشابهة مع
حكوماتها . وعلى هذا الأساس فإن شركة بنزول العراق وحدها
استطاعت أن تحصص — فيما بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٧٢ — مبلغاً
يصل إلى سبعة آلاف دولار .. من فاتورة الضرائب المستحقة
عليها في المملكة المتحدة .. مما يعني أنها لم تدفع تقريباً أية

ضرائبه اطلانا على حصتها في الأرباح .. التي كانت كبيرة بما يساوي على الأقل تلك الأرباح التي حصلت عليها الحكومة العراقية . ان نفس الشيء ينطبق على معظم شركات البترول الأخرى المحلة في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة

ذلك ان كنت هي الحيلة التي امنست بها شركات البترول صدمة ارتفاع مدقومتها ، وهي الحيلة التي كس المستهلك هو في النهاية الذي يدفع ثمنها . وبهذه الطريقة استطاعت الشركات ان تتغلب على أزمة سنة ١٩٥٦ التي كانت أزمة أروسة .. وأزمة إغلاق القناة في سنة ١٩٦٧ .. ولم تسبب لها تلك الأزمات أية مشكلة ، سب عداتها رغبت من التكاليف والأرباح .. بعين ان يكون هناك نقص في البترول الداهب الي أوروبا وأمريكا .

ومع نهاية سنة ١٩٧٢ ، وفي أعقاب اعاده انتخاب سيكون لنصيب الرئيس الأمريكي خان خبراء البترول بدأوا يحضون بأزمة من نوع جديد .. في هذه المرة لم تكن أوروبا - المستبدة دائما على بترول الشرق الأوسط - هي التي تواجه أزمة في الطاقه . انها الولايات المتحدة نفسها ، هي التي تواجه أزمة طاقه .. في هذه المرة . انها لم تكن أول مرة ، لهذا فلابد من الرجوع الى الوراة قليلا .. حتى نكتشف التطورات الحقيقية للمصالح طويلة المدى لشركات البترول الكبرى .

ان التنمية الأصلية في هذه الأزمة ، عزمها أصلا ، تشارلز ويتور « الذي كان مستشارا لوزارة الخارجية الأمريكية ، وكلين هو نفسه احد رجال صناعة البترول الأمريكي . ففي سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر أمريكي برميطقي على مستوى عال ، واستمر لفترة قصيرة ، بهدف مناقشة امكانيات البترول . وبعد انتهاء المؤتمر أعاد « تشارلز ويتور » يملأ قلم بتوزيعه مكتب الاستعلامات

الحكومي الأمريكي . ان « ريمور » حاول في تلك السنين ان يشد الانتباه الى التوقعات الخطيرة التي تواجه الولايات المتحدة فيما يتعلق بالبنترول . لقد قال انه في سنة ١٩٦٥ سوف يصل استهلاك امريكا من البنترول الى معدل يبلغ ٢٢٥ مليون طن في السنة . . بسبب الانتاج في امريكا سوف يبلغ ، بالكثير ، مائتي مليون طن . وفي نفس الوقت تقريبا ، كل سنتين يحتاج ازمه البنترول في الاتحاد السوفيتي مع السفر الأمريكي المعين حديثا في موسكو الجنرال « ليندل سميث » . ان سنطين كل مشجونا بالمرارة بسبب الطريقة التي سدت بها امريكا وبريطانيا كل المسالك امام المحاولات الروسية للحصول على مزيد من الامتيازات البترولية . . خصوصا في ايران . لقد تحدث معه عن حاجة الاتحاد السوفييتي الى نصيب اكبر من موارد العالم ، وقال ليندل سميث : « انكم لانفهمون موقفا منها بملق بالبنترول وايران » .

ول ٦ فبراير سنة ١٩٤٨ نشرت وزارة الخارجية الأمريكية تقريرا آخر يدعى ان موقف امدادات البنترول خطير بحيث يستدعي ضرورة تخفيض استهلاك الدول الأوروبية التي تطلب المساعدات الأمريكية بنسبة كبيرة . . وإلى على الولايات المتحدة ان تفكر بسرعة في استيراد البنترول من الشرق الأوسط . ولقد صدرت بعدها تقارير مشلحة من وكالات عديدة . ان صناعة البنترول الدولية — خصوصا القطاع الأمريكي — استجبت بشغف لهذا التحدي . . الى درجة ان التناقضات في ان تكون شركات البنترول نفسها خلف هذه التقارير . . ما دامت هي التي رمت كثيرا من هذه الاستدارة في الاحداث .

وهكذا كانت الشركات تمتص كل الازمات ، واحدة بعد الأخرى ومع نهاية سنة ١٩٦٧ — وبعد ثغر بحرب يونيو — ارتفع انتاج

الشرق الأوسط من البترول الى ٥٨٠ مليون طن .. ثم تضاعف في السنوات الخمس التالية . بحيث وصل الى سنة ١٩٧٢ الى ألف مليون طن .. وما زال يواصل الارتفاع بسرعة .

وقد حدث خلال نفس الفترة ان غيرت شركات البترول الأمريكية ملكيتها مع شركات البترول البريطانية والهولندية . غنى بداية هذه الفترة كان الأمريكيون هم الشركاء الأمهر . ان حصصهم كانت تمثل ١٢ / غطت من البترول المنتج من الشرق الأوسط في سنة ١٩٤٥ . ثم خسرت النسبة الى ٥٨ / في سنة ١٩٧٢ . وبرغم الضغوط التي تمارسها الدول صاحبة البترول .. لم تكن الشركات الأمريكية هي الآن في موقف السيادة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا .

وهكذا فس التغييرات التي طرأت في سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ثبتت هيئتها . ان الأهمر الإداري والنسبة لصناعة البترول استطاعت ان تتغلب سحاح مواصل على أكثر المشاكل واصعبها . ولكن لجهربها السياسية التحليلية لم تكن تصنع بمثل هذه الكفاءة .

لقد كان التهديد المظلم موجود لثمة سرولية .. له بواحيه السياسية والحربية من البداية . ان الرئيس الأمريكي الأسبق ثرومان قد سجل في مذكراته اهتمام وزارة الخارجية الأمريكية وهيئة لركن الحرب بهذه المسألة في سنة ١٩٤٦ ، اي في الوقت الذي كان « ريبور » يمدليه تقريره . لقد كان الأشلى بحشيل ان تشمل السياسة الأمريكية في ان تاجد في اعتبارها « .. ان السيطرة على البترول في الشرق الأوسط كانت دائما اعتبارا خطيرا جدا .. ولا يجب انخذل اي عمل يكون من شأنه يوريط قوات الولايات المتحدة ، او يحول شعوب الشرق الأوسط بعيدا عن

القوى العرصة .. ما دامت لما مصلحة لمن جوية هناك . لقد
كان القادة السياسيون هما مهتمين أساسا بمتروك الشرق الأوسط ،
وبالاعتبارات طويلة المدى الناشئة من الخطر المقرب على أن
العرب — بدعمهم في ذلك العمل العدائى العربى فى فلسطين —
قد نصح لهم قضية مشتركة مع روسيا .

لقد كنى هذا يمثل — ملاحظ — سررا أصلا لاهتمام هيئة أركان
الحرب الأمريكية . يمثلنا كلى هناك تعلق مشاهير فى صناعة
البتروك .. حول مستقبل مركز الولايات المتحدة فى الدول صاحبة
البتروك . وفى الحقيقة .. على هذا الاهتمام كانت تشترك فيه
أيضا هيئة أركان الحرب ، والحكومة ، فى لندن

ولكن العملية لم تتوقف عند هذه النقطة . إنما لا يستطيع أن
تحدد كيف مع هذا التوافق فى الأحداث : تحديد « ريبور » الحاصل
بالبتروك .. تحديد هيئة أركان الحرب الأمريكية للرئيس ترومان
بالا يذهب بعيدا فى حساباته الصهيونى بسبب وجود عامل البتروك
العربى .. ازدياد العائدات لزيادة انتاج البتروك .. نمو اليهود
الاقتصادى الأمريكى فى الشرق الأوسط .. كل هذا ، هل كن
بالصفة ؟ من الحائر أن يكون الأمر كذلك مرة ، لو حتى مرتين
ولكن .. ليس أربع مرات وأكثر . أن شركات البتروك لا تميل
للصدق .. إلا إذا كانت هناك روح جرسة .. تؤدى إلى توجيه
الأحداث فى هذا الطريق .

وهكذا مأمى إلى الضرورات السياسيه لازمة الطاقة ، والتي
استقرت مرة أخرى على كبرى الولايات المتحدة والعالم العربى .
لمرة أخرى يحدث ذلك من خلال التحديث الطبية لمجلس البتروك
القومى الأمريكى — فى ديسمبر ١٩٧٢ — قبيل إصدار بيكرسون
لبياناته السياسيه الخاصة بمدة رئاسته الثانية . أن انمجار

أزمة الطاقة كن مغويا في كل مكان . في لندن أسرت « الأوبيرغر »
المشكلة في ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بعنوان « أزمة الطاقة تهدد
أمريكا » . في إسرائيل قامت صحيفة « الحريزيم » بنشر تقرير من « وول ستريت جورنال » بعنوان يقول « احتمال
الانقراض العربي يحتمل الولايات المتحدة » . كل هذا في أول
فبراير ١٩٧٣ . وقبلها بنسبوع حصلت مجلة « نيورويك »
الأمريكية قصة علاقتها لـ « أزمة الطاقة الأمريكية » .

ومن حيث الخطوط الأساسية ، على المنشآت والنتائج لم
تكن تختلف كثيرا عن تلك التي كتب قائمة في سنوات ١٩٤٦ و
١٩٥٦ و ١٩٦٧ . أن مجلة « نيورويك » لحصل النتائج
السياسية للأزمة في سنة ١٩٧٣ بشكل يكاد يكون متطابقا مع
ما خرجت به هيئة أركان الحرب الأمريكية في سنة ١٩٤٦ . قالت
« نيورويك » : « من الناحية الدولية .. يمكن للأزمة أن تغير
أمريكا على وضع قائمة جديدة من الأولويات في الدبلوماسية
الأمريكية . أن الولايات المتحدة يمكن في النهاية أن تهدد نفسها
بسمعة ومطالبة من حلفائها الإسرائيليين كجزء من محاولتها
تحسين علاقاتها مع الدول العربية .. التي تسيطر على معظم
احتياطي العالم من البترول » .

لقد كان هذا موقفا مبهوما في سنة ١٩٤٦ ، وظل كذلك في
سنة ١٩٧٣ . أن الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وأوروبا
العربية . يجب أن تضع مصالحها في المكان الأول .. ومصلحتها
البترولية هي أساس هام جدا لأممها ورفاهيتها الاقتصادية .

ولكن ما أخطأت فيه شركات البترول الكبرى الرئيسة ، كان
افتراضها أن هناك طريقا سهلا لصالح علاقات طيبة مع الدول
العربية صاحبة البترول .. عن طريق عدم مساعدة — أو عدم

الاتحاد مع - إسرائيل . وحيمه - مثلاً - رحفت شركة « شل » لكن تخرج من إسرائيل في الخمسينات ، و باعت ممتلكاتها النسيبة وحقوقها لإسرائيل بسعر بخس . . . فإن هذا لم يغير حقيقة مشاعر الوطنيين العرب نحو المؤسسات السرولية الدولية . . . ولم يقتل من عدائهم أو يحبس مطالبهم . وعلى العكس من ذلك ، لقد تصرمت الدول العربية على نحو أصبحت تمارس معه معطاً أكثر على شركات البترول . أن ما لم تمنحه شركات البترول في أيام غرومان - وما زالت لا تمنحه في أيام بركسون - هو أن إسرائيل خفّت ، إلى درجة كبيرة ، شيئاً ممصلاً في الشعور العربي من شركات البترول الأمريكية والبريطانية . أن القضية هنا هي معها التي أدت إلى أزمة البترول الأيراني في سنة ١٩٥١ ، التقسيم غير العادل للمال في السنوات المبكرة للصناعة . . . وتصور الدول العربية أنها في موقف يسمح لها بأن تطلب نصيبها - مع شيء من الريادة .

والذي يجب أن يكون مفهومًا لمديري شركات البترول في سنة ١٩٧٢ ، هو أنه صرف النظر عن حجم التكاليف الذي تتلقاه الحكومات العربية من أمريكا وبريطانيا ضد إسرائيل . . . فإن هذا أن يؤدي إلى أي فرق بالنسبة للمصنع العربي على صناعة البترول العالية . بل على العكس . . . سوف يؤدي هذا إلى تشجيع القوميين العرب على ممارسته مزيد من الصعوط . أنس لا أتول هذا كيهودي فقط ، ولكن كبريطاني أيضاً .

ولكن هذه لم تعد هي طبيعة توازن القوى في الشرق الأوسط في سنة ١٩٧٢ ، فحتى قبل أن تصبح أزمة الطبقة الأمريكية قضية ملية في نهاية تلك السنة ، فإن تحولاً استراتيجياً قد حدث في الشرق الأوسط ، منتاج عميقة تسمى كل الأطراف

المسيه . اننا نحتاج هنا الى ان نتذكر ان الحكومة البريطانية وصلت مبكرا ، في سنة ١٩٢٢ ، الى نتيجة بسيطة هي : انه لا الصهيونيون في فلسطين ولا القوميون العرب .. يستطيعون ضمان أمن واستقرار المنطقة . وبالتالي بتزولها الذي لا يمحوس اقتصاديا واستراتيجيا . ان السياسة البريطانية الحالية رتبت نفسها على هذا الاساس . وبناء على ذلك فاتها لم تصنع في الاعصار كلا من القوميين العرب والصهيويين . لقد احدث في اعتبارها فقط ضمان أمن واستقرار التدفق المستمر للبترول .. ومروره عبر المنطقة . كل هذا في سنة ١٩٢٢ .

ولقد ظل هذا هو العامل السائد خلال الخمسين سنة التالية ، بما في ذلك سنوات الحرب العالمية الثانية .. وما في ذلك ايضا العوامل التي دفعت ببريطانيا الى معارضة قيام دولة اسرائيل . وحيثما افسح البريطانيون الطريق أمام الأمريكيين — بعد ازمة السويس وصفتاتهم في الأردن والعراق في لوائح الحمصيات — على السياسة الأمريكية ظلت تدير على نفس الخطوط الأساسية تقريبا .. فيما يتعلق باعطاء الأولوية المطلقة لمصالح تدفق البترول من الشرق الأوسط .

ان الأمريكيين اعطوا امعلا استراتيجية جديدة بالنسبة لدور الشرق الأوسط في سياسة العالم .. واندخلوا الاسطول السادس في البحر الابيض كرمز للوجود الأمريكي والمصالح الأمريكية . ولكن ، طبقا لهذه الاعتبارات العالمية .. على الصهيويين في شكل دولة اسرائيل .. والقوميين العرب ممثلين في مصر وباصر .. لعبوا محرد دور هامشي ومحتل . ان ليا منهما لم يسكن عاصرا ضروريا رائدا لو مقصدا في نظام الأمن الجديد الذي اقامه الأمريكيون محل البريطانيين .

لقد ظل هذا هو جوهر علاقته العرسه الاسرائيلية مع
الأمريكيين خلال الستينيات . وبشكل أساسي قبل الموقف لم يكن
محتفيا في أول يونيو ١٩٦٧ ، عن ذلك الذي كان عليه في أول
يوليو سنة ١٩٢٢ .. فلا القوميين العرب ولا اليهوديين كل
شيئا لا يعوم بالسببه للأمر الأمريكي والدفاع عن المصالح
المترولية الأمريكية الضحية في الشرق الأوسط .

وحينئذ .. بدأ التحول .

إن التحول الحثيث لم يحدث فوراً عقب حرب الأيام الستة ..
لأن تلك الحرب — مع كونها معرا اسرائيليا محبا — إلا أنها
ما تزال محلبة فيجبها ضد مصر وضد العرب .

إن هذا التحول لم يلاحظه أحد .. إلى أن بدأ عهد الناصر في
سنة ١٩٦٩ يشي ما أسماه بـ « حرب الاستنزاف » عبر القاء
.. وصديا بدأ الإسرائيليون يستحبون لذلك تصميمه التحدي ..
اضطر السوفييت أن يسلبوا من مصر الحقيقي في مهران القوى
بالشرق الأوسط قد تم فعلا . مع وجود المساعدات الأمريكية
الضخمة في المعدات والأسلحة وكفتيحة لتوسيعها الصناعات الخاص
.. في اسرائيل اتمت حقيقة في سنة ١٩٧٠ .. ما بدأ كجهد
مريق من الصراع المحلي في يونيو ١٩٦٧ . لقد أصبحت اسرائيل
عنصر عسكريا رئيسيا في الشرق الأوسط . بل انها أصبحت هي
القوة الوحيدة القادرة على اتخاذ اجراء حاسم .. ما دامت
القوتان الأعظم قد شلتا موقعهما المتبادل من التعادل . إن هذا
الوضع كان يعني أن أيا من أمريكا وروسيا لا تستطيع التصرف
في انعطافه بغير التعرض لعميل مضاد تقوم به القوة الأعظم
الأخرى . أما اسرائيل فلها لم تكن تشعر بمانع في هذا الحال ..
وتستطيع أن تصرب حينما تريد .. دون حاجة إلى أكثر من

الولايات المتحدة على تنفيذها . لقد كان هذا هو أهم تطوير يقع في منطقة الشرق الأوسط منذ سنة ١٩٢٢ . فاجبرا حذا ، أصبحت هناك دولة واحدة في المنطقة لا تشيخ الولايات المتحدة بموقفها . إن ما فشل جليم وإيرمان في تحقيقه سنة ١٩٢٢ . حققه موثي ديل في سنة ١٩٧٢ . وكما سري فيما بعد ، على ديل كل هو الذي جعل ذلك . . ليس مسر مائر ، ولا أي أحد آخر . أنه انهم قوة ثالثة - قوة عسكرية حققته - في الشرق الأوسط . هذه القوة كل لا بد أن تصبح بطبيعتها عمرا رئيسيا بالنسبة لأمن إمدادات نفط الشرق الأوسط إلى الولايات المتحدة . ودرجة مساوية إلى أوروبا . أما اليابان ، فالواقع أن أهداف على نفط الشرق الأوسط كن كاملا بحيث أن ٩٠٪ من احتياجاتها بحره من هذه المنطقة . أن هذا الوضع يؤدي بدوره إلى مصاعبه المسلحة المباشرة . . وموسيع منطقة اتفاق المصالح بين اليابان وإسرائيل .

أن إسرائيل أصبحت هي أداء النقيب الوحيدة الميكنة . . التي يستطيع الأمريكيون والأوروبيون واليابانيون استدعاءها عندما يريدون مواجهة العرب وأثرياء النفط في سنة ١٩٧٢ . . والذي تعتمد إمدادات النفط لاحتبة نالية . . على حسن مواليهم .

أن حكام إيران والسعودية والكويت وليبيا والمراق ، وسلاطين وشيوخ الخليج . . لم يعودوا هم المقتدراء الذين يمرضون لاستغلال العالم للنهى . أنهم أصبحوا ، مع تقوم سنة ١٩٧٢ ، يمكنهم بأوروبا واليابان - ودرجة ما . . أمريكا كقوة . أنهم يمكنهم النفط . . والآخرين يمكنهم الحاجة إليه . كانت تلك هي المعادلة القائمة في الماضي . ولأن المعادلة لم تعد مثلاً هذه البساطة بمعد التطور الجديد . أن شركات النفط تلك

المقود ، وماروليك البترول يربطون النفود و - ما هو اكثر من
ذلك - محدثيها . انهم اعادوا على الطوب حياة لم يمودوا
يسطيعون التحلى منه الا على حساب المخاطرة بسلطاتهم وبرحاء
شعوبهم وبلداتهم .

ان هذه الارباح ملعت لزعابا سياسيه . مع انتهاء سنة ١٩٧٢ .
فخلال الحقبة من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٧٢ تلقى منجيو
البترول الاربعه الرئيسيون في المنطقة ٣٧ ألف مليون دولار .
كعائدات من شركت البترول العالمية في ملاهم . ان شاه ايران
حصل على ٩٥٠ مليون دولار . ليبيا . ٩٠ مليون . والكويت . ٨٠
مليون ، السعوديه اكثر من ١١٠٠٠ مليون . ان دخلهم المتوقع
خلال السنوات الثلاث التالية من ١٩٧٣ الى ١٩٧٥ يصل الى ٢٤٠٠
مليون دولار . وفي حالات السعوديه وليبيا والكويت . . فان هذا
الدخل البترولي يشكل ثلاثة ارباع او اكثر ، من اجمالي دخل
الدوله ، والنظير في حالة ايران . ويمر هذا الدخل ، وبصرف
النظر عن مخزائهم في الخارج ، فان اقتصاديات البترول سوف
تتوقف . . ومودهم سوف يتلاشى .

ان اعتماد الصنم العرب واليهابى على بترول الشرق الأوسط
لا يحدله في الواقع سوى اعتماد حكوم الشرق الأوسط على دخل
البترول من الشركات العربيه وكذلك الوجود العسكري الاسرائيلي
في الشرق الأوسط . ان اسرائيل هذا ليست وسيلة دسنة او
حقيرة كما قد يتصور البعض . في الواقع ان هذا المريج من
الظروف التي لم تكن موجودة في لية ازمه سابقة للطاقة . . هو
الذي يحدد الآن محرى المناقشة القائمة حاليا حول توفير
احتياحات أوروبا وأمريكا واليهابى من بترول الشرق الأوسط .
ان فلا من اسرائيل والعرب يجب ان يعترفوا بما فشلوا
في تحقيقه خلال غرضة السلام الاولى بينهما التي كانت قائمه فيما

بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢٢ . انهم كانوا جزءا من كل اكر، وانهم لم
يستطيعوا حصل مطالبهم القومية عن تلك التي يريدونها المجتمع
العالمى . في ذلك الوقت ، والآن . كان هناك الكثير مما يقال عن
الأماكن المقدسة للأديان الثلاثة في القدس .. ولكن الاهتمام
الرئيسى حتى وقتها ذلى هو تالين طرول .

ان ما مضى لزمة الطاقة في شتاء ١٩٧٢ - ١٩٧٣ هو انها
ركزت بمصالح واحد او اكثر من القوى العظمى على الشرق
الوسط .. وحملت كل الأطراف المعنية منهم ان هذه ليست
مصلحة ثلثية .. وان هذه المصلحة لا تستطيع الولايات المتحدة
ان تتسحب منها ، وكذلك لا تستطيع أوروبا ، ولا يستطيع الاتحاد
السوفييتى ، ولا تستطيع اليابان .. ان تدمى عدم لاهتمام بها .

ومع اعلان لزمة الطاقة الأمريكية في شتاء ١٩٧٢ اصبح واضحا
ان القوى الاعظم تعود الى اسمعير الشرق الأوسط . بشكل
حديث في هذه المرة . ولأول مرة بعد سنة ١٩٢٢ ، يلوح السؤال
الكبير في الامم من جديد هل يكون العرب . أم الصهيونيون ..
هو الحليف الذي لا يهوى ؟ من - مهيا - هو الذي يجب
الاعتماد عليه ؟

في سنة ١٩٢٢ وحد البريطانيون في الاثنين - العرب
والصهيونيون - يمكن الاستعانة عنها بالنسبة للاسرائيليين
العالمية ، وبالنسبة للمصالح النترولية البريطانية .

أما في سنة ١٩٧٢ ، فقد وحد الأمريكيون معادلة جديدة تحيى
على السؤال : انها الوجود العسكري الاسرائيلى .

ولكن .. هل مهم الاسرائيليون هذا ؟ هل غيبه العرب ؟ هل
غيبه الأطراف الأخرى ؟

للاضحة على هذا السؤال لابد ان مستدير الى النحول الذي وقع في الوقت الذي بدأت اعدادات البترول تصبح فيه عنصرا مبطرا . كيف تعاملت كل من اسرائيل ومصر مع هذه الأزمة ؟

ان اسرائيل واجهت احط ازماتها ، ليس في صيف سنة ١٩٦٧ ، ولكن في الشتاء البارد لسنة ١٩٦٦ . وقتها كان النساء الاجتماعي والايديولوجي والاقتصادي لاسرائيل يمرحما كله للخطر وقتها اصبح اليهود المهاجرون من اسرائيل اكثر من ايهود المهجرين اليها .. ووضعا بدت الحكومة وقد فقدت سيطرتها على الموقف المتدهور في الداخل . ووقتها توقفت الحكومة عن ان تكون صريحة حول حقائق مشاكل اسرائيل مع شمسها ومع مؤيديها اليهود في دول العالم . ان الجيش كان هو القطع الوحيد في الاحتياج ، الذي لم يئنثر بهذا المرض الشامل .

وفي مايو سنة ١٩٦٧ واجهت حكومة اسرائيل أزمة اكثر احتلالا واثقل هذه ، شاب من التردد والانتظار الى القيادة .. ومن عدم ثقة الجمهور بها ، مأكلا مما نشأت من طبيعة التهديد المصري .

ثم جاءت حرب ١٩٦٧ ، ومناتها التي لم تكن في الحسبان .. لكي تشفى كل هذا فجأة .

وفي مارس سنة ١٩٦٦ تولت جولدا مائير رئاسة الوزراء خلفا لاشكول . انها أصبحت رئيسة للوزراء ، بعد اسابيع قليلة من تولي ميكسون منصب رئيس الولايات المتحدة . لقد كان هذا يمثل وقتا من عدم الثقة في اسرائيل يلائمة لاستقبال سياسة الولايات المتحدة . ان هذا حدد نقطة المرحلة الاولى من الجرح الأمريكي الذي أصيبت به مصر مائير .. والذي جعل المسألة كلها تدور باعتبارها من أعرب العلاقات السياسية في الدبلوماسية الجديدة .

أن جولدا مائير ورثت مع منصبها تفكج انتقاص سنة ١٩٦٧ ..
وتلك النتائج كلف هي التي لميت عليها ، وشكلت ، تصرفاتها
الثقلية مع الولايات المتحدة .. بالإضافة الى مشاعرها هي نحو
أمريكا .

وفي تلك الفترة ، كل غشل إسرائيل في إرقام أو اغراء الزعماء
الحرب على الطوسي على ملاده الملوصات .. هو الشيء الذي
ترك بصماته على السياسة الإسرائيلية . وعلى نظرة وسياسة
جولدا مائير إزاء المشكلة . لقد كل هذا هو لسبب الذي أدى
الى ملاد المسر ، والى ادراك أن السلام لن يأتي . أن هذا
التحور شجع إسرائيل على الترحيب بالآثار الأخرى لانصار
سنة ١٩٦٧ .

أن أضخم آثار تلك الحرب قد هاء لإسرائيل نيباً يشبهه
الصدمة . أن اليهودية المالية استقطبت نجباء ، واندمنت في
مساعدة إسرائيل اقتصاديا .. شكل أحد وقع الصدمة ، أنها
صحية كانت لها ردود فعل بعيدة على الحياة في إسرائيل ، وعلى
سياسات الحكومة .

أن الحكومة الإسرائيلية بدلت على الفور ، في أعقاب حرب
١٩٦٧ ، في فتح أبواب المرور لملام للقبائل والمثالي الذي
اتفق على إسرائيل من جهود الملم .. بهدف مساعدة إسرائيل
المتنصرة ، وهو فيضان غير الحكومة والمجتمع تملأ . وخيسا
تولت جولدا مائير رئاسة الوزارة في مطلع ١٩٦٨ ، أن هذا
الانفجار القوي اليهودي المثالي .. كل قد بدأ طريقه تملا ..
في استعمار إسرائيل منذ ١٩٦٧ . وسي مواج كثير على هذا
الموقف من جانب اليهودية المالية .. كل له تأثير أعين كثير ..
من تأثير الاحتلال العسكري للأراضي العربية ، الذي حققه موسى

ديان . ان جيش الخلاص الاقتصادي اليهودي هذا ، والذي بدأ عمله مباشرة بعد يونيو ١٩٦٧ ، قد أدى الى نتائج الاستمرارية العسكرية المباشرة في ١٩٦٧ .

لقد كان هذان العملاقان - المائدة اليهودية العالمية ، والانسار العسكري - هما محور السياسة الإسرائيلية بعد سنة ١٩٦٧ . ان الاول كان اكثر اهمية من الثاني . ولكن ، عليمنا ان ان بحث العاملين معا . لانها اصحاحا حجر الزاوية في سببه جولدا مائير . التي لمستها في علاقتها مواشطن . . . ولأنها أديا الى تحديد شعورها بالنسبة للسيطرة داخليا على حركة العمل ، وبالتالي على اسرائيل ، وهي السيطرة التي سمته اليها مائير ضد موسى ديلر واسفقاته .

ان ون . نقطه ملاحظة في هذا الصدد هي الارشاد العربية التي سمير بها الموقف الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ ، وبالذات بعد ان تولد جولدا مائير رئاسة الوزارة ، ان الحكومة الإسرائيلية - ابتداء من مسر مائير مما دوما - كانت تمل انما تريد لخلاص التوصل الى تسوية سلمية مع العرب ، وانها مستعدة لتقديم تعويضات لها اعسارها من اجل الحصول على هذه التسوية .

وق نفس الوقت على نفس الحقبة - ابتداء من مسر مائير فيها دوما - كانت متضمنة تلمبا بل اي خطوة بخرجة نحو التسوية . سواء جاءت من صديق لو من العدو ، هي لا شيء اقل من امساحة نهضت الى تحقيق انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة . بناء على ذلك فان كل مشروع يتضمن انسحابا اسرائيليا ، سواء عرضه المصريون او الأمريكيون لوفتي الاسرائيليون «السدج» ومن سبهم ديلر نفسه ، كان يتعرض لثب كسر من جانب الحكومة الإسرائيلية . بل ان جولدا مائير كتب توري لن مثل

هذا المشروع يجب تخطيطه في كل مرة .. قبل ان يحول الى تهديد
 لامن اسرائيل او لاتتلاف الحكومة . سواء على ذلك .. فان
 الحكومة الاسرائيلية — وخصوصا ممر مائير ووزير خارجيتها
 اما ايمان — كنت سحدث دائما عن رغبة اسرائيل في السلام .
 وعندما كانت تفعل ذلك .. فاتها كتاب يعطى صوتا لامل ..
 وأكثر مما تتبرح سياسة محددة . لقد رفضت مائير ورملاؤها
 الاتهام بأن هذا الموقف ينضم من مصر من التناقي .. ما دام
 يفت ان السياسة الاسرائيلية لا تعطي الاولوية للسلام .. ولكن
 مجرد الاحتفاظ بالامر الواقع . ان لمعجب هذا السلام يقولون
 — ومعهم جانب كبير من المطلق — انه في ظل الظروف الحالية
 المساعدة في العالم العربي .. وبالنظر لاتجاهات رسمياته .. فان
 أي تغيير يتبع خلال هذه السنوات الخمس سوف يكون حسبا
 ومصريا لمصالح اسرائيل .

هنا لابد ان نبحث الاسفب الثرونت دائما حلب مقاومعجولدا
 مائير المستمرة لأي تغيير في الأمر الواقع .

في هذه البقطة لابد ان نعرف ان نتائج حرب ١٩٦٧ ، والنهم
 الباتر للاقتصاد العسكري ، والحبس الذي خلقه بينيهود العالم ،
 والشعور السلبى من جانب الرعياء العرب نحو تسوية سلمية ،
 ونجاح سياسة ديان في ادارة الاحتلال العسكري ، والازدهار
 الاقتصادى في اسرائيل الذى حل محل الكساد الاقتصادى السابق
 على حرب يونيو .. كل هذا خلق اسلما اجتماعيا حديدا لمهوم
 ما بعد الحرب من اسرائيل الكبرى — اسرائيل كما تتصورها
 جولدا مائير .

ان حبس يهود العالم لاسرائيل عبر عن نفسه في شكل مساعدة
 مالية وتأييد اقتصادى لم يمتق له مثل . ان هذا العمل الجديد

لم يترك بصماته على الاقتصاد الإسرائيلي فقط .. ولكنه أدى أيضا إلى تغيير ضخم في الأسس الاجتماعية والسياسية للمجتمع الإسرائيلي . مبعث حرب ١٩٦٧ ، أصبحت اليهودية العالمية عمرا فعلا لا يمكن تجاهله . كما حدث قبل يونيو ١٩٦٧ . لقد أصبحت مبادئ يهود العالم المالية عمرا أكثر أهمية في تشكيل السياسة الإسرائيلية .. أكثر أهمية من المهاجرين الجدد .. أو من برلمان إسرائيل . أن اليهودية المالية — خصوصا القطاع الذي يمد إسرائيل بالأموال — أصبحت عمرا ضروريا في المجتمع الإسرائيلي الجديد ، وفي السياسة الإسرائيلية الجديدة .

وبالطبع لم يكن هذا تحولا مغلطا . أن عناصر هذا التغيير كانت موجودة قبل الحرب . أن المجتمع الإسرائيلي أصبح متصفا بدرجة متزايدة بين الأقلية الصبية .. والأقلية العتيقة .. مع أغلبية رمادية اللون في الوسط . ولكن ، قبل الحرب لم يكن العنصر يمثل سلعة سياسية كبيرة .. وكل هذا يمتدق بالتأثير ، وبدرجه أكبر . على اليهودي العتيق الذي يمشي في الخارج .. أما في سنوات ما بعد حرب ١٩٦٧ ، فإن سياسة مصر ماثرة أصبحت أمكسا للمنفعة الجديدة التي تمت مع اليهودية المالية .. صوته يكاد يكون معاصرا : أن عليكم — في إسرائيل أن تسمروا في لتوسع العسكري .. وعلينا — كيهود حول العالم — أن نقدم لكم الأموال . أن هذه الصمته أصبحت أكثر أهمية في نظر الحكومة الإسرائيلية . من ضرورة الحاجة إلى تسوية سلبية في الشرق الأوسط .

لقد كانت هذه هي أول مرة منذ قيام إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، التي يحدث فيها أن يغير أغلبية يهود العالم — بما في ذلك كثيرون بالائحاد السوفيتي — عن تعاطفهم مع — ويستغفونهم — إسرائيل . علنا وبوضوح ، وأن يمحروا بهذا التعاطف . أنهم لم يكونوا

يحشون في ذلك ايه معارضة او اداة للولاء المزجوج ، او بالتعصب الدينى . ان انتصار اسرائيل العسكرية بدا وكأنه قد ازال كل هذه الحواجز النفسية التى ظلت قائمة طوال القى سنة . ولقد عبرت هذه العواطف من نفسها بطرق كثيرة .. أهمها تقديم مساندة مباشرة لاسرائيل و — الأهم من ذلك — تقديم مساهمة مالية ضخمة من يهود العالم . وبهذا لا تقول الأرقام الرسمية كل الحقيقة .. فغنىها تقدم مؤشرا مكنيا لقبول الفرحة التى أصبحت حرب بوسيو ١٩٦٧ عندها .. تمثل معجزة اقتصادية بقدر ما هى عسكرية .

على السنوات الخمس السابقة على حرب ١٩٦٧ . بلغ اجمالى الهبات والمنح والتبرعات التى قدمها يهود العالم لاسرائيل ، اربعمائة مليون دولار . وفى مقابل ذلك فإن هذا الرقم ارتفع خلال السنوات الخمس التالية للحرب مباشرة الى ١٦٠٠ مليون دولار . أى لربعة أضعاف .

ان هذه الاستجابة النيمائية من يهود العالم .. فى رد فعلهم بالنسبة لحرب الأيام الستة .. قد أدت الى تطبيع وانعاش كل قطاعات الاقتصاد الاسرائيلى .. واعادة شحنها بالحياة . ان الأمر لم يقتصر على الهبات والمنح فقط ، وإنما حدثت فترة مستقلة فى الاستثمارات القادمة من الخارج . هذه الفترة سمحت بدورها أن تفتز الاستثمارات الاسرائيلية من ٢٢٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى سنتى ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، لى ٧٧٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى المستثنى التالىين للحرب .

وفى أعقاب هذه التفرات .. امتد الانعاج الاقتصادى الى المؤسسات المالية والصناعية الاضمية .. ان معظمها هو أساسا مؤسسات أمريكية وكندية والملمبة وفرنسية وبعضها بريطانية .

أن هذه المؤسسات والبيوت الدولية حامت لموالها الى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ ، تشجعها في ذلك بعض البنوك الكبرى في الولايات المتحدة وأوروبا . ان كثيرا من هذه المؤسسات لم تكن يهودية . . وتعرفت ساء على اصحاب تجارية محضة في تنوعها الى اسرائيل . . ولكن الأغلبية الكبرى منها كانت تتمتع بضمانات تقدمها اليهود الأمريكيون ، أو تقدمها مؤسسات مالية يهودية دولية ، مثل عائلة « روتشيلد » مثلا . وفي هذا المجال نجد أن شركة « ميريت » بـ « بنسلفانيا » الأمريكية مثلا ، قد استثمرت في اسرائيل ١٦ ١/٢ مليون دولار لاصابة أول بنك دولي فيها . ومع تقويم سنة ١٩٧٠ . . وصل معدل الاستثمار السنوي لهذا البنك في اسرائيل الى ١٥٠ مليون دولار .

ان هذا المربع من الاستثمار المحلي الضخم ، رائد المصالح الاقتصادية الإيجابية . . قد أدى الى حدوث تفنق ضخم في رأس المال . . مصاحب للتفوق المعنوي الذي جاء من يهود العالم . . ومن القروض والمساعدات الأجنبية . . ولقد أدى هذا كله الى خلق محنة اسرائيلية جديدة خلقت محل المحنة القديمة . ان اصحاب النمود الاقتصادي بعد الحرب . . هلوا محل اصحاب النمود السياسي في اسرائيل قبل الحرب . . وقد أدى هذا الى تغيير أساسي في المجتمع الإسرائيلي ، وهو تغيير لم يحدث مثله أبدا خلال السنوات الثلاثين السابقة . وهكذا ، الى جانب المؤسسات القديمة — مثل الاحزاب السياسية والوكالة اليهودية والهيئات والكيبوتزات والجيش — أصبحت هناك محنة جديدة غير محتاحه الى حماية وتأييد السياسيين القدامى ان هذه المحنة الجديدة أصبح لها من القوة الذاتية والموارد المالية ما يكفي لأن تمارس هي نفسها شكلها الخاص من النمود والحماية .

هكذا أصبح هناك « ضابطته للصناعة » في اسرائيل . . يمتلكون

معظم المؤسسات الأكثر تحلحا .. ويمكن اعتبارهم «الجنة مثله»
على الطريقة الإسرائيلية .. ولهم قدره التصرف في جزء كبير جدا
من ثروة اسرائيل . مع ذلك فانهم لم يسوا قدرا ملحوظا من ضغط
البنفس حيسا كالى الامر يصل الى المسائل المالية . ولكن النتيجة
الآخيرة كانت هي نفسها : تركيزا جدا في الثروة يمشى مع العيشان
المالى القادم الى اسرائيل من اليهود في الخارج . ان هذه النتيجة
كانت تشكل « كويرى » بصل ما بين اسرائيل من ناحية وثروة
اليهود في أمريكا وبريطانيا والدول الأخرى من ناحية ثانية .

ان هذا الرخاء الاقتصادى خلقه الانتصار المسمى في
سنة ١٩٦٧ .. وقد كالى انعكسه هو لانه في نهاية سنة ١٩٧٢ ..
اصبح هناك تسع من كل عشر عائلات اسرائيلية بملك ثلاثة ..
واربع من كل خمس لديهم مودى موباخز ، وصف السكان أصبحوا
يملكون ممتلكات كهربائية . وامتصاص .. غالى ملكيه هذه السلع
المعمرة .. قد تضاعفت في خلال ثلاث سنوات . والى جانب ذلك
لأن تطوير الاقتصاد الاسرائيلى لكي يصبح عسريا .. كان أمرا
يجرى بسرعة كبيرة في ظل هذا التخليق المالى اليهودى العالى ..
وليس في ظل التهديد العربى المستمر .

كل هذا كانت له نتائج مالية مهمة . لقد أصبح هذا الاقتصاد
الاسرائيلى المتوسع يحتاج الى قاعدة متسعة ، والى احتياطى متسع
من القوة العاملة ، والى العلاقات الضرورية مع الخارج ، انه
اذن لم يعد دايان ، أو مائير ، اللذان يقرران سياسة اسرائيل عيشا
يتعلقان بالمناطق المحظية والمحلل السلى . انما لم تعد رغبات ميسر
مائير ، أو المقاومة ضد الفلسطينيين أو حتى ضد دايان .. الذى
لصيح يشكل سياستها . ان سياسة جولدا مائير أصبحت ملتزمة
أيضا ، أمام اليهودية العالمية . ملتزمة بحكم الالتزام الاقتصادى الذى
قامت على أسسه « اسرائيل الكبرى » كما تصور ها جولدا مائير .

ولكن الامر لم يقتصر فقط على ضرورة استمرار احتلال اسرائيل المحتلة ، والحدود الآمنة . كشرطين أصبح الاتصاف الاسرائيلي حائلا لها . ان هذه الـ «اسرائيل الكري» أصبحت في حاجة شديدة ليقا الى الارتباط الأمريكى . فى هذا الارتباط أصبح لابد من تأييده والحفاظة عليه نأى نأى ممكن . أى من أقل من تحقيق سلام مع العرب سابق لأوانه . . لو مصحوب بفازلات لا يتأجل لها . . .

من أجل تأييد هذه المساعدة الأمريكية . والتأييد الأمريكى ، فقد أصبح واحدا على اسرائيل فى تصميم مفهومها الخاص وتصورها الخاص بسقطه الشرق الأوسط كلها . بحيث يكون حداثا للأمريكيين ويصير مساندينهم لاسرائيل .

ولكن النصور الاسرائيلى سرعلى ما واجهه المناصب ان الأمريكىين بدأت تصبح لديهم أفكارهم الخاصة عن مستقبل المنطقة ، وعن التخطيط لهذا المستقبل . . وهى أفكار تختلف عن تلك التى تتعصب لها جولدا مائير . . وسبحة لذلك . منذ حدث خلال أيام من انتخاب نيكسون رئيسا لأمريكا . ان استطعت الحسد بعصها ببعض بعض . . واتهمت علاقته بين ويليام روبر ووزير خارجية نيكسون وبين مسر مائير — حتى قبل توليها رئاسته الوزارة — الى اتجاه خاطئ .

وفى نفس الوقت على المصريين — ناصر أولا ثم أنور السادات — كانوا يفسهون أيضا تصورهم الخاص بهم ، والذي يستهدف الولايات المتحدة هو الآخر ، ان هذا الاتجاه عرف باسم « محيد أمريكا » فى الصراع العربى الاسرائيلى

ان هذه الخطط الثلاث — مع روسيا كقوة جانيبه — أصبحت هى السائدة خلال سنوات ما بعد حرب ١٩٦٧ . وقد أدى هذا —

حالاصفه الى التردد وعدم التأكد من جانب الحكومة الاسرائيلية -
الى الفصل في تحقيق تسوية سلميه .

ولو نظرنا الى هذه السيئونيات السياسية النافضة بشيء
من التفصيل .. نقابا سومه مكتشف ان يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٦٨
كان موعا من المعصاة بالنسبة لمستقبل الشرق الأوسط . فعلى
السطح .. قال السيد السويدي « حوبار ياريج » مبعوث الأمم
المتحدة .. أنه قام بمد بداية السنة - ١٢٨ رحلة جوية لمقاتلة
ورراء خارجة مصر والأردن وإسرائيل .. ولم ير لمرته أو سبارته
في موسكو لمدة عشرة أشهر . ولكن ، من الناحية الفعلية ، نأكدت
لدى « ياريج » انطباعات توصل اليها من قبل .. ولكن اسرائيل
تقدمت له في ذلك اليوم الدليل على صفق تهيئاته .

لغى ذلك اليوم قدم وزير خارجية اسرائيل مقترحات أمام الجمعية
العامة للأمم المتحدة بالنسبة لتصور اسرائيل للحل السلمي . لقد
كانت مقترحات اسرائيل حذرة العبارة ، وحيدة الاطار ، ولتتها
كانت تنفتر الى المعلومات الضرورية والحدثة عن النوايا الاسرائيلية
الحقيقية . أنها مقترحات لا تقول شيئا عن مصر الزمن ، ولا عن
ماهية الحدود التي تراها اسرائيل آمنة ودائمة ، ولا عن أي حل
بالنسبة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . لقد كانت الأجراء النافضة
جها - نأكثر من الأجراء المطعنه فيها - هي التي سنقرر مصر
هذه المبادرة الاسرائيلية . ولكن الأكثر انثرة للدهشة من أي شيء
آخر .. كان حلو هذه المقترحات من أي شيء عن مستقبل فلسطين .

وبالطبع ، لم يكن الأمر مفاجئا .. حسبما رمض المصريون خطة
السلام الاسرائيلية هذه بعد اعلانها - ٤٨ ساعة .. بسبب حلوها
من التحدد .. ولأنها في الواقع لا تضميد شيئا الى البيانات
الاسرائيلية السابقة .

والذي كان أهم من العرض الإسرائيلي والرفض المصري .. كان التطور الهام الذي وقع .. مقيرا كل الافتراضات السابقة . فلتقد أعلنت أمريكا أنها سوف تبدأ في احراء مباحثات لسبع أول صيغة من طائرات المعتوم الى اسرائيل .

لقد كان هذا يحمل معنى واحدا بالنسبة للقاهرة وموسكو . ان الولايات المتحدة قد قررت مره ثقيه (كانت المرة الأولى في مايو سنة ١٩٦٧) الا تقيد اسرائيل . الولايات المتحدة قررت ان تضع على اسرائيل عبء الدفاع عن نفسها ، ولي تقدم لاسرائيل المساعدة اللازمة لضمان فعالية الموقف الاسرائيلي في امتلاك قوة عسكرية رادعة . ولقد كان معنى هذا ان الولايات المتحدة قد طرحت جانبا اى احتمال لانفاق الدول الأربع الكبرى على سياسة موحدة بالنسبة للشرق الأوسط .

وبهذا القرار الأمريكي أصبح الموقف واضحاً لكل من يهتبه الامر ' ان الولايات المتحدة سوف تعتمد في المستقبل على اسرائيل .. بقدر ما تعتمد اسرائيل على الولايات المتحدة . لقد تغير مركز اسرائيل من « رموز » لدى أمريكا .. الى شيء أقرب الى الشريك .

وفي البداية لم يستوعب المصريون النتائج الكاملة التي يعنيهها هذا التحول الاسمي في الموقف . فمن الآن فصاعداً .. لم تعد الولايات المتحدة تستطيع ان تتحمل عبء العبء الاسرائيلي في المنطقة . ومن المدهش ايضا - بدرجة متساوية - ان هولدا مثير لم تتحرك هي الاخرى حطوارة هذا التحول . لقد كان الذين أدركوا الأبعاد الكاملة للموقف الجديد هم الروس .. وموشى دايان .

ولكن هذا التدهور في الموقف لم يطرا عليه اى تحسن قبل ١٩ يونيو سنة ١٩٧٠ ، حينما أعلن ويليام روجرز وزير الخارجية

الأمريكية مبادرته المشهورة من أجل وقف محدود لإطلاق النار ..
التي كانت مسمومة ميا يسمى بحرب الإستنزاف .

أن الحكومة الإسرائيلية أصرت على ألا توافى على المشروع
الأمريكي قتل الجموع على أفضال من بيكسون . وساء عليه
فقد وضعت إسرائيل مجموعة أسلته ، حدد موشى ديس مسؤولها
.. وصاعها أما أبلي ، وأرسلتها حولدا مثير إلى واشنطن ..
وأجلب عليها الرئيس بيكسون . وكلفت توصيحات بيكسون تشمل
الأكيدات التالية :

١ - أن أمريكا لن تضغط من أجل انسحاب إسرائيل من
المناطق المحتلة قبل الوصول إلى تسوية سلمية .

٢ - أن أمريكا لن تطلب عودة على نطاق واسع للاجئين
الفلسطينيين إلى إسرائيل كجزء من حل مشكلة اللاجئين .

٣ - أن أمريكا سوف تستمر في تحقيق توازن في الأسلحة
بين أطراف الصراع ، أو تكلمات أخرى - سوف تستمر في إمداد
إسرائيل بالأسلحة التي يحتاجها ما دام روسيا تفعل نفس الشيء
مع مصر .

وبهذه السمات التي قدمت في حينها ، أصبح على حولدا مثير
أن تختار بين الانضمام إلى كتلة حلال التسمية في إسرائيل ، والتي
معارض المبادر الأمريكية .. وبين التحالف مع الولايات المتحدة
في المبادرة الأمريكية . ومع ذلك فإن مثير احتاجت إلى ثلاثة عوامل
إضافية .. كانت هي التي لرغبتها على قبول المبادرة الأمريكية .
وكانت تلك العوامل هي : الضغط الخارجي ، التورط السوفيتي ،
والضغط العالمي .

وكان معنى حلحه اسرائيل الى هذه العوالم الاصافية ، دون
اكتنائها بالمبادرة الامريكة . هو قراءة حقلته من جانب جولدا
مائير للموقف الامريكي . قراءة لم نحس في اعسارها انه ما دم قد
حدثت حالة تماثل في القوة الاسرائيلية بالشرق الاوسط بين
روسيا وامريكا . . فان استمرار امداد امريكا لاسرائيل بالسلاح
معناه اتجاه الميزان العسكري باستمرار لصالح اسرائيل . ان
جولدا مائير ورملاءها لم يفهموا هذا . . ولكن مرشئ اسرائيل
والعسكريين في اسرائيل هم الذين فهموا . بطريقة صحيحة .

وسبحة لذلك ، عقدت اسرائيل العودة الى مباحثات يريخ .
بينما كان الموقف الامريكي يطلب ضرورة استئنافها . ومع ذلك . .
فان استئنافها لم يكن يعني اى تقدم في الموقف الاسرائيلي . سيما
انتمت اسرائيل في كمينه مواجعه المبادرة المصرية التي قدمها
الرئيس انور السادات في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٠ لمحادة السويس
وانسحاب اسرائيل كمتقدمة لحل سلمى شامل .

وسيما اسرائيل مشموله بالرد على هذه المبادرة ، وصلت
رسالة من الدكتور جوملر يارميج سلمت الى كل من مصر واسرائيل .
ان يارميج وضع لأول مرة امثلة محددة في خطابه بطلب الاحياء عليها
. . وسئل كلها مدى استفاد كل طرف لتحقيق الالتزامات
المقصود عليها في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ سنة ١٩٦٧ . وبينما
اجابت مصر ، فان اسرائيل لم تجب . بل وعضبت للنعية من
نصرات يارميج ، وقررت مقاطعته الى ان يسحب خطبه . ولم
يسحب يارميج خطبه .

وعلى الفور نشأت أزمة مصطنعة بين اسرائيل وامريكا بسبب
تصور مائير لوجود تحالف بين روجرز وبارنج والمصريين ضد
اسرائيل . ورغم تصفية هذه الأزمة بسرعة ، الا ان المحنة

الإسرائيلية كانت قد ذهبت بعيدا في الحملة على مستر روبرت . .
وفي أمثال محادثاته التي أجراها في إسرائيل خلال شهر مايو
سنة ١٩٧١ . ولم تستمر الممثلة إلا لثاء زيارة مؤتمر لوائح
في أكتوبر من نفس السنة . فخلال تلك الزيارة كل أحبار يكس
هو أهم اجتماع عقدته مثير خلال تاريخها الطويل ، وربما أكثر
أهميته بدسسه للعلاقات الإسرائيلية الأمريكية . في تلك الزيارة
قرر مكس ومبشاره للام القوي كسحر ان الوقت قد
حان لحمل الاسرائيليين بفهمون ويقلون الموقف الأمريكي .

لقد عادت مثير من الولايات المتحدة لمعلم انها وجدت في معبر
الموقف الأمريكي ، مع ان ما حدث هو العكس تقريبا . وسرعان
ما تبين المعلما المعلم الذي انعكس على سبب الأحداث .
فخلال شهر يناير سنة ١٩٧٢ أصبح واضحاً ان إسرائيل
قد وقعت في خطأ متدقيق دعائها هي . لقد اشاعت
مصادر قريبة من جولدا مثير ان رئيسة وزراء إسرائيل قد ابلغت
الرئيس الأمريكي انه ما لم ترمع الولايات المتحدة حظرها الذي
قرره على توريد إسرائيل سرب من طائرات المقاتل ، فسي
الحكومة الإسرائيلية ان تقوم بانه خطوة نحو الانسحاب الحرى
او الكلى .

ولم يكن هذا ما علمه الرئيس مكس الى زملائه في الحكومة
عن محادثاته مع مثير . لقد أعلمهم ان مثير قد وافقت على ان
تبحث اتخاذ اجراءات عسكرية عمله تؤدي الى اعلاء منح قناه
المويس والفكر في مشروع روبرت من لحل الوصول الى تسوية
سلبية . وكجزء من هذه الصفحة الاحيائية . . من الولايات
المتحدة سوف توافق على استئناف امداد إسرائيل بالمقاتل .

ومع ذلك بمجرد عودة ماثي الى اسرائيل ، لاحظ البيت
 الاسفري الأمريكي احتفاء هذه الاثارة من كل المناقشات العلنية
 حول الولاية . وعندما اوضح الأمريكيون ذلك للجنرال موشي
 دايان أثناء زيارته لأمريكا خلال الشهر التالي ، عاد دايان الى
 اسرائيل لكن يعطي على ثلاثة التفسيرين ، كلمات مختارة ،
 حقيقة المسألة . لقد قتل دايان لا يريد من الجمهور هنا - في
 اسرائيل - أن يصدق أن كل شيء سوف يتم بنفسه مجرد أن
 اسرائيل تجلس على القنطرة وحصل على الأسلحة التي تريدها ..
 ولأن الأمريكيين بحسبها كما يتل . أن اسرائيل لا تستطيع تحمل
 الاستمرار في الخوض بأسلحتها بطوية ، فبإزالة ضروريا لنا
 بالمحاح أن نتقدم نحو شوية سياسية .

أن دايان كان يحاول في الواقع أن يحرر زملاءه الورياء ، بقدر
 ما يهبر الجمهور ، على أمريكا ترى أن الاعتبار الحقيقي ما زال
 هو التسوية السلمية ، وليس هو استمرار تنفق السلاح . أن
 السلاح سوف يستمر في التنفق .. والفنانون سوف تصل .. ولكن
 بملهمهم التقدم نحو شوية سلمية .

ولكن ماثي تجاهلت هذا الجزء تماما ، ولم تكن هذه هي المرة
 الوحيدة التي حاولت فيها أن تكون ماهرة بأكثر مما يسعى . ففي
 ديسمبر سنة ١٩٧١ فوجيء المراقبون بوجود اختلاف أساسي بين
 التسوية المسيحية كما يراها لبا إيلان ، وبين التسوية كما يراها
 الرؤساء الأمريكيون الأربعة الذين ذهبوا الى اسرائيل كوسطاء ..
 أن الرئيس السبعيني « سينجور » أعلن أن ماثي أصره بأن
 اسرائيل لا تفكر في ضم أراض عربية .. ومع ذلك فإن وزير
 خارجيتها يعان العكس لنام الأمم المتحدة .. وقال سينجور أن
 اسرائيل إما أنها خدعته ، أو أنها تراجعت كلمتها .

مع ذلك ملقذ كلئ موقف ملقر وءكوماتها - ومعهم الرأى العام الاسرائيلى - هو ضروره الاحتفاظ مللحظ المشدد فى التعامل مع العالم الخارجى . لئذ رات ملقر ان اسرائيل لم تكن تسمع فى اى وقت ملقى بمثل هذا الملحق فى موقفها السيلنى والصكرى والعلوماسى . انه تحصن بعئذ على تشدد اسرائيل مع العالم الخارجى . انه تشدد وصل بالمساعدات الامريكىة الى حجم لم نصل اليه مطلقا .. ووصل مللحبش الاسرائيلى الى نقطة اصبح عندها سيدا للشرق الاوسط .. ووصل مللحدود اسرائيل الى اسمى درجاءه الامن الى كانت مللم بها لئلا اى - هكذا سالت مائل زملاءها - ملقى اسرائيل بهذا المركز القوى .. من طريق ملقديم مازلل لصر او لاي آخذ آخر .. همومها مع الملحول الامريكى الواصح الى قلب اسرائيل ؟

وهكذا اصبح شملر عام ١٩٧٢ فى اسرائيل هو « لئلا النعير ؟ » . ان اسرائيل سوف تملخذ فى النعى بلكية السلام والنسوية السلمية .. ملقر ان تورط نفسها فى اى شئ ملحد . وادا ملحد الاسوا وملخذت امريكا مللقره ملجده .. فلل اسرائيل سوف تصيد تملاما على الزعماء العرب فى رملر مثل تلك المللقره .. ما ملقى اسرائيل فى الملقيه من اى مللقر ملجده مع امريكا .

ولقد بدا ان المللحداث كلها تسلك هذا المللق الاسرائيلى . لقد تم املصاع القمه بين ميكسون وبريصف فى موسكو بملر اى صفة روسية امريكىة من الشرق الاوسط ، واعيد الللحب ميكسون .. وسار كل شئ على ما يرامل ومقا للامراملل الاسرائيلية السلمقه .

ولكن بعض الرياح كانت قد هب على الموقف الامريكى وكان موشى دايملر اول من لالظ ذلك خيما رار واشلطن فى اواخر

سنة ١٩٧٢ . وبعدها حولدا مثير في فبراير ١٩٧٣ . ان الأمريكيين يريدون من اسرائيل ان تفهم ان التوطين الاعظم - روسيا والولايات المتحدة - ترمزان شرقا اوسط بحر حروب او ازيمت ، وهما مصححتان على تحقيق ذلك . . وسوى يكون من الامثل كثيرا لاسرائيل ان معيد « مسميل » يلبسها لكي يكون جزءا من هذه العملية . سكر مما بحلول الوقت فدها .

وهنا أصبح المفترض على هذا الوقت الحديدي موشى داتان . انه لا يحدد فكره حل أمريكي سويسسي بالنسبة للشرق الاوسط . وهكذا أصبح المخرج الاسرائيلي لذلك هو احساس مثل هذه السوية بتدنيا . بعد الاشارة الى العلاقات مع أمريكا . ولتحقيق ذلك . . لابد من البحث عن اقامة نوع من الموازن التي تجعل تدخل القوى الاعظم غير ضروري . وكانت هناك مشكلتان لابد من التطب عليهما اذا ارادت اسرائيل ان تعمل في سوية واقعية بعد املاء من القوى الاعظم .

المشكلة الاولى هي التركيز المراد من أمريكا وروسيا على الاهتمام بشور الشرق الاوسط . . وهو الامر الذي يتم بمفعلا من الصراع العربي الاسرائيلي

المشكلة الثانية اقناع أجهزة المخابرات الاسرائيلية . ومعها الأمريكية . . فانه لا توجد حكومة عربية واحدة يستطيع تصمد او تريد أي نوع من التسوية السلمية مع اسرائيل - حربية او شاملة - وفقا لشروط ملائمة لاسرائيل .

وفيما يتعلق بالمشكلة الاولى قلنا ما اريد انؤكد مرة بعد مرة في هذا الكتاب هو ان السورول أصبح هو القوة الثالثة الهامة جدا في الشرق الاوسط . القوة الثالثة التي قام القومجون العرب

والصهيويون اما بأساءة تمهها .. لو بالتقليل من شأنها . وكما
 هي الحال مع أسباب النزاع العربي الإسرائيلي ، ومع أسلوب
 النزاع بين شركات النترول والدول المستحقة .. على المصير
 الاسدي الذي يهم الآن لم يمد هو مظالم الماضي .. ولكن
 الاهمية الحالية ، والنموذج الحالي لمصير النترول ، ان معاناة
 النترول الحديده يمكن وضعها بهذا الشكل ان الدول العربية
 (وابران) تلك النترول .. لما العرب يمتلك الاموال التي
 تحتاج اليها الدول العربية (وابران) .. والدنيا كلها - خصوصا
 لوريا واليبلي وبنرجة مترايدة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي
 - يجب ان تنحى الى الشرق الاوسط للحصول على امدادات النترول
 خلال الحقبة القادمة .

بناء على ذلك فإن عامل النترول - وليس الصهيونية
 او القومية العربية - هو الذي غير شخصية الشرق الاوسط
 بشكل اساسي .. وحل اسرائيل والدول العربية لا نعوض
 بالنسبة لأمريكا وروسيا (وايضا بالنسبة لأوروبا واليابان) في
 سنة ١٩٧٣ . ان هذا لم يكن صحيحا في سنة ١٩٢٣ او في
 سنة ١٩٦٧ . ان الامريكاني أصبحوا متبهمين لهذا النحول في القبة
 الاستراتيجية للشرق الاوسط . وبشكل ما .. على ريادة هولدا
 مائير رئيسة وزراء اسرائيل ، وحلفاء اسماعيل سموت الرئيس
 السادات الى واشنطن في فبراير سنة ١٩٧٣ .. كلتنا يوما من
 افضية البحر للجمعية القديمة ، التي يبدو فيها الصراع العربي
 الاسرائيلي وكأنه المصير الرئيسي في نزاع القوى العظمى في
 الشرق الاوسط . ان الاختلاف داخل المعسكر العربي ، وعدم
 التمسك من هدف وثية التريطقيين والفرنسيين والامريكانيين ..
 أصبح واضحا في الحقبة التي تلت حرب السويس سنة ١٩٥٦ ،
 ووضع الاسفل لارمة اسرائيل في ١٩٦٦ ولبس في سنة ١٩٦٧ .

حيثك بدأت الرياح تعصف بقوة ضد اسرائيل .. وضد الاحتياط بالموود العربى فى المنطقة . ان التحالف العربى الموفيتى قد حقق مكاسب ضخمة .. وبدأ عليه المونق فى ديبا الشرق الأوسط . ثم منجها الى ان يصمم أكثر قوة فى امريكا والبحر الأبيض . ان العرب - من خلال حلف الامنطى أو أكثر مباشره بواسطة الولايات المتحدة فى البحر الأحمر ومواسمه البريطانيون فى الخليج العربى - بدأ اما غير تفلر على .. أو غير راعب فى التدخل . ان شركاب السرول كانت حانته وسيل الى المراجع . وشها بدأ وجود اسرائيل بالنسبة لكثيرين ، باعتباره ليس أكثر من رحله عسرة فى التاريخ العربى للشرق الأوسط . سئل ما كانت المملكة الصليبية . وربما لغيره أقل كثيرا .

أما الموقف الاسرائيلى من الداخل .. فقد يمر بمرحلة قوة وصعف .. ومماصل ربيع بين الانسى .. خلال الأزمة التى سبقت حرب الأيام الستة . ان « عصر حولدا مثير » .. وجذور مجرها فى الحصول على اتفاق سلام مع حرياتها .. أو انسجام أكبر داخل المجتمع الاسرائيلى . كاتب أمورا يمر سنوات ما بعد ١٩٦٧ أن تيمنا حنيدة قد تم ادخالها الى مهيوية ما بعد حرب يونيو .. وهى تم تؤكد على النزاء المسمى وعلاقته بيهود العالم أن هذا الوضع حقق تضامنا حديدا بين يهود العالم . ولكن مع خطر يصاحبه - لم بعد انراضا - لاحتواء قومية يهود العالم - ولكن مع الى الانكباب فى تعصيف وطنى . ان شئ الاعتماد المعاصر لاسرائيل على الولايات المتحدة واضح .. ولكن موانده أيضا واضحة فى ضوء العلاقات الخاصة التى أصبحت تربط اسرائيل بالولايات المتحدة . ان اسرائيل لم بعد مجرد « ربون » لدى أمريكا .. ولكنها أصبحت شريكه لها . ان دخول الدول الأعظم من سياسته التعايش العذائى الى سبله التعامل الاسرائيلى ، خصوصا

بعد اذبحاق القمه بين روسيا وأمريكا - أصبح عمرا حديدا .
ان هذا الوضع الحديدي قد أصاب القوى العظمى بالتثقل فيها يتعلق
بقدرتها على العمل المفرد في الشرق الأوسط ، وأربعها على
إعادة النظر في أسس علاقاتها مع حلفائها بالمطقة .

ففي موقف عالمي أصبحت روسيا مشغولة فيه مظهر قوتين
حديثين ، هما الصين في الشرق .. والمصنع الأوربي في الغرب ،
بأكثر من اشمالها بالنفود المندهور لأمريكا .. من مركز الشرق
الأوسط أصبح رئيسيا بكلا الصين الاسرايلى والسرولى .

وكنسجة لذلك .. ماتنا شاهنا انكنا ميرا في أدوار هؤلاء
الذين كانوا على المسرح عندما سحر وعد بلفور في سنة ١٩١٧ .
وقتها فهم حاييم وإيرمل - وكذلك الرعاء لتوميون العرب -
ان عليهم أن يحضروا تصاياهم لحصل واحدة أو أخرى من القوى
العظمى . ومهموا أيضا أنهم اذا كانوا يريدون تحقيق أهدافهم
القومية - العربية أو الصهيونية - فأنهم يجب أن يتحالفوا مع
من يتولعون انتصاره من بين الدول العظمى . ان كلا من العرب
والصهيونية قد حصل - بفرحة أو بحزى - على ما أراداه .

أما الوضع بعدها بخمسين سنة ، فقد أصبح عكسا . ان
القوتين الأعظم بميلى الآن لهما اذا أرادت أن تحافظا على مودها
ومحالفتهما في الشرق الأوسط .. من عليهما أن يحضراها لحصل
واحد أو أكثر من المريقين المتزعجين في الصراع العربى الاسرائيلى
وللطرف الناحج اذا أرادت أنجاح لأهدافهما . ان الأمريكيين
أختاروا إسرائيل .. والروس اختاروا مصر . ولكن الظروف قد

هذه المرة كانت محتفظة من تلك التي كانت قائمه في سنة ١٩١٧ .
 ان انتصار اسرائيل في سنة ١٩٦٧ كلل شايلا بالمسمى العسكري ..
 ولكن لم يكن كذلك بالمعنى السبيلى . وكتيحه لذلك .. فان
 القوى العظمى كان عليها ان تقطع اهدانها سواراة اهدانها
 « القوى » المحلله .. من أجل ان تحقق توازنا جديدا في القوة
 والردع سطحي بدرجة متشابهة مع كل من القوى الأعظم ..
 والقوى المحلله . ان عليهما الآن نفسيهما شكلا من اشكال الامر
 الواقع ، بالنسبة للتعايش السلمي بين اسرائيل وجيرانها العرب ..
 ثم بين مسيحي السورول العرب ودول العلم المستهلكه .

وكما في ابدائه . كذلك في النهاية . فان مجموعتي القوة كانتا
 مرتبطتين في تفاعل معتد .. لا احد منهما يستطيع ان يتحمل ان
 يمحاهل الآخر . وكلاهما يجب ان يعظم من مشل الماسي ..
 ان الشيء الوحيد الذي يحير في الخمسين سنة السافه هو ان
 الشرق الأوسط قد اصبح محل اهتمام عالمي بسبب اعتماد رهاية
 العالم على سلاحه المستبر واستقراره و - الأهم من ذلك -
 متروكه . ولهذا السبب فان الصراع العربي الاسرائيلي في سنة
 ١٩٧٣ لم يعد طرفا هينيا - ولكن رئيسيا - في استراتيجيه
 وسياسات القوى الأعظم . والسبب الرئيسي في هذا كله هو :
 لمتروك .

وبالنسبة لاسرائيل ، فانها احصت الى خمس سنوات بعد
 حرب يونيو لكي تصل الى نقطه أساسيه هي . ان الرعة الروسية
 الأمريكية المشتركة في التعايش والانتاج والنضال والاستقرار في
 الشرق الأوسط .. يمكن تحقيقها فقط ما دام كل من اسرائيل
 ومصر تشعرا ان لمتنها غير مهدد .

وبتدويم سنة ١٩٧٢ أصبح معروفا للأمريكيين والروس ،
والعبريين والاسرائيليين ، انه بالتمسكة للمرحلة الراهنة .. وربما
للحقبة التالية .. غل انفصل سيلة ممكة هي المحافظة على
الأمر الواقع .. وليس البحث عن تنويه سلمية كاملة

وبكلمات أخرى فإن السياسة المطلوبة الآن هي . لا سلام
ولا حرب . أما لمر البحث عن تعاهم وسلام فمفوف بمشتر كل
الاطراف المعنية في لعه .. كما استمرت تلعه طوال الخمسين
سنة السابقة .. ومن حيث أنه لن يكون هناك سلام .. فهذا أمر
مؤكد . أما من حيث أنه لن يكون هناك حرب .. فهذا أمر أقل
تأكيدا .



ولكن .. هل مثل هذه التسمية ممكة في سنة ١٩٧٢ ، بعد أكثر
من خمسين سنوات من النصر الاسرائيلي ؟

إن الإجابة يجب في التحليل الآخر أن تنفي — ليس من القدس
ولا من واشنطن ولا من موسكو — وإنما من القاهرة ودمشق
وطرابلس .. ومن القسطنطينية .. أن هذا كان هو مميّز مثل
الفلوفاية الاسرائيلية في ظل لشكول ومائير . فمع أن اسرائيل
أصبحت بالرجاء . ومع أن قوتها العسكرية تصاعدت ، فإن هذا
ما زال هو السؤال الرئيسي الذي يواحيها في سنة ١٩٧٢ ، كما
كان هو نفسه في سنة ١٩٢٣ . ولكن اسرائيل في هذه المرة
تستطيع أن تعرض هي السلام الذي تريده على جيرانها العرب .

أن المفارقة ليست — مع ذلك — في يد إسرائيل . نمرغض ملتم
أن يرسم المستقبل لإسرائيل ، ويدحولها الانتكاسات في نهائية
سنة ١٩٧٣ — ما من مثله التفاوض مع العرب عن السلام ما زالت
بعيدة . . كما كانت بعيدة أيام وايرمان منذ خمسين سنة .

إن الدليلين الوجوديين القاسيين الآن ، وفي الوقت الحاضر هما :
سلام مقرصه القوى الأعظم . . أو سلام نمرغضه إسرائيل . إن
القوى الأعظم لم تعد مستطيع ولا تريد أن تحقق الحل الأول .
أدس — لا يبقى — سوى حل واحد يجب أن يشهده الشرق الأوسط :
السلام . . بالشروط التي تريدها إسرائيل .

اليهودى الامريكى

◇ روجر كات

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

● كان الزعيم اليهودي الصهيوني * حاييم وايرمان * يقول دائما: « ان اليهودي يحمل في حقيقته ايما ذهب .. كل العوامل التي نشر المذاهب سوء .. والتي تحول مشكلته الى مشكلة سياسية واجتماعية » .

وهذا الكتاب الذي لقمه اليوم هو اصنق تطبيق لذلك ..

الكتاب مؤلفه يهودي أمريكي — اسمه زوهر كان — وعنوانه غير يهودي « الناس الانفعاليون » .. ومع ذلك فان الكتاب هو سودج من اعمال العلاقات العامة التي تقوم بها اليهود الأمريكيون داخل المحصح الأمريكي . وحتى في هذه الحدود فان الكتاب يطل مقبولا .. لو انه يتناول فقط النشاط الدس او الاجتماعي او الثقافي لليهود الأمريكيين .

ولكن الكتاب يريد تحقيق هدف سياسي اولا — وتلك هي مشكلة اليهود دائما — انهم يتصرفون ككتلية سياسية .. ولمست ذنبه .

ان لهم اهدافهم الخاصة غير المعلنة .. وهم يبحثون عن مراكز السلطة والتأثير داخل المجمع .. وهم يريدون اعادة ترتيب هتول الامعاء والاعضاء امام المجمع كله لحسابهم . وهذه كلها اهداف سياسية وليست دينية .

لقد انتهت انحضاره الاساتية بعد وقت طويل الى حل مشكله الصراع الدمى . لم يعد الخلاف بين نين وآخر مداما يحله السيف .. وانما أصبح مجرد خلاف في الرأي .. انت لك وجهه نصر خاصه .. وأنا لي وجهه نظر أخرى .. والخلاف بين وجهتي النظر ليس خلافا بين الصواب والخطأ .. ولكنه خلاف بين اجتهداهن بنفس كل منهما صوابا وخطأ في وقت واحد .

ولممكن اليهود لا يريدون ذلك - ، أو - على الاثر - هذه هي الصورة اني يعطونها لانفسهم .. كما تنو من هذا الكتاب . ان المؤلف يهودى امريكى . ويميش عموا في المجمع الأمريكى . ومع ذلك منى كل عمل من اصول الكتاب يقوم المؤلف - لو اسطاله - بتوبييع المجمع الأمريكى . توبيحه لانه لا يعطيه مراكز أكبر ، ومفودا أكبر . وغرمنا أكبر ، هذا مع العلم بأنه لا يوجد محتج آخر اعطى لليهود غرمنا أكبر مما فعل المجمع الأمريكى . ان المؤلف يوسع المحتج . ونظم الطبيب المسيحى الأمريكى مثلا بأنه لقل عيانه بمرضاه من الطبيب اليهودى الأمريكى . وخببها نصر بعض الجامعات على ان يكون قبول الطلبة اليهود مقبشسيا مع سببهم في احيائي السكنى .. على المؤلف يسرع على الفور الى تعليق التهمة الحاهرة دائما ' العداء للمسيحية . وخببها بشكو السود الأمريكيون من سكان حى هارلم المشهور في نيويورك من استعمال التجار اليهود لهم .. فانهم منلك يشتون - في رأى المؤلف

طلعنا - انهم محادون السالية . وحتى حسبما يشكو بعض اليهود مع النصف في تفسير واحداث اليهودى . . غاتهم يتعاونون ايضا مع اللد اعداء السالية .

لماذا هذا التناقض ؟ هذا الارهاب ؟

لسبب واحد : ان الصهيونيين حسبما يتكلمون عن اليهودية فانهم لا يتكلمون عن ديثة . . ولكن عن عقيدة سياسية . انها ليست نظره حمله الى الله والانس والاشياء . . ولكنها دستور سياسى يعنى على المؤمنين به كل ما يطق على اعضاء الحزب السياسى . هنا بالصمت يمتطيم معهم المجتمع الذى يعيشون فيه . هنا بالصمت يحاول الجميع ان يبيدهم الى حجبه الحقيقى . لانهم يريدون ان يواعد النعمة بغير ان يملوا ذلك .

انهم يفعلون ذلك ، حتى مع اليهود انفسهم . ان المطبات الصهيونية في امريكا تقوم بحالة ابتزاز ميسر ليهود امريكا من اجل ان يدمروا اكثر واكثر واكثر . ابتزازا سراوح اساليبه بين الترفيع والتهديد . . لكن يكون من المستحيل في النهاية ان يهرب يهودى واحد من النمرع . ثم . . لى تذهب حصيلة التبرع في النهاية ؟ الى اسرائيل . .

وعروات اسرائيل . . وحيش اسرائيل . وهل حاه ذكر موسى دليل في التوراة ؟ نعم ، والا . . غئت لست يهوديا . . ولا امريكا . . ولا واحدا من هؤلاء « الناس الاتفعلليون » . . الذين يتحدث عنهم هذا الكتاب ! انها حرب عمليات - على الطريقة اليهودية ضد المحتج الامريكى ! ●

اليهودى الأمريكى

بالسنة لنا — نحن اليهود الأمريكىين — من أمريكا تشل لنا نهاية المطاف ، ليست أمريكا يوما ما . . ليست أمريكا مينا بعد . . ليست — حتى — أمريكا فى القريب العاجل . . ولكنها أمريكا الآن ، وهنا ، وفى هذه اللحظة ، حيث يعيش ملايين اليهود بحرية ، وأسلوب عوق ما كان يحلم به أجدادنا المرحلون . أن هذا شيء طيب ، ولكنه فى نفس الوقت شيء مرعج . أن من السهل علينا أن نتأمل أرضا موعودة ، ومن السهل علينا أن نحلم بها . . نأكثر من أن يعيش فيها عملا .

أن الحاحام « أرمولد جاكوب دولف » كل يقول دائما فى اجتماعه الدينى بمبنى « هايلاند بارك » شمال شيكامو . « أسي حاحام بالنسبة لليهود الساحقى . ولكن الناس هنا لديهم رهاب الساح لخط . أن اليهود الذين محصوا فى الولايات المتحدة هم فى ورطه . أن الجميزات السنة اليهودية الأولى التى حمرتها هنا كانت حالات انحرار . وفى بعض الحالات انتحرت الزوجة عقب انحرار زوجها . هذه تد تدو حالات منطرفة ، نعم ، ولكن إذا تأملت لكم أنها أيضا مرعجة . . فربما نفهمون ما المقصود » .

أن النحاح ، بحسوبا طبقا لمقاييس هؤلاء الذين لم يحصوا مطلق ، يؤدى الى نتائج جسيمة مضره للملل والروح . والنجاح هو حقيقته أسلية فى الحياة اليهودية الأمريكية . أن الأسرة اليهودية الأمريكية — إذا كانت هناك أسرة كذلك — قد عاشت فى الولايات المتحدة لمدة جيلين تقريبا . أن النجاح يحيط بها ويصيب فى حياتها . النجاح فى التجارة ، النجاح فى تعليم الأطفال ، والنجاح فى تلبية أكثر الإهليلك سعوته . أننا — نحن اليهود الأمريكىين — قد أصبحنا الآن أصحاب متاجر ، وحيرى أعمال ، وخبراء ، وكتاب ، ومعلمين ، أن قليلين منا عمال ، ولا أحد منا يصل مزارها

مطلقا — هذا شيء مفترض . ان المجموعة التي تساويها في مستوى النجاح وحجمه لابد ان تكون قد عاشت في امريكا اقبالا كثيرة اطول . ولو حكمنا على اساس الدخل والتعليم ونوع العمل . فان اليهود الأمريكيين قد اصبحوا الآن يشبهون الاساتعة الأمريكيين ، او هم الارتقراطية الأمريكية الحديثة .

ولو أخذنا في الاعتبار تصرف المسيحيين معنا في هذا القرن والقرن السابق ، فاني الانسأ بيل الي ان يترك في اليهود على اساس معاداة السامية . ان المسئلة بسلطا شفاؤها رعم كل الملاح الحديث مثل مرس المورم الأسود . ان من الحقيقى انما — نحن يهود هذه الأيام — يسم اسمعنا من مجموعة مخلطه من السوادى الأمريكية بالمدن والقرى ، ومن مدارس ، وأعمال ، ووظائف ، ومننديات ، ومازل ، و — كحقيقة مؤكدة نوتى هذا كله — من النور يتأيد هرب رئيسى للرشيع لمصب رئيسى الولايات المتحدة . ولكن حتى في هذه المنطقة المحبة والمرلة ، على الدلائل بشرى الى نجاح ينخلق . ان مدرسة كوربيل الطبية مثلا لم تعد تعرف ان لديها ، حصصا تحدد عدد المقربين من اليهود ومن ثم لم تعد تطلق هذه الحصص .

مع ذلك خلا شيء من هذا يكفى ، معقد حقيقتين من سلوط المظلم الفازى لادولف هتلر ، على اى عداء للسلميه هو وصيه في جبين أمريكا والديمقراطية والانسانيه ، ووسط نقص الحرية الأمريكية ، وعدم اكتمال النجاح الأمريكى ، على الاتساع ترسخه حقيقه ان عشرات ، ربما مئات ، من الحواجر المضادة لليهود — التي لم يكن يجب سألها أصلا — هي الآن .. تسلط .

ان دراسة حديثه لحرارها مجموعة من اليهود .. بهدف فحص النقص القائمة أمام اليهودى الأمريكى لكن يصبح رئيسا لكلية او جامعة أمريكية . انها ليست مرمضا كثيرة ، نحض الآن ، هناك

أربعة يهود فقط هم رؤساء الكليات العلمية في أمريكا .. بما في ذلك كليان جاسماني للأشرفاء والمويل اليهودي . ويعلق أحد اليهود الأمريكيين على هذه الحقيقة بقوله " لكن ما دامب المشكلة هي رئاسة الكليات ، فهذا عظيم ، منذ عشرين أو حتى ١٥ سنة مضت . لم يكن يستطيع أن يمارس رعاياه التفكير في التوبة لقد كان علينا أن نبقى الأبواب مغلقة ومهارة . سوسل وبيدد وماوس .. لكي نحمل بعضا من هذه الكليات يحدد اليهود .. كيجرد مدرسي " .



ولدت للتقديرات والإحصائيات ، التي تم تصورها تحت توحه اللجنة اليهودية الأمريكية ، على السكك اليهود بالولايات المتحدة يبلغ عددهم خمسة ملايين و ٦٦٠ ألفا . أن الرقم غير دقيق . فمن الناحية الديموجرافية ، يعتمد الرقم على المحسنة بدرجة ما . ولكنه على أي حال أحسن رقم يملكه أو سوتع أن يملكه . فلكي يتم تحديث عدد اليهود عن طريق الإحصائيات الفيدرالية فإن هذا سيكون عملا غير مستوري وعرضه للخطر . وبالرغم من أنما - نحن اليهود - لدينا حب استطلاع بالنسبة لأنفسنا . بل ونقوم بيهود كثير لدراسة أنفسنا .. فلما أن نرحب بتحريرات تقوم بها الحكومة . أن حكومات كثيرة جدا عبر قرون طويلة جدا . استدرت صدنا .

أن أمريكا هي ، أن ، نضم سكانا لا يمثل اليهود أكثر من ثلاثة في المائة منهم .. وهذا أمر غريب . أن الشيء الغريب هو أن ثلاثة في المائة فقط تعطى هذه المساهمة الكبيرة للثقافة الأمريكية والثقافة الأمريكية والحبوة الأمريكية .

ان امحم الحذف الأمريكية — وهي النيويورك تايمز — تملكها
 أسرة يهودية بعد أكثر من ثمانين عاما . وبالإضافة الى ذلك على
 اليهود في أمريكا بديرون حوالى نصف الدور الكرى لشرك الكتب .
 ان « رانغوم هالوس » و « سيبور وشوستر » و « بنو أمريكان
 ليمبارى » و « الفريد بومف » و « انيسوم » . هي مجرد قلّة
 من الدور التي تعمل تحت اشراف اليهود . ان ثلاثة من رؤساء
 المحطات التلفزيونية الصحية هم يهود . ويليام ميلر في « سي .
 بي . أس » و « روبرت باربوت » في « ان . بي . سي » .
 وليونارد جولفسون في « ا . بي . سي » . ومنى الحيل أيضا
 بالنسبة للممثل الكوميدي الذي يجمع شجاعته مرّة في السنة
 وبلقى سكتة عن نواحي قصور المحطات الثلاث الصحية . . أندي
 هو أيضا يهودى . ان اليهود الأمريكيين يسيطرون على الكوميديا
 الأمريكية بشكل غالب . وقد خرجت عدة عشرات من الكلمات
 العبرية واليديشية من المسرح الى الاستقبال العام .

ول مجال آخر — التعليم — بعد ان اليهود يمثلون ربع العدد
 الاحمال لطلبة جامعة هارفارد . ومن الناحية المالية على كل
 اليهود يحصلون على نوع ما من التعليم الخاص . وكثير من يحصلون
 على درجات متقدمة .

ول الموسقى ، بعد ان مرق الأوركسترا الأمريكية الرابع
 المنقوة . . يقودها يهود .

وفي الكتب ، سجل احد الباحثين قتلة بالكتب التي تهتم بالمسائل
 اليهودية والتي نشرت بأمريكا ، ان القائمة وصلت الى ٢٥٨ كتبا ،
 نشرت في سنة واحدة .

وحيثما تصدر الكتب ، يوجد الانتقاد ، ان التقاد اليهود هذا

— في أمريكا — يزايدون وينالون بنتهي الحرية ، الى الدرجة التي جعلت أحد الكتاب الأمريكيين يقول متعكبا : « ان المؤلفين والروائيين اليهود يحققون الثروات الطائلة بسبب مديح النقاد اليهود » .



مع ذلك على اليهود ما زالوا يحاولون يوما بعد يوم التعرف على أنفسهم . ان اللعبة تبدأ بسؤال يوجه اليهودي الى نفسه : من أنا ؟ بعدها تبدأ المناقشات .

ان المجلس القومي للنساء اليهوديات لمدر كينيا يتساءل فيسه أحد الكتاب اليهود : « ما هو معنى ان نكون يهوديا ؟ هل هذا يعني مجموعة من القيم ؟ هل يعنى نظرة محددة الى الله والانسان والنساء ؟ أم .. هل هو بمعنى غلط ان يكون لك أصدقاء يهود ؟

ولكن سيده يهودية في نيويورك تعبر هذه أسئلة بائسة . انها تقول : « أنا لا أعرف ما اذا كان هناك أحلاف حقيقى بينى وبين النساء المسيحية التى تسكن في الحي المجاور .. ولكنى على اى حال أحس براحة أكبر من صحبة اليهود لهنالى . ربما يكون هذا هو ما أعنيه من كونى يهودية » .

ويرد صديق السيدة اليهودى هو أيضا : « لا ، لا .. لابد ان تكون المسألة أكبر من ذلك » .

تبالسة لقضية الشخصية اليهودية في أمريكا ، يقول الدكتور « جون سلاوسون » الكاتب السوفى لرئيس اللجنة اليهودية الأمريكية ان التقليد اليهودى لا يحاطب اليهود فقط ، ولكنك يخطب كل المجتمع . ان اليهود حاولوا دائما وكثيرا عدم تسلط

الضوء على السمات اليهودية ، وهو احساس يرجع الى
العلة .

وفي نفس الوقت نجد ان المجلس الأمريكي للديانة اليهودية
- المعادى للصهيونية - بورع سحيلا مطوعا لمناقشة بين ثلاثة
اساتذة من «ها الذي مقدمه اليهودية لأمريكا المعاصرة» . ان الدكتور
« جاكوب بيتوشوسكى » الاساذ بالكلية العبرية يؤكد انه اذا
كان اليهود الأمريكيون يريدون مفهومها أوضح لانفسهم ، من عليهم
اولا أن يتزعوا الالتزام على المظلم اليهودي من ايدي الصهيونيين .
انه يرى ايضا ان « . . الصهيونيين يسيرون استخدام المدارس . .
وقد استطاعوا ان يجمعوا الشباب اليهودي يؤمن بان الصهيونية
هو اندى بملك المناخ الحقيقي لتكثور اليهودية » .

ولكن ، يرد على ذلك يهودي من ديترويت ، فيستول غاضبا :
« ان الصهيونية هي أعظم شيء على الإطلاق بالنسبة لليهود
الأمريكيين . فحينها كتبت اسرائيل كل تلك الحمارك . . فان العالم
كله وحد الى الأبد ان اليهود يستطيعون ان يحاربوا » .

وبالإضافة الى ذلك غلما نجد ان مجموعات من علماء الاصباح
والنفس قد مشروا احقا تدرس اليهود ككائنات ، كرجال أعمال ،
كشعبيين ، كمواطنين ، كموميات ، كآباء وسكرين . ان
كثيرين من المؤلفين يبحثون عن مفتاح موحد للشخصية
اليهودية . ان من الممكن ، بعد دراسة تقاريرهم ، ان يستخلص
ان اليهود . . بمقارنتهم مع غير اليهود . . هم على اليمئر قليلا
من الوسط ، ولكنهم يتحركون الى اليمين ، انهم لا يعملون لدى
المر ، ولكنهم يتجهون بنسبة متزايدة الى العمل في المؤسسات
الكبيرة . انهم يرتكبون جرائم عنف لقل تسمييا . . ويساهمون

بقدر أكثر في الأعمال الحرة . انهم يكرسون خردا كبيرا ، ان لم يكن الوقت الرئيسي ، من وقتهم . . لأطفالهم . انهم لا يشربون الخمر بالمعدل المرتفع الذي يقطعه المسيحيون بالرغم من انهم يتجهون الى ان يصنعوا كذلك .

وبعد هذا كله ، من الممكن أيضا ان نستخلص من هذه الدراسات ان علماء النفس اليهود تسلط عليهم فكرة دراسة اليهود . ان اللعبة تستمر والسؤال يتم طرحه دائما : ما هو معنى ان تكون يهوديا ؟

ان العالم فيه ١٢ مليون اجله محبلة - ١٢ مليون يهودي محظوظون بالحياة في الثلث الاخير من القرن العشرين للعصر المسيحي .

وباعتبارنا يهودا ؟ هل امامنا عدة امثلة لابد ان نراجعها

مثلا : هل « سامي ديمير » الطرب الرحي ، يهودي معلا ؟ ما الذي سيحدث لو انه حاول شراء منزل في حي يكون كل سكانه من اليهود النقي ؟ هل « البرايث تيلور » يهودية ؟ كيف يمكن تعريف اطفالها ؟ هل تصدق أسرة « مايت مود » ان له زوجة يهودية ؟ ان والد « كارل ماركس » تحول الى اليهودية سنة 1844 ، حينما كان ماركس ما يزال في السابعة من عمره . هل كان كارل ماركس ، الرجل ، يهوديا ؟ و « هين » . . الشاعر الذي احترق التنصير باعتباره « منسجورا الى الفتنة » . . هل كان يهوديا ؟ هل كان « بروتسكي » . . الملحد . . يهوديا ؟ وبأري حولد ووتر ؟ و . . المسيح ؟

ان الإنفصال في المطلق يعنى صعوبات جديدة بالنسبة
للتعريف الشحيحة اليهودية . وفي النهاية نصل الى السؤال
الرئيسي مرة أخرى : من هو - بالضبط - اليهودي ؟

ان اليهود ليسوا حسناً . ليست لهم ملامح حسنة مشتركة ،
ولا لغة مشتركة . انهم ربما يتحدثون الانجليزية اكثر من أية لغة
أخرى . ان اليهود سمر وبيض ، طوال وقصار ، يتكلمون الانجليزية
او اليديشية او العربية او العبرية ، أو ربما اللغات الأخرى .
انهم يصلون لله ثلثي مرات في اليوم ، وفي نفس الوقت يذامسون
بأنهم من الاحقاد . ربما كان هذا هو ما جعل شعباً ما يصيح
مستعجباً : « اليهود ! لا يوجد شيء اسمه اليهود » !

ولكن معظم اليهود ، أو معظم الزعماء اليهود ، يقولون ان مسألة
الوصول الى تعريف ذي معنى هي مسألة هامة ومحيية في
الولايات المتحدة اليوم مع ذلك ففي التعريف بغير امتناع حدود
الزمان والمكان بل ان مشكلة الوصول الى مثل هذا التعريف
أصبحت قضية سياسية جديدة في إسرائيل نفسها .

ان إسرائيل هي هيكل أو ملجأ . ان هذا المفهوم خرج بالنسبة
للجمهور الاسرائيلي الحالي يمثل ما كل الاستقلال حرجاً وحسناً
للولايات المتحدة في دأها .

وفي ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٠ تبني الكنيست - وهو البرلمان
الاسرائيلي - هذا المفهوم رسمياً . . عندما أصدر ما يسمى
بـ « قانون العودة » . ففي ظل ذلك القانون . . يصبح من حق
كل يهودي بمشي في الدنيا ان يحصل فوراً على الجنسية الاسرائيلية .
وبهذا الشكل على « قانون العودة » يجعل من إسرائيل وطناً
قومياً يهودياً .

ان « الكتيبت » .. باعتبارها جهازا مسلحيا وليس فلسفيا ..
 احراز عدم تعريف كلمة « يهودى » . ونتيجة لذلك فإن « قانون
 المودة » يقدم بالحدود أرضا موعودة لمجموعة هي في حد ذاتها
 متمردين ولا تعربق . ولأن القانون السيرة يحظى بحوزة حالات
 صعبة . ما من هذا هو ما بدأ يحدث معلا . مثلا : هل المرأة المسيحية
 بالولادة . سحق الجنسية الاسرائيلية عندما يتزوج يهوديا ؟ هل
 يستحقها أطفال الزواج المختلط ؟ هل يحصل عليها اليهود المرتدون
 الى اليهودية ؟ ان « الكتيبت » لم يعرف .. أو احراز أن يظل
 صامتا .

وبعد صدور القانون ببيع سموات . أى في ١٨ يوليو سنة
 ١٩٥٧ . على « دافيد بن حوريون » .. الذي كان حينئذ رئيسا
 لوزراء اسرائيل .. اختار أن يقدم على هذا الشوش بتقديم
 تعريف مناسب عمره هو بأنه يمثل « عقيدته الخاصة » .

فعمدا كان « بن حوريون » مخاطب منظمة صهيونية عادية ..
 قال عن نفسه أنه « يهودى أولا .. واسرائيلى بعد ذلك » . ثم
 قال بن حوريون . « ان اليهودى هو عضو في الشعب اليهودى .
 ان هناك وحدة قومية بين يهود العالم ، تقوم على أساس المصير
 المشترك والتراث المشترك والأمتى المشتركة كأسس للمصطفى » .

هنا بدأت آراء بن حوريون تتعرض للجدل . فعلى سبيل المثال ..
 هن نعى كلمته ان المدير اليهودى الشيوعى لمسح في « ليجراد »
 وسمار النورمة اليهودى الراسمالي في « كينلاند » يعملان
 نحو هدف مشترك و — يشكل ما — يهودى ؟

ان بن حوريون لم يرد ، ولكنه استمر في كرميه في رئاسة
 الوزارة بشرى العوامف والموس في تفسيره . انه قال . « ان

الذي ضمن لقاء الشعب اليهودي هو الرؤيا المسحبة لاساء من
اسرائيل . رؤيا الخلاص للشعب اليهودي للانسانية ان دولة
اسرائيل هي اداء من اجل الوصول الى هذه الرؤيا المسيحية . .
ان الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم هو طلبه دولة اسرائيل
واكثر حلفائها اخلاصا . .

ان كل اليهود — هكذا كل من جوربون يؤكد — لابد ان يديسوا
بالولاء لاسرائيل . ان عليهم ان يتقدموا هذا الولاء ، بصرف النظر
عن أين يعيشون أو ماذا يفعلون أو كيف يتصرفون . وبهذا من
اليهود خارج حدود اسرائيل ، في ليمبرغ وكلمبلاند وكل مكان
آخر سوف يكونون مشوشين دائما بالنسبة لشعبهم . ان
النشوي هو حاله دائمه ولكنهما موحدة لهم . مطبقا لآراء
من جوربون ، فانهم يعيشون في عالمي — يهودي وغير يهودي —
وليسوا لهم جدور حقيقة في أي منهما . ان من جوربون يقول
في هذه النقطة : « انه في اسرائيل فقط . . يكون اليهود احرارا
كرجال . . ويهود » .

ان هذه الآراء مثلت في ارضاء أحد ، حتى قائلها نفسه . .
خلال خمسة عشر شهرا . . اعترفت من جوربون انه برغم كل
مسلطته ، وكل ايمانه لاسرائيل ، قلته هو نفسه لم يستطيع تعريف
اليهودي .

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، كتب من جوربون خطبا الى
« حكماء اسرائيل » . ان مجموعة بهذا الاسم لا توجد رسميا .
ولكن من جوربون احلوا الساعين اليهود في أنحاء العالم وطالب منهم
ان يصلوا الى تعريف آخر لليهودي

ان هذا الطلب استجاب اليه {٣} حاجبا وباحتا وكانت يهوديا ،

من بينهم ١٢ أمريكا . في أحلامهم صمرت في محلد من ٤٢٠ صفحة
باسم : الهوية اليهودية . . ومن هذا المحلد صرح بأن حكماء
إسرائيل لم ينفقوا على كيفية تعريف اليهودي .

وطبقا لما سمعته « الهالاشاه » . . الذي هو جهاز القانون
الديني لليهودي في إسرائيل . . قل اليهودية لا تتحقق إلا عن طريق
الأم - وليس عن طريق الأب - من وجهة النظر اليهودية - طبقا
لهذا المفهوم - من الطفل الناتج عن زواج محظوظ يحدد دائما هياكل
الأم . وكما يشير بعض علماء النفس . مثل هذا التأكيد اليهودي
الحالي على نور الأم يشير إلى مضمح أموي . ويصنف
« الهالاشاه » كذلك أن الطفل الناتج من الهجر أو الإغصاب
أو ابتداء يتمتع دائما بمركز كامل كيهودي . . ما دامت الأم في كل
حالة كانت يهودية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن « الهالاشاه » يتهم حلا بالنسبة
لأن يحولون إلى اليهودية . فلكي نكون المرأة يهودية . يجب عليها
أن تضع أطفالها خاصة تتصلح معطيسا يسمى « مبيلاه » أن هذا
العملي ليس يجب أن يكون كاملا . . والمرأة يجب أن تكون عاربه حتى
من الحوام . أما الذكر ، فلا بد له أيضا من المعطيس . . وفوق
ذلك يجب تطهيره .

وطبقا لما يصر عليه « الهالاشاه » . . فإن الولادة كيهودي
تجعل الأسس يهوديا دائما . أن اليهودي لا يستطيع أن يتوقف
عن كونه يهوديا باختياره ، فالإختيار الشخصي لا صلة له باليهودية .
أن اليهودي الذي يحول إلى الكتيمة الرومانية الكاثوليكية يرتكب
خطيئة . لكن نفس الشيء أيضا بالنسبة لليهودي الذي يهمل
في أداء الصلاة . أن كلا التصرفين لا يلحق يهودية الفرد . أن
هذا يجعله يهوديا سينا في نظر الآخرين . ولكن يهوديته لا تتأثر

وكب صاح خاخام مؤخر في وجه يهودي ملحد : « أن تكون يهوديا ..
مهذا شيء يلحق بك ، سواء أردت أو لم ترد . انك لا تستطيع
أن تتوقف من كونك يهوديا . صرف النظر عن النمطة التي تذهب
اليها . ان الله مطلق يستطيع أن يمزجك .. وهو لن يفعل
ذلك » !

وفي النهاية من المحكمة العليا في اسرائيل لم تصدر مريضا
لل يهودي . وربما كل السبب هو انها عجزت من ذلك . ويقول
المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي الأمريكي : « نحن موافق على
عضوية أي شخص يقول انه يهودي ولا يمارس ايه نهائه أخرى .
ولكننا لا نقول مطلقا ب اليهودي يمكن مريضه » .

.....

وإذا انتقنا الآن الى الحاسب السطحي في حيننا — نحن اليهود
الأمريكيين — فأنما سوف نجد انه توجد الآن ٢١٢ منظمة يهودية
تعمل في الولايات المتحدة . وفي هذا العدد . لا توجد وجهة نظر
يهودية أمريكية واحدة بالنسبة لحرب فيتنام ، لو بالنسبة لستوكلي
كارميكيل ، أو علاقت الحس قل الزواج مثلا . ومع انه لا يوجد
موقف يهودي أمريكي واحد بالنسبة لأي شيء .. إلا ان الاستثناء
الوحيد لذلك هو محاربة العداء للسلابية .

واليهود الأمريكيون في احدثهم بالنسبة لهذا الموقف . إلا أنهم
هم أنفسهم يعيشون حياة مختلفة ومتنوعة . ان الاستثناءات جادة
بالنسبة لهذه النقطة . فمن الاستثناءات والاحصائيات المتاحة
نعلم ان نسبة كبيرة من اليهود يعملون في الوظائف المحترمة
والفخمة والقيمة ، وان اليهود في أمريكا يكسبون مقودا أكثر
منها كنسبة الأمريكي المتوسطي . بعد ذلك نجد ان تبين الحياه

فانه « .. يسمى الى استئصال كل النشاط العنصرى والتعصب
 النفسى ، والخنايع من انفصال الكسبة عن الدولة ، وسمية اساء
 الخلائق للشعب اليهودى .. ومساعدة اسرائيل الى النمو بسلام
 وحرية » . و « المؤيصر » اقل ثراء من « انلحة اليهوديه الأمريكية »
 وهو يعكس حماس ومشاط المتهرب من لوربا الشرقية الذين تنمو
 يهود الماشى فى القنوم الى أمريكا . ان محبته مصدر كل أسبوعين
 .. وهى نشر المقالات ذات الاهمية اليهودى .

هناك بعد ذلك « لجنة العمل اليهودى » التى تسمى الى مقايته
 المدد للمساوية ومساعدة منظمات العمل اليهودية وغير اليهوديه
 غيبا وراء الثعلب « ثم هناك « المجلس الأمريكى لسنانه
 اليهودية » .. وهو يسمى الى « .. تميمه المادى » اسمالية
 لليهود محررة من القنوميه « .. ونسرايه التواضع هو محررة
 المسيحية .

وبالنسبة لهذه المنظمات ، وكثير غيرها ، فإن « الساي بيرث »
 هى اكبرها . حيث تقول ان عدد «معناها» يصل الى أربع مائه
 ألف يهودى .

ويتول الرواى اليهودى « بول خاكوب » ان اليهودى الأمريكى
 عندما يتعرض لاي اساءة .. فإن أربع منظمات يهوديه على
 الأقل تهب للشكوى بيلمه عنه . وهو يضرب مثلا ساحرا على ذلك
 بأنه اذا حدث مرة ونحل يهودى أمريكى الى دوره مياه فوجد
 عمرة نابية ضد اليهود مكتومه على الحائط على ما يحدث مورا
 ما يلى . تسرع منظمه « الساي بيرث » الى إرسال ممثل عنها
 ينتقل الى مكان دوره المياه لكنى ملحد الصمت من هناك . وينتقط
 لها عدة صور .. ثم تقوم المنظمة بفحص هذه الصمات من واقع
 اللعاب التى تحتفظ بها لصمات مليونين من الأمريكىين الذين اعترضوا

معداتهم للسامية . وعلى العور نشر المنظمة المصنعت في صحيفتها
.. لكي تبين أن العدا للسامية ينشر ويتزايد .. وأن على كل
يهودي أن يمس لمصوية المنظمة .

في نفس الوقت يقوم مسئول من « اللجنة اليهودية الأمريكية »
بدراسة ثورة المبدأ بصفة ، وسرعان ما تقرر اللجنة إعطاء سمحة
لجامعة كولومبيا لدراسة العدا للسامية كما تعبر عنه كتابات
الحائط عبر التاريخ . كما يقوم اللجنة باصدار كتيب تحت مية أن
مشروب المارينسي (الذي يحبه الأمريكيون) هو اختراع قدم به أصلا
رجل يهودي . وفي المهبة حذر اللجنة أعضاء أن شخصيه طبعه
كبيرة سوف تتحدث في الاجتماع السنوي القادم عن العلاقة بين
شرب المارينسي وبين معاداة السامية - مما تشبه طبعه سوف يعقبا
مناقشة علمية .

في نفس الوقت يصل الى مكمل الحادث مسئول من « المؤتمر
اليهودي الأمريكي » .. جنابا في اعتقاله لامتلاكه ثمن . « برتوا
الحائط » . أما في مكتب المؤتمر على سنة من الحامين يكون قد
بداروا في التخصير لدعوى يرفعونها أمام المحكمة الأمريكية العليا ،
بهذه المطالبة بمنع بيع الخمر الى أي شخص يصدر عنه ملاحظة
تحمل معنى العدا للسامية .

وبما يجرى كل هذا ، يكون « لجنة العمل اليهودية » قد ردت
لسلسلة من المحاضرات الأسبوعية لأعضاء اتحاد عمال البرات ،
وتكون قد أعدت مشروع قرار تعرضه في الاجتماع السنوي التالي ،
المشروع يامر أعضاء اتحاد البرات ألا يتمولوا في دورات المياه
المعلية للسامية .

في النهاية يعبر « المجلس الأمريكي لليهودية » سائلا . ان ممثله
يجمع بالمحامين لتلاوة عليهم ، سيما يخطط به اثنان من العرب
ارسلتهما جميعه اصقء الشرق الأوسط . ان المتحدث باسم
المجلس ينكر ان تكون المسارة قد كتبت صلا لانه « لا يوجد يهود ..
ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودي » . وحسبند .. يرسل
المجلس ينكر ان تكون المسارة قد كتبت اصلا لانه « لا يوجد يهود ..
ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودي » . وحسبند .. يرسل
المجلس نداء الى الرئيس الأمريكي ووزير الخارجية وحكام الولايات
الحسنى ، لكي يقيموا معهودات اسرائيل والمسيحيين التي تهدف
الى لصق اسرائيل باليهود الأمريكيي .



ولكن « بالرغم من وجود هذا المجلس .. فان معظم اليهود
الأمريكيين معجبون بالاسرائيل سائلا . وبالرغم من ان جماعة الصهيونية
لها تاريخ قوي ، خصوصا بين اليهود القلائص من أصل الماني .
من كل اليهود الأمريكيي .. ما عدا اسمه صغيرة جدا .. يحذون
انفسهم مساندن لاسرائيل ضد اعدائها سواء كانت على خطأ
ام على صواب ، ان هذا الشعور موجود بشكل طاع لدى اعلية
اليهود الأمريكيي ، وهو شعور موق اي حدل لو حاقثه . ان الكل
يرى اسرائيل باعتبارها تقوم بأعمال مدعشة .. ولهذا فان الـ
٦٠٠ مليون يهودي أمريكي قد قدموا اكثر من الف مليون دولار
تبرعت لاسرائيل منذ قائلها . وحتى بعد ان خصص جزءا محيا من
هد القدر بسبب الصعوط القوية التي يتم ممارستها في الحصول
على الاموال .. من الرقم يظل قايلا للتصعيق . وبالمقارنة الى
ذلك ، من المتايا العربية دعم لاسرائيل معوضت لا تريد من
٨٦٠ مليون دولار .. بالرغم من ان ملايين اكثر قد تم جمعها لاقرب
ضحايا النازي من اليهود .. والذين لسمع معظمهم اسرائيليين .
وبيريد من المقارنة ، فنن الهلث والترعلت التي قدمتها الجاليد

الأخرى في أمريكا هي شيء منته للعليه . وجبها حارعت اسرائيل
 أيضا من الدول العربية سنة ١٩٦٧ ، من استنجاه اليهود
 الأمريكيين . . بالمال والإهتمام والذموع . . قد ذهبت كثير من
 بينهم اليهود الأمريكيون أنفسهم . مع بدء محرك دبابات الجبال
 « رابين » . . اكتشف ملايين اليهود الأمريكيين هذا أنهم . .
 صهيونيون .



أن هناك فروقا طوكية محزنة تميز اليهود من الآخرين . أن
 المحلل انفسى « كارل ميجر » لاحظ أن الإبرندى يندف بالطوب
 والإيطالي يندف بالسكاكين . . ولكن اليهود عندما يشاجرون غاتهم
 يقدمون بالكلمات . أن اليهود في أمريكا لا يلعبون الملاكمة ،
 ولا يهيمون رجال البوليس . وعلى امتداد قرون طوبله . . لأن
 الحب الجسماني قد أصبح مرادفا للكارثة اليهودية . وإلى أن
 شبت حرب الاستقلال الإسرائيلية . . فقد كل على اليهود أن
 يعيشوا بحير أن يحرموا المرحلة الطاعية التي تحقق من كسب
 محركه .

أن تقاليدنا قد حولنا بعيدا عن الصف الحسنى . بينما أصبح
 التعليم اهتماما رئيسيا لنا . أن اليهود — أكثر من أى مجموعة
 أخرى — قد افتتحوا حصون الظلم البطيى الأمريكى اندى كل
 رد فعله — خصوصا على مستوى الجامعات — هو إقامة حصون
 أعلى لهم وفي البداية ، كل أرماع عدد اليهود في الكليات بشكل
 لامت بسبب الى وجود تعطش يهودى المعرمة . ولكنه الآن يرجع
 الى أساليب أكثر تمقيدا . أن اليهود يأتون من خلفية تؤكد أهمية
 التعليم ، وهم أيضا يعيشون في المجتمع الأمريكى . . حيث على كل
 انسان يريد أن يكون ناجحا . . أن يتعلم أكثر وأكثر .

ومن ناحية أخرى ظل الشك والريبة يهيمنان على اليهود
الأمريكيين — بتشكال متنوع ومختلف . أن من الصحيح أن بعض
اليهود هم تخارحى هارلم . . . وصحيح أن هؤلاء النحار اليهود
يسعون السلع الرخيصة للمواطن الأمريكي الأسود بأسعار يبالغ
فيها وسعة أرباح ضخمة . وصحيح أيضاً أن اليهود — باعتبارهم
أصحاب معظم محلات بيع الخمور — يقومون بشراء في هذا الحى
الغنى مما يجعلهم يبدو كمستغلين للمغترفين .

كل هذا صحيح . ولكن يرد على ذلك « بيلسون جلوك » رئيس
الاتحاد العبرى الحامى ، بقوله : « مقابل كل يهودى يملك شقة
في هى ريجى ويسخرج كل نفس من حبوب ١٢ مرداً يسكنون
الحجر » . . . فأننى أؤمن وجود ملقة يهودى يسكنون أن هذا هى
دس . أن هذا شيء موجود . هذا شيء قدر ، هذا شيء لا يمكن
عفائه . أسمى حول منه . ولكنى لست حولاً إلى درجة القول
بأنه شيء ينسحق باليهود في أمريكا . أننى لا أعتقد ذلك . أن ما هو
ملسحق بهم حقاً هو رسمهم في الصراع من أجل حقوق الإنسانية .

أن اليهودى — أو أغلبية كبرى مما كيهود أمريكيين — يتماهى
مع المواطن الأمريكى الأسود . . . مع الرضى المخطئ . أن اليهودى
يزى هرداً من نفسه في هذا الرضى الضخيم . ولكن ، حيسا
يستدير الرضى الحقيقى لصبح شخصاً محضاً ، حيسا تكون
استخدامه غير يهودية ، فإن اليهودى الذى تعاطف معه من قبل
يصاب بحيرة مل . أنه يشعر بالخوف عليه والعطف معه .

أن الصعوبة الرئيسية في الصور المتزايدة بين اليهود والاسود
في الولايات المتحدة قشاً مخدداً أكبر على الحلقب اليهودى . .
حيث يطعن على اليهود شعور كقوى . . هو الخوف من العنف . .

غالبية اليهود ، لا يبدو الترميز المشاعية كطرف يستحق التعاطف معه . أنه يبدو مقط كحالف للقانون ، ومشاعية ، وعريضة ، وفي النهاية يبدو كتهديد . أن اليهود لا يشعرون بمد ثقتهم آمنون في أمريكا من التهديدات . كما قد يتصور البعض ..

غيرهم الايمان الكامل بتوماس جيفرسون والدستور ، وبرغم الدراسات العديدة التي بين امحلال العداء للسامية ، وبرغم التزايد السريع للمحاذ اليهودي .. مثل البقاء بظل هو الايمان الشديد والرائد ليهود أمريكا . أن التصميم اليهودي على النقاء كيهود هو واحد من التطورات المريدة هنا . أنه تصميم يسيطر بمر حدال على مناطق صعبة من التجربة اليهودية في أمريكا . التي هي البلد العربي الوحيد تقريبا .. الذي لم يشهد مطلقا مدحة ضد اليهود .

أن النقاء برمج اليهود الأمريكيين حيسا بروج اسألهم من مسيحيات . هل يفقد احفادهم برانهم ؟

والبقاء برمج طبيب الاسل اليهودي الذي يشغل ابنة في دراسة الطب ، ومن ثم غانه بصيغ في ابنة قتلا . « أنك نجرا هلنا الى هارة اليهود ! » .

والبقاء يهر كانا يهوذا ، حيسا بروج لفترة قصيرة من امرأة تتبع الكنيسة الانجليكانية ، فيطر الى اسمها المولودة حديثا لانها سومت تكون يهودية مفرحة اقل .

وعلى المستوى العلم .. قلنا تحد اننا — كيهود امريكيين — تهرب أشياء أخرى أكثر من ذلك . أنك لا تحد اليهود الأمريكيين أبدا في الأعمال اليدوية أو الرحيصة . أنهم متروون من جيع القمامة أو كس المصانع أو تنظيف دورات المياه . أنهم يسمون نحو شيء أعلى ، ويعملون بمسقة أكبر ، ويريدون أكثر ، ويستريحون اقل ..

من الأمريكي العادى أو المتوسط . ان اليهود انتظروا طويلا من اجل هذه الفرصة الامريكية . انهم يريدون ان ينجحوا . انهم يريدون ذلك بسرعة ، وييأس . انهم يطلبون السلطة والمركز والنفوذ والاستقلال والاحترام . وفي المحسب الامريكى .. على الطريق اليهودى امام اليهودى لكى يحقق هذه الاهداف الحية معا .. هو ان يعمل في الطب .

ان عشرة في المائة تقريبا من الـ ٢٧٧٧ طبيباً في الولايات المتحدة . هم يهود وبالرغم من ان هذه النسبة تبلغ ثلاثة اعشار النسبة المتوقعة لليهود الآخرين في احوالى عند السكان .. فان الرقم في حد ذاته لا يقول شيئا كثيرا . انه لا يصف الاثنا من اليهود الآخرين المسائى نحو الطب . والذي مشلوا في ان يكونوا ابناء . انه لا يشير ايما الى معاداة السامية التي كانت موجودة تاريخيا في المدارس الطبية الامريكية . انه لا يكشف عن طبقة المتساوية اليهودية لحدوث بعدا ان قرر زملاءه مقدما انهم يريدون به اقل عند ممكن من اليهود .

لقد كشف عدد مختلف من المحريات والحوث بعد الحرب العالمية الثانية .. عن وجود مظالم الحمص ، الذي كنت نطقه العديد من كليات الطب في أمريكا . ان أحد المبادئ المشتركة التي كانت الكليات تحفظ به .. هو قبول يهود معدل يتساوى مع تسعينهم الى تعداد السكان .. أى مجرد ثلاثة في المائة . وبالمستخدام هذا المؤشر من المسؤولين في كليات الطب كانوا قادرين على تجاهل النسبة الأعلى لليهود المتقدمين .. وهو شيء ما زال قائما .

والعلاقات الناتجة حاليا تدل على استغلال نظام الحمص هذا .. أحيانا طواعية .. وأحيانا — كما حدث في ولاية نيويورك — تحت صيغ قانون خاص لمخاربة السبب العنصرى . لقد تحسن

الموقف فلسفه لليهود الذين يريدون أن يسمحوا لطباء .. ولكن في داخل الدائرة الطبية نفسها .. فإن اليهودي ما زال يحدد مكانه محصوراً حتى الآن .

إن بعض المستشفيات الأمريكية سكر على اليهود امتيازات الأطباء . بعضها الآخر يعطى لليهود الأطباء حقوقهم معر سلطتهم . وغيب عدا الحال بالمستشفيات اليهودية . فإن الأقله قائمة بقوة على أن اليهود يعرضون علناً إلى حرب قوية .. تهدم معهم من الوصول إلى المناصب الرئيسية بالمستشفيات .

وبينا نجد أن الطبيب اليهودي يهتم بمرضاه ويرعاهم .. فإن زملاءه المسيحيين يفضلون الاهتمام بالتفصيا الكبرى الخاصة بالسياسة الطبية في الولايات المتحدة .. امتداء من محاربة أنصار الإحراءات الاشتراكية في الطب .. إلى ما هو أكثر وما هو أقل . أن الطبيب اليهودي يعمل في مهذان مرغوب فيه — وهو الطبيب ولكنه يشعر — في داخله — أنه غير مرغوب فيه هو شعباً .



أما لو انتقلنا إلى مهمة أخرى ، وهي المحابة .. فإن الحال هنا مختلف . فطناً لإحصائية موثوق بها .. فإن حوالي ١٧٪ من عدد المحاسبين في الولايات المتحدة .. هم يهود . أن الرقم يبلغ ستة أمثال نسبة اليهود في عدد السكان الإجمالي تقريباً ، وهو من ثم لم يشكل ظاهرة خاصة ومتميزة .. وفي الصفحات الصفراء من دليل تيلفونيات « متهافت » .. فإن عدد اليهود الذين تعنوا حاضر الشهرة يبدو مؤثراً بوضوح . أن ما لا يقل عن ثلثين محاسباً .. يوحد اسم « كوهين » في قائمتهم .. اسداء من « آرون » إلى « وليم » . وأيضاً في دليل تيلفونيات نيويورك لسنة ١٩٦٧ .. نجد ١٩ محاسباً آخرين يحملون اسم « كوهين » .

ليس في هذه الظاهرة سر أو غموض، إن اليهود يحاربون القتلون بسهولة ممنوعين في ذلك بالتقاليد اليهودية .. وفي محاولة من جانبهم لاستثناء أنفسهم من المنع الأمريكي الذي لم يكن دائما وذا نجاح في مهمة الحماية .. يمثل استقراره وبجساده في المهنة الأخرى . إن الأطباء المسيحيين كانوا قادرين في وقت ما على منع اليهود من المدارس الطبية . والبيوت الهمسية المسيحية رفضت تعيين اليهود بشكل لامت كما لو كان انتماء جماعيا .. بحيث أنه كان مألوما في العشرينات والثلاثينات أن أحد مهندسي كهربائيا يهوديا يبيع الحردوات .. ولكن ، في الأوقات الطبية والصحة ، لم تكن هناك فترة عجز فيها اليهود الأمريكيون عن الالتحاق بـ مدارس وكليات القتون . لقد تخرجوا للمنع من بعضها ، ولكن ليس من جميعها . أكثر من ذلك ، على الجانب اليهود المتنازعين كانوا قادرين دائما على الصنع بمستوى معينه مرتفع ، إن عددا محدودا من مكاتب المحاماة ما زال يقوم بتطبيق حظر واتقى على تعيين اليهود . ولكن ، حتى هذا العدد المحدود يقتصر بـسـرمة .



وبالرغم مما يشاع من العكس ، على اليهود هم أساس علمائون مثل معظم الأمريكيين .. إن الدراسات المختلفة تدعي أنهم أقل تديما من البروتستانت وأقل تورطا من الكاثوليك . إن اليهود يحضرون الاجتماعات الدينية بمعدل أقل من كلتا المجموعتين ، وهره كبير منهم يصبر حتى عن عدم إيمانه بقله . إن حظر النقاء اليهودي يركز على هذه النساء وليس على المالم الآخر .

ومع أن المثنيين هم الأكثر ظهورا بين اليهود الأمريكيين فإن

الاعلية الكبرى من اليهود لا يمكن تصنيفهم منطقيين . ان اكثر من نصف ارباب الاسر اليهودية في امريكا يقعون حيلاتهم في « التجارة » . بل انه من الممكن ان نجد مثقلين يهودا يحملون ايضا بالتجارة . ولكن ، بصفة عامة ومتميزة ، قال رجل الاعمال اليهودي ليس مثقفا ولا هو طالب علم . انه يؤمن متعلم ويحترم المثقفين ويلزم لهم اعدائه وامواله . ولكن هذا الاحترام خارجي . ان رجل الاعمال اليهودي الامريكي يكرس نفسه تماما — مثل رجله المسيحي — للاهليات التجارية .

وفي قصة كتبها الروائي الراحل « ادوارد لويس والانت » اسمها « الرهباني » على بطل القصة اليهودي بعدد من الاراضي بالربا مهمة في حي « هيرلم » . انه يعرض لسؤال عن السر في ان اليهود ياتون الى مهمة التجارة بهذه السهولة . لماذا يكون اليهود دائما فاحرا بالسليقة ؟

ويرد بطل القصة قائلا : « انك شذا بالآلاف من السمعي طلعك ليس لك فيها شيء سوى اسطورة ضخمة . ليست لك ارض تدرع الطعام فيها ولا ارض تصطاد منها .. ولا وقت لديك تقصيه في مداه واحد بحيث تصبح لك جغرافيا ، ويصبح لديك حبش او تراث وطني . ان لديك مقط عقلا صميرا ورواسك .. وتلك الاسطورة النامية لكي تدعك وتنمك في لك شيئا غريدا ومتميزا . حتى في غفرك . ولكن هذا العقل الصمير هو المصاح الحقيقي .. فبهذا العقل أنت تحصل على قطعة صميرة من الملابس . انها من الصوف او الحرير او القطن . لا يهم . انك تأخذ هذه القطعة وتقطعها الى اثنين .. ثم تبيعها مما يسر أعلى مما حقته في القطعة الواحدة . حينئذ هذه الطريقة والنقود تلك تشتري قطعة ملابس اكر وربما تستطيع ان تقطعها في هذه المرة الى ثلاثة اجزاء .. ثم تبيعها بسعر أعلى .

عند هذه استطاع ليس عليك أبدا أن تسقط لاعتراء شراء قطعة
اصليّة من الحر ، أو شيء كمالى مثل لعبة للأطفال . أن عليك أن
تخرج مورا وتشتري قطعة ملابس كبرى ، أو قطعة كثر . . وتكرر
العملية وهكذا . فذلك تستمر وتستمر . . إلى الدرجة التي
لا يصبح لديك عندها أى اقراء مأن تحفر في الأرض وتزرع
الطعام . أنك تكرر هذه العملية مرة ومرة مرة ما يقرب من
عشرين قرنا . وحينئذ . . هانت . لقد أصبحت ناجرا يهوديا
بالمصاطبة .

أن اليهود الأمريكيين يبيعون المصالات ويصنعون مرشحات
القوة الكهربائية أنهم يصنعون ثياب الفلاحين ، ويستوردون
الحر ويورعون كرات الجولف . أنهم يفسدون الأراضي الجاهزة
للبيع ويسبون السائق . أنهم ينتجون الزجاج المقشوش ويوغرون
الأضواء المساهرة للمسرحيات الكوميدية . أنهم يطمون البنوك
ويبيعون بوالص التأمين ويقترضون القفود ويلكوب كل أنواع المتاجر
على وجه الأرض وفي أمريكا حيث النجاسة هي الملكة . . وصيت
البطل النهائي ليس شامرا ولا محترقا . . ولكن البطل هو رجل لطيف
سعيد بدأ كل شيء بلا شيء . . ثم من طريق وسائل غير محدودة
أصبح يملك مليون دولار . . على المنتج التي حققها رجال الأعمال
اليهود تصبح لها اعتبارها . ونتيجة لذلك . . غرسا يكون في
أمريكا الآن مليونيرات يهود أكثر من الفقراء

ونكس النجاح اليهودي في مجال التجارة معه ما يثير المستغربة
أيضا . أنما نحن — اليهود الأمريكيين — لا نشترك مع الأمريكيين
منصة عالية في عبادة النجاح المهي في التجارة . أن مهارات اليهود في
البيع والشراء تحقق لهم غللا من المنفعة . أن عددا من أكثر رجال
الأعمال اليهود ثراء لا يرى التجارة أكثر من مجرد منصة يبدأ منها

أطفالهم تقسمهم في المين والفنون المحظفة . ان اليهود قد اثبتوا
مقدرتهم التجارية عبر آلاف السنين في ظل ظروف جائرة . وليس من
المعاجز انهم حققوا نجاحا كبيرا كرجال أعمال في ظل الحرية
الأمريكية . ولكن العداء للسلبية جعل وشئ اليهود الاحتكارية
والرأسمالية تستدير مدغم - بل وتصرق منهم أيضا الشعوب
بالفخر ، وتقدير النفس .

والنقطة الثانية المثيرة للسخرية هي ان النجاح اليهودي التجاري
في الولايات المتحدة قد تحقق ضد رغبة ومقاومة رجال الصناعة
الأمريكية أنفسهم . ان أحد البلطيين اليهود في شيكاغو يقول :
يهود في الصناعات الضخمة . اننى سمعت دراسة الوضع في
الشركات الكبرى ، واعرف . انهم لم يصبحوا بما بالعمل .

ان الموقف ليس كاسما ولا ثلثنا كما يبدو من كلمات يهودي
شيكافو .. ولكنه أيضا ليس خاطئا تماما . فبقدر ما يسمح
به المعلومات المتاحة .. لا يوجد في المستويات الإدارية العليا
لشركات « بل تلبون » و « ستندارد أوليل » و « شركة صلب
الولايات المتحدة » و « شركة تلحين م트로بوليتان » .. وغيرها .
ولا يوجد حتى الآن يهودي قريب من القمة في الشركات المائة
الكبرى الأخرى بالولايات المتحدة .

لا يوجد حتى الآن أيضا يهودي واحد مطلقا في منصب مدير
علم أو نائب رئيس .. لأي واحدة من شركات صناعة السيارات .
ومن وجهة نظر التقاليد اليهودية ، فإن مثل هذا الغياب المستمر
لليهود يصبح شئنا ملحوظا . ان معدا من العوامل يساهم
في وجود مثل هذا الغياب حاليا .. ولكن ليس هناك شك في ان
السبب الذي خلق هذا الوضع أصلا هو العداء للسلبية .

ان « تلجيه اليهودية الأمريكية » تشرح علنا اسما لما تمارسه هذه الشركات بشكل غير عفى . ان المحدث باسم الحقبة يقول « ان الطريقة التي تسير بها الأمور مقلته . ففي المصانع المتقدمة الحميمة — حيث لم يوجد يهود مطلقا طوال الثلاثين سنة السابقة — ما من هناك الآن عددا قليلا من اليهود . ان طرولهم صمية للعابيه . انهم محصورون في المستويات الانسى من الوظائف . انهم لا يشركون ابدا في صنع السياسة العامة (الشركة) انك تستطيع ان تسمى هذا محصا . . ولكننا لسنا سعداء به تملها . . ثم . . هناك النوع الآخر من المصانع التي تصيد على الابتكار . . وحيث تكون الأفكار الجديدة والمنتجات المنورة مهمة . في هذه المصانع تجد ان الوضع هو أكثر عدالة بشكل ما ، ان اليهود هنا لديهم برمه احسن كثيرا . ان السبب في ذلك هو انهم يحتاجون الى عقولهم هنا . هل هذا شيء جديد ؟ بالطبع لا . بل انه في بعض الأحيان يجد موها من الأزدواج في الشركات . فبينما يوجد يهود كثيرون في قسم المحوث والسبب والتطوير . . فذلك لا نجد يهود ابدا في القسم المبيعات . . او في الإدارة .

ومن جانب الشركات ، فاعلمنا سمع قصصات وأعدارا مختلفة ، ولكننا لا نسمع انكارا . . وقد حدث في الأبله اسلمية للحرب العالمية الأولى ان قال مسئول رسمي في شركة ثيمونيت بيومورك « ان السبب في عدم وجود علامات ظيمونيت يهوديات (بالشركة) . . هو ان العمل يتطلب مد اليد الى كل اجراء جهاز السويتشي . . ولكن الفتيات اليهوديات ادرعن قصرة . اما الآن ، فيقول مسئول كبير في النظميات : (نحن نصر على ان نمنع مسئولونا الكبار العمل من القاع الى اعلى) . ولحقبته ان اليهود لا يريدون ان يكونوا عمال ظيمونيات » .

ان الكلمات تختلف ، ولكن العقيلة لم تتغير .

والواقع ان المبرزين المسيحيين في الشركات الكبرى يعيشون طبقا لمفهوم في الحياة لا يسمح بوجود يهود . ان معظم المديرين يعيشون في محاسن كلها مسيحيون ويلعبون الجولف في نواد كلها مسيحيون . وبما عدا العلاقات العشوائية في المطاعم او في الطائرات فانهم يودعون في اطار لا يتضمن يهودا . وبعد ذلك فانهم يقولون لبعضهم في غموس : « الى الحميم بهم .. ان اليهود سوف يفسدون الانبياء » . واحيانا تكون الماطنة اقوى من ذلك ، فكما يقول نائب رئيس المبيعات في احدى شركات التبرول معد ان شرب كاسا في شرفة نادي الجولف : « شينار لا يريد هذا في شركتنا » المجرمون واليهود » .

ومع مرور السنين ، أصبحت المشكلة اكثر تعقيدا . ان شركة « فورد » للسيارات فقدت ثقة الغالبية اليهودية الأمريكية في العشرينيات من هذا القرن حينما اشرف مؤسسها « هنري فورد الاول » على النوريج الأمريكي المصمم لبروتوكولات حكماء صهيون وهي شيء روري روسيا القيصرية مدعية انها بذلك تكثف مؤامرة يهودية للسيطرة على العالم .

وبعد موت هذا الرجل المحور ، ما ان شرعته اهتمت بتصحيح وسائلها ، ان مجلس ادارة المعامل العالمية لشركة « فورد » لا يضم حتى الآن يهودا واحدا .. ولكن الشركة قامت بتجديد مقاطع عربية شاملة .. عندما قامت مشروع تصمم في اسرائيل ومؤجرا قامت الشركة ، كجزء من محتوا المستمر عن المواهب ، بلوسال عدد من كتابي المواهب الى كل من جامعتي « يشيفا » و « برانديس » اليهوديين .. بهدف البحث عن السبيل اليهودي الموهوب لتعيينهم في جهازها التنفيذي . ان عملية الاستكشاف هذه فشلت ، ولم يحصل الكشافون على احد

ومحنة عليه ، ملز بحاج اليهود كرجال أعمال ، وهو مصباح
ضخم ، سوف يستمر في النمو . وهذا الموقف اليهودي المتكافئ
في وسط رجال الأعمال الأمريكيين سوف يستمر . . حتى لو كان
زعماء الصناعة الأمريكية راغبين حقا في تغيير عدائهم للسامية
، وهو الشيء الذي لا دليل عليه حتى الآن .

ومن ناحية اليهود الأمريكيين ، فإن رد فعل معظم رجال الأعمال
مهم في مواجهة العداء للسامية ، هو إعطاء الهبات والمبلغ .
وليس من المنح أن تقول أنه حبيبا بشعر رجل أعمال يهودي بأنه
مهدد . . فإنه لا يبد يدعه إلى مذبحة ، ولا يذهب إلى باد . .
ولكنه يبد يده إلى جسر شيكاجو . أن التهديدات ضد اليهود هي
شيء متوطئ في رمما . والنشاط اليهودي الإنساني هو الآن
مؤسسه بصل مانحها المستوى الإجمالي إلى ٧٢٥ مليون دولار .

إن الكثافة التي تم بها رد فعل معظم اليهود الأمريكيين لحرب
الشرى الأوسط في سنة ١٩٦٧ ، لدهشت أناسا كثيرين بما في ذلك
كثيرون من اليهود أنفسهم . فمع بدء اشتدك إسرائيل ضد قوات
مصر وسوريا والأردن . . عاد إلى يهود أمريكا رعب قديم . . .
لقد آمن يهود أمريكا بأن مذبحة جديدة للأمرياء هي على وشك
أن تقع . أنهم عزموا لإسرائيل فوراً - ١٧٥ مليون دولار تم
جمعها . في مدة فياسيه . . هي سنة أسابيع فقط .

وفي تفسير هذه السرعة في رد الفعل . . توجد تقاليد ومفاهيم
للحياة اليهودية تمتد خلفا في الزمن وتتحدى حدود الولايات المتحدة .

مطوال ثرون عديدة ، احتاج يهود أوروبا إلى أن يكون لهم
نظامهم الخاص في جمع الصدقات والتبرعات . لا حكومة ولا طبقة ،

ولا أمر في أوروبا المسيحية . كان يمكن الاعتماد عليه في الدفاع عن اليهود . ماذا أصيب اليهودي بكرر السن وإذا كان على السياسي والأراذل اليهوديات أن يتمتع بأي حماية على الإطلاق .. من اليهود أنفسهم يجب أن يقدموها ما دام المريض اليهودي يحتاج إلى علاج . ملابد أن يصبح الطبيب اليهودي والمستشفى اليهودي ، شئني سرورسين . أنها التمرعات زائدة الضرورة ، وتدل أن تصل الموجات الأولى من المهاجرين اليهود إلى أمريكا .. كان اليهود الأورسيون قد أقاموا خدمات صحابه وطيدة لأنفسهم .

وفي الوقت الحاضر ، توجد في الولايات المتحدة أكثر من ٦٤ مستشفى خاضعة للرعاية المالية اليهودية . وهي تضم عشرين ألف سرير .. وفي كل مدينة كبيرة بالولايات المتحدة .. لابد أن تجد مراكز تخضع للحماية اليهودية .

وبمرور الوقت أصبح النشاط اليهودي لجميع التمرعات ضحايا للحماية . وفي سنة ١٩٤٨ - سنة قيام دولة إسرائيل - بلغت مساهمة اليهود في هذا النشاط مائتي مليون و ٧٢١ ألف دولار ، معظمها كان من اليهود . وخلال السنوات الخمس السابقة لحرب الشرق الأوسط في سنة ١٩٦٧ .. من الحملات اليهودية لجميع الأموال والتمرعات كتبت مقرال قلادة على حجب ١٢٥ مليون دولار سمويًا .

وبالرغم من أن هذا الرقم معناه أن مساهمة اليهودي الأمريكي هي في المتوسط عشرين دولارًا - بما في ذلك الأطفال ، فإن الدليل قوي على أن أقل من نصف اليهود العالمين في أمريكا لا يساهمون بأي شيء على الإطلاق . أن معظم الأموال منى سماع كبيرة ، وفي بعض حالات رحل الأعمال لليهود على التبرع إذا وصل إلى مائة دولار .. لا يكون مرضيا .

ان المنظمات اليهودية لجميع الاموال في الولايات المتحدة تقع
 خطوطا لوضح من تلك المنظمات الأخرى لنشاط الحالية اليهودية
 في أمريكا . ففي معظم المدن الأمريكية .. يتم جمع التبرعات
 بواسطة الاتحادات . ان اليهودي العزدي يساهم مرة واحدة لصندوق
 رئيسي وعن طريق هذا الصندوق يتم تقسيم المبلغ الإجمالي الى
 خمسة . ان أعضاء من كل دولار تذهب الى تمويل توطين اليهود
 المراكش في إسرائيل ، جزءا آخر يذهب الى المستثمر اليهودي
 المحلي ، جزءا ثالثا الى المنظمة اليهودية الثقافية ، جزءا رابعا الى
 المدارس اليهودية الدينية . وفي النهاية ما تبقى في المئة تقريبا
 يذهب الى ما وراء البحار ، اي إسرائيل .

أما في مدينة نيويورك التي تعتبر أكثر مصدر لجميع التبرعات
 فإن « النداء اليهودي الموحد » يخصص إيراده أساسا لما وراء
 البحار بينما الاتحاد الاسرائيلي اليهودي يخصص إيراده أساسا
 لأغراض محلية . ان الاسرائيلي يجمع أموالها منفصلين . أما في
 المدن الأخرى فيتم السمع بشكل موحد عن طريق الاتحادات .

ان هذه الاتحادات تعمل تحت إشراف خبراء يهود محترمين
 وهي تقوم بجمع التبرعات مرة واحدة سنويا في أكثر من ثمانمائة
 مدينة أمريكية . ان المجموعات المحلية تنضم الى مجلس قومي
 للاتحاد الصهيوني اليهودي والنشاط الاحتياطي ، ولكنها تتوسع
 باستقلال في طائفتها المحلية وتبارس مشاغلها طائفا لخطوط يتم
 وضعها على أساس قومي .

والنجاح الذي يحقق في كل مدينة مختلف تماما لليهود الذي
 يتم بخله في جميع الاموال .. لطبيعة الحالية اليهودية في كل مدينة .
 ان « كيملاند » مثلا .. هي مدينة ذات أحياء قديمة كبيرة يسكنها
 النرد .. ومع ذلك فإنها تمثل منطقة حيوية « لجميع الاموال

اليهودية . ان الحثلية اليهودية في « كليفلاند » وانفرادها مسكون
الضواحي ومعظمهم يصل متوسط ثبرغ الفرد منها الى ٧٥ دولارا .
مدينته « فيرويت » هي ايضا « منطقته جيدة » .. بينما
« لوس انجلوس » ليست كذلك

ان لوس انجلوس تصمم حوالي نصف مليون يهودى .. ومع
ذلك لا يساهمون باكثر مما يساهم به يهود « كليفلاند » .. الذين
لا يريدون عن مله الف . ان المخصصين يشيرون الى الطبيعة
المنتشرة والمتشعبة لوس انجلوس .. والى احسانها الشمولى
بالرؤال .. كتفصير جرسى . ولكن ، مع التسليم بهذه الاشياء
من المخصصين مازالوا يصرون عن حيزهم من هذا التناقص .

وهنا يقول احد اليهود المخصصين في هذا النشاط ' « اننا
نصمم عامه لا نستطيع ان نملك مقدار معين من الصلايه بالنسبة
لمنطقت الترميم الناحج لجميع الترميم » . اننا نعرف مثلا ان
المجالية يجب ان تضم ارضا اثريا . نحن لا نستطيع ان نجح
كثيرا في جميع الاموال بين الفقراء . ثم ، نحن محقق نتائج افضل
بين الحالات اسى فليسبب جيدا كما هو الحال في « كليفلاند »
.. حيث استقرت كل اسره واصبح التفرع تقليدا قائما . في مثل
هذه الاماكن هناك نجد الناس يسمعون بوعى يهودى قوى ووعى
هباعى قوى ايضا . احرا ، كما نستطيع ان نحصي ، يجب ان
يكون الجهاز لكما ما يمكن » .

وفي مدينة كثيرة نموذجية ، هي شيكاغو . نجد ان المنظمين لهذا
النشاط يرسلون اجانا للتسيه بعمل كالدوريت .. خلال كل شارع
في الحياه اليهودية . ان موضوع جمع الاموال يتم تعيينها بالنسبة
لكل ماد يهودى في شيكاغو . في نفس الوقت تختص لجان اخرى
برحال الاعمال . لجان اخرى بشكلها « البناء اليهودى المتحد

في شيكافو « تتخصص في مهمة الخطف والكحول والمخدرات
الأخرى .. وفي المجموعة الأخرى هناك ١٦ لجنة تعمل على كل
دولار ممكن من مجموع رجال الأعمال .

ويقول أحد المسؤولين عن هذا العمل « أن الهدف الشاغل لنا
هو أن نحصل من المسجل على أي شخص إلا نبرع . أننا مخاطب
في كل شخص ما مرأه بنسأا . الخوف .. أو المرور .. أو
التعطيل مثلا . أننا نريد نتائج . ولهذا نلج المرور هو في العادة
أحسن الدوائج » .

وفي هذا الصدد هناك نكتة شمس يتم استحداثه في معظم
المدن الأمريكية الكبرى هو طبع وشتر ما يسمى بـ «كتاب الحياة» ..
الذي يتم توزيعه على نطاق واسع بين أفراد الجالية اليهودية .
أن الكتاب يضم في البدايه صفحات قليلة من الكليات والمسور
المناسبة .. وبعدها يصبح قائمه من الأسماء . أن كل شخص
ساهم على الأقل بتدبر محلي من المنود ، ربما خمسة دولارات ،
يتم طبع اسمه بلون خاص . وسميهم المحالمة . من أي شخص
يرفض التبرع يسبح معروفا .

أن أحد أعضاء لجان جمع التبرعات يقول ، أن « كتاب الحياة »
هو واحد من أكثر الوسائل فعالية لكسر الجمود . ليس هذا فقط ،
بل أنه يحصل كل شخص معطى شئنا قليلا يجعله يملأ أكثر ..
وبالنسبة لأوساط رجال الأعمال . فإن كل شخص يريد من الجميع
أن يتصوروا أنه أكثر ملاحا . أن التبرع هو شكل من أشكال التفاخر
أيضا .

أن أناسا قليلين يمررون كل وسيلة بينها المسؤولون عن جمع
الأموال اليهودية . وفي مقابل ذلك فإنهم ينفقون هذه الأموال
يشيرون إلى الهدنة . أنهم يتخفون عن « مستشفي حل مبياء »

في نيويورك . عن « مستشرق مجتهد زير » في شيكاغو . . انهم
يخضعون عن السياسي الدين وجدوا ماوى ، عن الارامل الدين
وجدوا عملا . انهم . . يتحدثون عن اسرائيل .

ان المنطقة هنا ليست هي ان الشغل اليهودي يسجل نقطة
مرتفعة منط ، ولكي المنطقة هي ان اليهود ، وتحدد رجال الأعمال
اليهود . هم غريبون بين مجموعات المهاجرين الحديثين . وايا كانت
الأسباب . . عانهم يمولون تدبير لورهم بسمهم .



ومن الناحية الأخرى نجد ان عددا كبيرا من انصار البين في
امريكا يدعون ان لديهم معرفة اكثر باليهودي كرجل اعمال .

انهم يسألون . كيف يمكن ان يكون ملوك رجل الأعمال اليهودي
أخلاقيا ، سيما هو لا يعرف المسيح ؟ ان اليهودي عدواني بطبعه
والمسيحي الطيب لا يمكن ان يكون كذلك ان اليهودي الذي لديه
مسيح يعرفه ، ينتقل الى الشعور الأخلاقي .

ول نفس الوقت الى احد النظريين المشهورين كتب يقول .
« دعونا نلحق الى اليهودي الحقيقي في زماننا هذا .

— ما هو انفس اليهودي في حالنا ؟

— الضرورة المادية .

— ما الذي معده اليهودي في هذا العالم ؟

— الرضا .

— من هو الله ؟

— المقود .

ان مؤلف هذه الكلمات لم يكن هنر الكاتوليكي المسيحي . ولكنه كان هنريخ كارل ماركس مؤسس الشيوعية ، الذي ولد أصلاً كيهودي . فسمى مقال له بعنوان « المسألة اليهودية » كتب ماركس قائلًا « ان اليهودي حرر نفسه — ليس فقط من حصوله لنفسه على السلطة المالية ولكن بعض حقيقته ان المتود قد أصبحت سلطة عامة . والروح اليهودية العميلة قد أصبحت هي الروح العميلة للدول المسيحية » .

والرغم من ان هذه المقتضبات يمكن اعتبارها بمثابة تعليقات ماركس انتقالية . فان أهميتها توجد في مكان آخر . انها شملت حقاً مشاتصاً بين ماركس والمسيحي انطرب . وحتى في الولايات المتحدة ، التي يصعب ان تكون ارضاً خصبة للنصارى ، فان اليهود أقاموا معها راديكالية ، وأدبلوا بأحاديث راديكالية ، وشكلوا اتحادات راديكالية ورشحوا أنفسهم كراديكاليين . تحت شعار ماركس المهادي للبادية . ان مثل هذه النشاطات كانت برمج الرجل اليسبي الأمريكي . ومجرد ان ينتهي من هويته على رهن الأعمال اليهودي . . فانه يستدير الى الراديكالي اليهودي .

وفي أمريكا لا يوجد يسار يهودي متعش . ولكن يكون متأكد ، فان هناك يساريين يهوداً ، ولكن لا يوجد يسار يهودي . ان هناك عاملين على الأقل ساعدوا في ذلك بالأسانفة الى عامل ثالث — المداء المسامي بين السود . ويقول احد الروج وهو يشتمل كرحل أعمال ناحح في هي هارلم : « ان اليهودي يكون مدماً بالحياة داخل اكنوبة في أمريكا . انه يحاول ان يصبح حراً من الاغلبية البيضاء . ان اليهودي يهرب ان المسيحية غير ناححة ولكنه لا يمكن ان يقول ذلك بصوت عال . انه يحير الرجل الاسود بان عليه ان يصلى — ان اليهودي يعرف ان هذا لن يحرر من حال الرجل الاسود مطلقاً — هل يعتقد ان اليهودي الذي يقول ذلك . . هو

نفسه يملئ ؟ انه يملئ كالجحيم . ان اليهودي يأتى الى حى
 يمكنه السود . ويبيع المسكلة بـ ٢٦٦ دولارا . ان نفس المسكلة
 تباع بـ ١٦٦ دولارا في الحى اليهودي . ولكن اليهودي يأتى الى
 الرجل الاسود ويقول له : اجمع عشرة دولارات مقط وأخبرنى
 بوظيفتك . . . وحد المسكلة . والآن ، يوقع الرجل الاسود على
 ورقة ، بينما اليهودي الذى يملك المحل يحدد هذه الورقة ويبيعها
 الى شركة ائمن . . . هى بنورها يهوديه . ويحدد ايمعرا الدائن
 الاسود عن تسديد بعض الأقساط ، ما محبها يهوديا يخصص ثورا
 على امر قتلوى باستدعائه ، وبمدها يأتى محصر . وان اليهود ياهدون
 المسكلة . . . لكي يبيعوها من جديد ، بينما المواطن الجدير الاسود ،
 الذى ربما لا يملك فى حبه اكثر من دولارين - يفر من سطح
 اسرته ويحكمه رعبه فى الحرية ، ويسيطر عليه شعور سيء انه
 لا يجد ما يدفعه سوى ان يجرى الى محل عبور ، ويضع الدولارين
 الآخرين فى حبه . . . فى الحبر . ان الرجل الذى يبيع له الحبر هو
 فى النهاية يهودي آخر .

وبالرغم من ان فى هذا الحديث عناصر من الحقيقة . . . فانه
 موه . ان من الصحيح ان بعض الكيانات ساع فى احياء السود
 باسماء اعلى ولكن من الصحيح أيضا وجود معدل اعلى من
 الجرائم ، واجراءات أقل ضد الحريق ، واحتمال اكبر للشعب .
 وهذا كله يرمع تكاليف لقاء المحل الحارى . ان من الصحيح ان
 الرجل الاسود قد حصل على اقل خدمات ممكنة - بطريقة محطمة
 من رجال الأعمال الأمريكيين وليس اليهود . . . وفى النهاية على
 من الصحيح ان بعض اليهود يستغلون بعض السود . . . ولكن
 من الصعب مع ذلك ان يجعل الصورة ناعدا لونا اكثر مساواة
 من ذلك .

أن العداة للسلمية بحسب أن يكون هو أول الاضطراب إلى يواحها
اليهود . وهو كذلك فعلا منذ قدومهم لأمريكا . أن أكثر من مليون
وصف مليون يهودي من أوروبا الشرقية وصلوا إلى الولايات
المتحدة في السرد بين سنى ١٨٨١ و ١٩١٠ . أنهم خرجوا من
روسيا حيسا سيطر عليها العداة السلمية . ووتها كال إحدى
الخطط الروسية التي وصفت لحل « المشكلة اليهودية » تقضى
ماتحاد ثلاث خطوات . . حيث بمقتضاها لابد من تهجير ثلث اليهود
و تحويل الثلث الآخر إلى المسيحية ، ثم قتل الثلث الآخر .

أن الموقف في روسيا القيصرية وقتها دلح مثلث الاول من
اليهود ناحية اليسار . وطبقا لاقوال الحاحام برنارد بلوم لسان
« الاشتراكية كانت السلمية ليهود الامبراطورية الروسية . . بمثل
ما كانت حركة الإصلاح الدينى لليهودي . أن تلكا الإيديولوجيتين
مكتبا اليهود من أن يهربا من المعمور الوسطى » .

وبالسبب لأمريكا . . ماوانع انه برغم أن العداة للسلمية هو
شيء حماد للسياسات المقررة وملسفة حكومه الولايات المتحدة . .
الا أن العداة للسلمية لا يمكن أن يسمى بأنه ظاهرة غير أمريكية .

أن العداة للسلمية كال واحدا من المصادر الأولى القافية
من أوروبا . . والتي وصلت إلى الدنيا الجديدة سابتة على معلم
المعالمين اليهود . ومن المؤكد أن اليهود لم يبدؤوا الاستقرار في
ما سسمى بعد تلك « الولايات المتحدة » . . حتى منتصف القرن
السابع عشر . . ولو لمحتفيا لليهود والرتيق . . فإن من المقرر
أن أربعة ملايين فقط كانوا يعيشون في المسممرات التي كفت
ثالثة وقت مشوب الثور الأمريكية .

ولقد كان « هيم سالومون » — الذى محتمل أن يكون قد وصل

الى أمريكا في سنة ١٧٧٢ — هو أول مهاجر يهودي من بولندا ..
انه تولى العمل مع الحكومة الثورية ماعشاره « مسيسارا » في مكتب
المالية . مع تلك من تهرمة «سالمون» الأمريكية تم تكرر مسجدة
تماما . انه في النهاية لم يستطع ان يجمع لنفسه رأسمال كاميا ،
وبعد وفاته رمى الكونغرس اكثر من مرة طلبات أسرته بتقرير
معاشي لها .. ومن المؤكد ان السبب في ذلك كل هو العداء
للسامية .

وحتى سنة ١٨٢٠ لم يكن هناك اكثر من ١٥ ألف يهودي في
الولايات المتحدة ، بسيا كل عند السكان بقرب من ١٧ مليونا .
ان معظمهم كانوا يهودا شرقيين .. فهم كانوا يهودا قاسمين من
أصل لسياتي وبرتمالي — ولكن مع سنة ١٨٤٠ ومع خروج هجرة
واسعة النطاق من الديويلات الألمانية ، عند بدلت اول موجة هجرية
يهودية كبيرة تصل الى أمريكا .

ان العداء للسامية . كما يواجهه معظم اليهود الأمريكيين اليوم
لم يكن موجودا في تلك السنوات ، ولا في سنوات الحرب الأهلية .
ان أخلاق النوادي في وجهه اليهود .. وأغلاق المناطق الأخرى من
الحياة الاجتماعية ، ووجود الحواجز المرتفعة في التجارة والتعليم
... كانت اشياء مائزات محصورة للمغترب الأمريكي .

ان مؤسس ، او على الأقل التأسيس الحالي — للعداء الأمريكي
الحالي للسامية هو « هنري هيلتون » .. رجل الأعمال الذي
عين فيما بعد مديرا عاما لمندق « حراند يونيون » في نيويورك .
وفي سنة ١٨٧٧ أصدر هيلتون تعليمات بمحرم السياح لليهود متحول
هذا الفندق مستقلا — اثر اكتشافه في احد الزملاء يهودي . لقد
كانت تلك هي محطة البداية في حملة من الضغوط المعادية للسامية

في أمريكا . انها حملة لم توقف لمدة سبعين سنة بعدها . . الى
ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلال تلك السرة المعلقة على الحرب الثانية ، اشترى لا هنري
غورد « حريدة في ١١ يناير سنة ١٩١٩ . وخلال سنة واحدة بدأت
تلك الجريدة - التي كانت راكمه تبايا - اتوى حملة من المداة
للسامة في تاريخ الولايات المتحدة . ففي شهر مايو سنة ١٩٢٠ ،
نشرت الحريدة المقال الاول من سلسلة مقالات وصلت الى ٩١ مقالا ،
وكلها بعنوان « اليهودي الدولي : مشكلة العالم » . ان محور ملورد
بالمقالات كان ما يسمى « بروتوكولات حكباء مسبيين » . . وهي
المقالة التي روجها روسيا القيصرية مدعية انب مصدر على تفاصيل
اجتماع سرى لـ « رعباء اليهودية العالمية » .

وحلا الى ٩١ اسبوعا التي نشرت فيها الجريدة هجمات على
الساميه ، ارمع توريمها الى ستمائة الف نسخة . . وى النهاية ،
اى في سنة ١٩٢٧ ، تفصل غورد من المقالات في بيلى عام . انه
كتب يقول . « اسى متكرر بصيق من ان هذه المصححة كانت هي
الوسيلة . . من اجل معاقم الفراغ القائم على ان اليهود مشتركون
في مؤامرة للسيطرة على راس المال وصماعات العالم . . . اتنى اظن
ان من واصل كرحل شريف ان اقوم منقوبم وامسوخ الاحطاء التي
ارنكب في حق اليهود كنخوة ورفقاء » .

وفي نفس السنة اتفقت شركة غورد ١٥٦ لك دولار كاعلانات في
الصحف اليهودية . وومضى السنة ليما ، ترجمت مقالات الصحيفة
واعيد طبعها بالالمانية . وقتلها بعض سنوات لاحظ مراسل لهريدة
اليوميرك بنهر (اليهوديه) . . فيما هو يحرق حدث مع الزعيم
النارى ، انولف هتير « . . لاحظ صورة لغورد معاقه على أحد
جدران المكتب .

ويجب أن يلاحظ هنا أنه خلال فترة ازدهار هتلر ، لم وطوال فترة حكمه ، على الولايات المتحدة لم تعلن ولا مرة عن خلافها معه بالنسبة لقضية العداء للسامية . ان الولايات المتحدة لم تقم حتى بتقلع العلاقات الصلواتية ... لو حتى بحبس التبادل التجاري . ان الرئيس « فرانكلين روزفلت » نفسه كان صامتا وأحرم .



والآن ، بعد ان احترقت المولد في برلين ووارسو وفسا ... لقد أصبحنا نحن اليهود الأمريكيين غداة . اهم حليه في العالم .

ان اليهود الروس صامتون . ويهود اسرائيل يصارعون من اجل البقاء . وبهذا من علينا نحن - يهود امريكا - تقع مسئولية نهائية من اجل البقاء . فلذا لم تنجح نحن في البقاء كيهود ...
من افن ؟

العالم العربي أمام القارئ الغربي

◇ تروودي باكرونيانجيل جوزف

● لس هذا الكتاب في السيلة ..

هذا الكتاب في الرحلات . عنوانه : « يوميات حول العالم » . مؤلفاته هي : مضيعة حوبتان أمريكيتان اسمها « ترودي مكر » و « راثيل جونز » . موضوعه هو معامرات هاتين المصيفتين في أكثر من خمس عشرة مدينة ولدا حول العالم . توريعة : « مدى الثلاثة ملايين سبعة » . مكل منوره : « الولايات المتحدة الأمريكية » .

هذه هي البيانات المدنية عن الكتاب .

بعد ذلك بقراء . بقرا عن لندن وباريس وبارلين ومونت كارلو وكوبنهاغن وموسكو .. ومضى البلاد التي تناولها الكتاب في لمصولة . وطوال صفحات الكتاب ، لا تطر على مثل القاريء الأحيى سوى ملاحظة واحدة . فنه كتاب حبيب وسهل ومقول . في حدود هذا الإطار الشخصي من توريعة .

مع ذلك لمن الكتاب يؤدي في ثانيا صفحاته مهمة هائية — هي في صميم السيلة .

أن أحد فصول الكتاب عنوانه : « لنا لايهنى ماذا نقول الأعبة » ، أخرج من خييتى « . بعدها يبدأ للكتاب في سرد معامرة يفترض أن إحدى المضيفات الحويات الأمريكيات قلبت بها أضراريا في مكان ما من العالم العربى — مكان يقع في الصحراء ما بين سوريا والملكة العربية السعودية . ولطالها للرئيسيون أربعة رعيم قبيلة عربى ، واسه .. ثم المصبة الحربة الأمريكية : وطلير جريطانى اسمه « سترلنج » .

وكما تناولت الأعلام العربية كثيرا المعامرات المزعومة للرحل الأبيض في أدغال إفريقيا .. على هذا الفصل يقدم لنا معامره الطيار البريطاني ومضيفته الأمريكية في الصحراء العربية . اننا امام عرب هميين ومربريين ومتوحشين من ناحية ، في صراع ضد معامرين عربيين متحصنين وشجعان وطوارئات من ناحية أخرى . نحن امام نمأة غريبة حيلة وعدراء .. ثناء لها سوء الحظ ان تقع ضحية احتطاف قامت به قبيلة عربية . بحيث لم يعد هناك مفر سوى ان يقوم رجل لبس قدام من العرب باقتلا هذه الفداء المسكية من مرائي هؤلاء المتوحشين العرب . انه يقوم بهمة هذه وحده . بعد ان يخطي الجميع عن مساعدته . في مواجهة قبيلة يأكلها . وحده ، مصر شريك معه سوى مسكن . وسلبية .

هذا هو الموتب الاساسي في القصة كلها .

ان رحيم القبيلة العربي له لسلي ، أحدها جاهل وهبى مثله . والآخر تلقى قسطا من التعليم ، ولكنه سلبى للعبه .. ومهروم دانيها ، ولا يعلم بغير سيطرة لورد مكينة الهواء . وفي البداية يقدم لنا هذا الكتاب رحيم القبيلة باعتباره لوبا لا يعرف حتى معنى كلمة « احتطاف » باللغة العربية . ومعهما بقليل ملاحا به وقد أصبح — بقدره قادر — يتحدث بالانجليزية الى المصيفة الأمريكية .. مكررا لها بشكل متعمد بعير « انه لشيء مكتوب » .. احياء من انكتاب بانه مكتوب في القرآن طبعاً .

ان القصة كلها تتصح بها « الفسحة » من اول دقيقة .. وكفى أن تقرأ الأسماء التي ادعاها المؤلف لأبطاله العرب . أسماء مثل « ابن سبنوش » لو « يتايد » لو « شلوم » . هل حدث مطلقا ان سمي عربي مسلم ليمه باسم « شلوم » ؟

اننى اتصور الآن قارئاً عربياً مصحك بله شديده .. استجماعاً
منك الصور الكاركتيرية ولكننى اتصور أيضاً قارئاً أمريكياً ضحك
هو الآخر من قراءة الكتاب كله .. ولكن على أساس ان ما غراه في
الكتاب كثر واقعه محددة . منكر مما هو صورة كاريكاتيرية . ان
القارئ الأمريكى معطوماته السطحية تنمى عن العالم العربى ،
وباهتيايته الضخمة في القراءة ، ويولمه الشديد نقص المعينات
والبطولة العربية ، وسلباته التاريخية منه انزع قارة بأكملها من
أيدي اليهود النحمر .. قد اشترى من هذا الكتاب اكثر من ثلاثة
ملايين نسخة .

ثلاثة ملايين نسخة ، وثلاثة ملايين قارئ أمريكى على الأقل ..
هزجوا بعد هذا الفصل المتطاع رئيسى واحد ' ان العرب هم اليهود
الحمر الحدى في منطق الشرق الأوسط . انهم همجيون مفرزون
لا يملح للعامل معهم سوى المسدس . ان « هؤلاء العرب بيكى
ان يكونوا متوحشين تماماً حينما يطلق الامر بأمرأة عربية جبيلة »
على حد تعبير هذا الكتاب . ان شيئاً لم يردعهم عن احتطاف هذه
الفئة ومحاولة اغمصها بالقوة .. سوى رجل نبض قائم من
العرب .. حاملاً في يده مسجماً وبنديقة .

الى هنا والكتاب لم يقل شيئاً على الإطلاق عن العرب
واسرائيل .. لا شيء .. لا شيء .. لا شيء .

ولكن القارئ الأمريكى — نفس القارئ الذى قرأ هذا الكتاب —
حينما يتصفح جريدته في اليوم التالي .. ويقرأ فيها خبراً من قيام
اسرائيل بعرضه ضد المدائين الفلسطينيين مثلاً ، لو صد هذه الدولة
العربية أو تلك .. فانه يكون مهتماً بقدره لنقل هذا الخبر في اطار
نهمه السابق لصورة العرب في الشرق الأوسط همجيون ،

بربريون ، مناحرون ، مستحقون التأييد من وقت وآخر . يعنى
يهود حمير ..

وتلك هى المهمة السبلية التى يحققها هذا الكتاب .

ان احدا لم يلمت بها فى العالم العربى لهذا الكتاب عسما ستر
فى مخبئه نيويورك .. ولا الكتب الأخرى المماثلة . وربما لأننا هنا
لا نسمع بما فيه الكفاية للنشاط الصهيونى داخل دور النشر الأمريكـية .
دور نشر مثل « راندوم هاوس » و « ميبون أند شوسبر »
و « بانوم كيمباني » التى أصدرت من هذا الكتاب خمس طبعات
متتالية .

لم يلتفت أحد هنا لمثل هذا الكلب ، ربما لأننا نكتفى فقط
بالإشهاد إلى الحركات الإعلامية الصهيونية .. الحادة والصارخة
والمباشرة . ولكن الإعلام الناجح - فى الحرب الأكثر مه - ليس
حادا ولا صارخا ولا مباشرا - الإعلام الذى يريد أن يؤثر بعمق ،
ويعمل على أساسى محيط طويل الأجل .. يربط نفسه من أجل
تحقيق هدف أساسى هو ' تشويه همسه سببيا وثقافيا
وحضاريا .

.. وهذا هو بالضبط ما يمارسه الإعلام الإسرائيلى والصهيونى
ضدنا فى أوروبا وأمريكا . أنها الحرب الأخرى التى تمارسها
إسرائيل ضينا ، بعيدا عن جذائ القتال المسلح .. وعن الإعلام
المبشر الذى رأبناه حتى الآن . أنها حرب أخرى بحرى من صفحات
الكتب العديدة المتوالية . مثل هذا الكتاب الذى اخترته كبثال
ومودج ، أنى فضلت أن أترك الكتاب كله .. لكى أقدم منه
للقرائء العربى هذا الفصل الخاص .. بالتقصيد وكما ورد فى
الكتاب تماما .

.. وليس هذا كلنا فى السيله .. ! ●

أخرجني من خيمتي ..

صناعة الطيران المدنى هي ، مثل كل الصناعات الأخرى ، قد شكلها الحلقى بين الحرمة والإشاعة . هذه الحرافات .. بمجرد أن تبدأ ، تنمو في الشكل والمضمون .. إلى أن يصعب في النهاية استعراج الوقائع الحقيقية منها .

إن إحدى هذه الأساطير في عمل المصنعات يدور حول « جين ميتلوس » . أنها عملت في شركتها للطيران قبل عملها مع سموات قليلة . في الحقيقة .. أنها عملت في خمس شركات مختلفة للطيران . وكما تبدأ هذه القصة .. على « جين » أنضرت للمرة السادسة أن تعمل في شركة أخرى للطيران . وفي هذه المرة كانت الشركة هي مجرد شركة طيران عربية صغيرة تعمل في الأماكن السائبة والمناطق النائية من العالم العربي .

إن جين كانت فتاة طروباً ، مشحونة بالمرح والحيوية .. وقد أصبحت قصة تجربتها التي لا تنسى ، والتي وقعت لها أثناء عملها في الشركة العربية ، قصة تنروي في أنحاء العالم كله . إن من الواضح هنا أن الموتب الأسلى في القصة قد حدث معاً . ولقد حاولنا أن نلمح بها شبل المساهمين المختلفة التي تتم بها رواية الحرية .. لكن نسم القصة في هذا الكتب .



نظر « ياشد بلستوش » إلى أعلى من فوق الجبل الذي يمتلكه .. بعد أن سمع فوق رأسه طقراً من طراز « د. د. س — ٦ » .

أنه همهم لنفسه قتلاً : هذا طير كبير .

أحانه « شالوم بلستوش » : لا ليها العبي .. هذه طائرة !
إن الأحمين العربيين راقبوا الطائرة وهي تحتل في الضباب الأسفر الذي تثاره عاصفه رمالية هبت فجأة .

في داخل الطائرة ، خال الطيار ومساعدته في صراع من أجل الاحتفاظ بتوازن الطائرة . أن الطائرة « د. س - ٦ » قديمة ، ودات رصيد كبير في ساعات الطيران .. ومن ثم قاتما ذاتنبيل محدة نحو اليسار .. برغم مجهودات طاقم الطائرة . لقد كانت هذه الطائرة واحدة من أروع طائرات مماثلة تمتلكها الشركة العربية الجوية المصرية .. وكانت الطائرة في رحلتها العادية من دمشق بسوريا والرياض بالمعربية السعودية .

ان الطيار - وهو بريطاني لكسسته الشمس موعا من السمرة أقرب إلى اللون الأفريقي - كلى يجاهد بامضى ما يستطيع للسيطرة على المحرك .. بينما مساعدته - وهو عربي من ندرية في إنجلترا - قهر من مقعده .. راكما على أرض كابينة القيادة .. مجها بوجهه نحو الشرق .

ان الكاش « سرنج » .. بينما يكافح من أجل إدارة الطائرة نحو اليمين .. شتم مساعدته صائما : ايها العمى .. انهض واجلس على كرسيك وساعدنى في السيطرة على هذه الطائرة الملعونة .

وهكذا نهض مساعد الطيار ملثما الى مقعده .. بينما هو جا يزال مستمرا في التمتة بصلواته .

في مؤخرة الطائرة أحسن الركاب - الذين كلى عددهم سبعة .. وكلهم من العرب - ما لمشكلة .. وأمسكوا في قوة بمسند مقاعدهم .. لها المصيبة الوحيدة بالطائرة .. فقد مرصت في خطوطها ، بينما هى تتتح ماب كابينة القيادة .

ان الكاش « سرنج » صرح فيها تقلا : اننا نفقد السيطرة

على الطائرة .. احمرى كل الركاب بل يسمعونوا لهبوط
اضطرابى

لجابت المضيفة قائلة « مم ، يا سيدى » .. ثم اعلت
حلمها باب الكابينة ، وعادت الى مكل للركاب . هذه المضيفة
كانت هي « حى مبتلون » . انها لعت لطائرة .. واحاطت
بفسها محرام مقعدها . وبعد ان اخكت ربط الحرام ، صاحت لى
الركاب ' اربطوا احرمة المقاعد .. واحطعوا نظرائكم .. وضعوا
وساده على احرهم .. وناسكوا . اننا سوف نستخدم بالارمى » .

لقد انطلقت من الركاب ناولات محتلة برتعة .. ولكن « حى »
تحاولها . وببسا هي تراقب الصحراء التى تسرع لمقابلتهم ..
لديها هيبنت قائلة لنفسها كل يجب لى لترك هذا المبل ..
واقل وظيفة مقعة .

ان الكاش « سترنج » اطل محركات الطائرة مع اقترابه من
ارض الصحراء .. لدة بدت لا نهائية ، ثم ترك الطائرة يستقر
غوى رمال الصحراء .. ولكن ليس عمق يسمح بانصاة مقدمة
الطائرة . واحيرا ، توقفت الطائرة للسبرج قبل مسافة قصيرة
من تل رملى ضخم .

قال الكاش « سترنج » لمساعده ، ما ريك لى هذا الهبوط
الاضطرابى ؟

ولكن مساعد الطيار كل مهترا .. بحث انه لم يرد . ان كل
ما تحله هو انه جلس هناك ، وظل بهم بطوات نحو الشرق .
كانت تستلزم منه لى يغير رأسه مبدا نهليا .

ل « سترنج » هر كتيبه فى حركة ارماء .. وفك حرام
مقعه .. وذهب الى كنيبه الركاب .. فوجدهم تلقين للعاية .

لها « حين يبذلون » فكنت ما تزال جالسه في مقعدها ..
بتعبير مثير فوق وجهها الحبيب . انها سألت الكاش « سترلنج »
كيف استطعت ان تتحدى هذا اللد الرملى ؟

رد هو عليها . حسنا يا عزيزتى .. لم يكن اماسى من اختبار
في هذا الشأن ..

فكنت « حين » حرام مقعدها ، وبهضت واقفة ، وفتحت باب
الطائرة ، وظللت في الصحراء الواسعة الممتدة امام عينيها
بلا مهية . ان الحرارة انتهت الى الداخل من باب الطائرة في
لحظة واحدة . ان درجة الحرارة لا يمكن ان تكون اقل من مائة
ومشرين فهرنهايت .

ان « حين » اعلقت الباب .. وهيمت للكاش بل يبعيد
تشمول جهاز تكيف الهواء داخل الطائرة .

لقد رد عليها « سترلنج » : لا استطيع ان افعل هذا . انسى
لا اريد ان استهلك البطاريات .. انك تعلمين ان البطاريات
قديمة مثل هذه الطائرة المرممة ..

قال احد الركاب العرب للكاش : كم من الوقت سوف يظل
هنا .. يا كاش ؟

رد « سترلنج » : لا استطيع ان احدد لك .. ايها الشاب
المجوز . انسى حاولت الاتصال عن طريق الراديو بالقرب محطة
منح للبرول .. واحبرتهم باننا سوف نهبط لسطراليا .. اتنى
لفترض انهم سوف يربطون مسلكا لارسال واحدة من طائراتهم
خلال وقت قصير .. او — على الاقل — دعنا نابل ذلك .

ان الطائرة سرعاً ما ارتفعت حرارتها .. وسرعان ما أصبحت مقصورة الركاب لا تطلق . لقد متحت « جين » باب الطائرة وسط دهشة الجميع .. وسرعان ما تجمعوا كلهم في ظل الطائرة من الخارج ، وانظروا في صمت .. وعيونهم تتحول فوق رمال الصحراء من بعيد .. بحثاً عن علامة انقاذ .

لقد بدا الليل يحل .. مبها عيون الجميع متركزة على السماء .. ولو حدث ان نظروا عبر الصحراء .. في الحجاب الأهر من الطائرة .. فلنهم كانوا سيرون قافلة من البدو يقودها « بشيد » و « شالوم » .

كانت القافلة تضم أحد عشر عرباً .. وفسحة من الجمال . ان « باشيد » صاح بدهشة عندما رأى الطائرة : انظر .. هذا هو الطير الكبير قد هبط على الأرض . صاح فيه « شالوم » قائلًا ، لقد لمبرك ان هذا ليس بطائر كبير .. هذه طائفة .. وهي تعيل اناساً ..

ان « شالوم » .. بعد انتهت دراسته اننى استعرفت سنين في بيروت .. كلى من التحصيل الحياة معه . انه كلى يقباهي بتعليقه الحديد في كل منسوبة .. بما كان يثير عليه سخط رفاقه من البدو . ولكن « شالوم » لم يكن يكثر بشاعرهم . انه يريد فقط ان يترك حياة البدو ويحصل على وظيفة في مكتب مكيم الهواء بالمدينة .. ولكن تقليد قسطنطين كان عليه ان يعود ويشترك معرسته التي حصل عليها في الجامعة مع أعضاء قبيلته .

انه في هذه اللحظة كان يصبح في الحال الذي يستطه ، محتباً لنفسه : اننى قضيت سنتين في دراسة العقل الإلكتروني .. وبعد ذلك يكون قدرى هو الحياة مع ليمان هؤلاء الناس الذين يعتقدون ان الطائرات هي طيور كبيرة !

بعدها ذكر « شالوم » الحمل بقدمه ، مغترا في المسيرة ذات
الهواء المكثف ماركة « غورد » .. التي اعتقد ان يركبها .. حينما
كان في ميروت .

ان القافلة وصلت الى الصباح الآخر من الطائرة قبل ان يلاحظها
أحد . لقد كان الكلبين « سترلنج » هو أول من لاحظ هؤلاء
العرب وجسدهم ، انه صاح قتلًا : أنظر .. هؤلاء الرابرة
المتوحشون قد وصلوا .. غلبهم كل منكم .. انسا آتبيون
مثلكم .. تعالوا اليها هنا .. داخل هذا الطير الكبير ..

لقد قال « سترلنج » هذه الكلمات ، بشيرا بيده نحو الطائرة
.. بينما « هاشيد » ينظر الى « شالوم » بتهكم .
قال « شالوم » : انسى انحدث بالانجليزية ..

رد « سترلنج » : حسا .. حسا .. هذا قال طبيب . انا
الكلبن « كلاريس سترلنج » طيار . انسى صديقك . بل انسى —
حتى — عيلت معكم طيارا في التجارب .. ضد لولئك الفرنسيين
الفسرين ..

تقدم « شالوم » من الكلبين « سترلنج » مبتسما .. ثم سأل :
ماذا فعلت بك السماء ؟

رد الكلبين : ماذا فعلت بي السماء ؟ أين فعلت هذا التعمر
الأمريكي ؟

رد « شالوم » : في ميروت . في الجامعة . انسى درست على
يد مدرس أمريكي .

ان « سترلنج » و « شالوم » تبالا حفيثا وجدا ومبتسما .
لقد أعطى « سترلنج » هبة جارة لشالوم .. بينما حصل « شالوم »

العربي يده على ظهر الكتفين مخرجا . وهكذا مر الحديث بين الاثنين . . بينما الجميع ينظرون اليهما . الجميع ، ما عدا « ياشيد ناستوش » . الذي جمع العرب الآخرين حوله ودخل في حديث ودي في درجة مسألة . ان محور اهتمامهم كان « جين مبدلون » . التي كانت جالسة بجوار مساعد الطيار .

وبينما الجميع يتركز عيونهم على « سترانج » و « شالوم » . فان احدا لم يلاحظ ان « ياشيد » يتودد للنو الآخرين معها نحو « جين » . انهم انتقموا عليها . . بلا اذكار . . وامسكوا بها . . وجروا نحو الجبال .

لقد صاح فيهم « سترانج » : اسمعوا . . اتركوا هذه اللعنة وشأنها . .

اما « شالوم » . . فقد تبسم بفتح كلمات باللغة العربية . ولكن كلا الاثنين لم يسمع في ايقاف العرب . انهم طرحوا « جين » ارضا ، وشكلوا دائرة من حولها . لقد رفع كل رجل منهم سديا طويلا مقوسا في يده ، ثم وقف صلبا . . متصهبا حاد يرتسم على وجوههم .

ان « سترانج » قال « شالوم » : ما هذا الذي يجري ؟

ان « شالوم » لم يرد . وبدلا من ذلك ، غانته سيار متحها نحو « ياشيد » . انه سألته نفس السؤال باللغة العربية . ولكن « ياشيد » اجاب بتهنئة صوف ياهد « جين » لكي يسلمها الى انبيهم زعيم القبيلة : « ابن ناستوش » . بعدها قال « ياشيد » لشالوم : ان هذه صوف تكون الجائزة الكبرى لانيما . . اني صوف اصبح بعدها الان الاثر لاني . لما انت الذي كنت حتى الآن مغفلا عنهه بسبب تعذيبك . . غافك عن تصحيح كذلك بعد الان . .

ان « شالوم » نجادل مع اخيه .. ولكن ملا حسوى . في الواقع .. نال « يقشيد » اثار مكينه ، موحها بسلاها نحو احيه المتعلم .. وامره من ينطى للجل ليله . كما « جين » .. فكانت ما تزال مسطحة على الرمال .. سطرة حائمة ترسم على وجهها الجبل الشاحب . لقد قام اثنان من البدو بشدها من قديمها .. ورموها فوق احد الحبل .. ثم بدأ الجميع يحتفون في ظلام الليل .

— ايها اللصوص المتوحشون .. تعالوا هنا ..

هكذا صاح فيهم المكبتى « سترلنج » .. ولكن رياح الصحراء العاصفة اعادت اليه صدى كلامه .

احيرا ، قال « سترلنج » مكتنبا . حسنا ، ما الذى سيفعله هؤلاء المتوحشون بها ؟

رد عليه احد الركاب العرب : ان الامر سوف يختلف . فلو ان زعيم القبيلة ابتهج بها .. ففهما سوف تصبح واحدة من حريمه وتظل تحديه جنبا طوال البقية الباقية من عمرها . اما اذا لم يتهج بها .. ففهما سوف يحكم عليها بالموت ..

قال سترلنج : اننى اعتقد انه سوف يقتلها .. الا تعتقد انت ذلك ؟

رد عليه المسافر : من الصعب التنبؤ معظية زعيم قبيلة .. ايها الكلب سترلنج . انه شيء مكتوب .. ان رياح الصحراء تثير الرغبات الحسية في محاربي الصحراء . ان المنيعة الصلبة انشاجية سوف يتم استدعاؤها كثيرا لتحقيق المتعة . ان السؤال هو ما اذا كانت هي قادرة على اعطاء كثير من المتعة . هل هي كذلك .. يا كلبى سترلنج ؟

رد الكاينى فى الحقيقة لنا لا اعرف . اتنى لم امكر فيها بهذا الشكل من قبل مطلقا .. اذا كنت تهتم بما اعنيه . اننى لاطفنتها قليلا .. وسحبا معا مرة .. ولكن ، لماذا انا بحق السماء اتكلم بهذا الشكل ؟

قال المسافر ، ان عتل الرجل بتيانا حلف لسانه .. ايها الكائن . هذا شيء مكتوب .

— نعم . حسنا . ان من الأفضل ان نضع عتولنا الان معا .. فى سبيل القيام بتكاد « جين » المسكية من ايدى هؤلاء البرابرة القديين ..

ان المسافر العريس ابدى عدم سروره من لهجة الكاينى ، وانصرف عنه الى رفاته الآخرين من المسافرين .

ايها ثقلة البعوض ، لقد استمرت تقطع رحلتها لثناء الليل . ان « جين » .. فى مكتبها لموى العمل .. تصورت احيرا ان جسمها سوف يشطر الى اثنين - لها « شلوم » فقد عينه احوه كسجين .

احيرا قال « شلوم » : حينما اخبر لى بهذا .. فلقته بسوى يقطع لسانك .

ولكن احياه اذار مصره بعيدا عنه .. ولم يرد .

لها « جين » فكانت تصبح : « النجدة .. ! » . ولكن صبيحتها كانت بحكم العادة ، بأكثر مما كانت بحكم الاقتناع . ايها كانت تستعيث كل ربيع ميل .. مما كان يجعل البعوض من حولها يضحكون ..

ومع بداية شروق الشمس .. كتبت قائله البدو قد وصلته
الى مثل رملى كبير .. وهبطت الى معسكر القبيلة . وحيمها
أدبرت بصرها الى المعسكر .. غلغها رات أملها دائرة من الحيام
.. تنصدها حية واحدة كبيرة فى أقصى النهاية . أن الميراث
موقدة فى وسط الدائرة ، والحرب تقفون قرب الميراث .

ان « ياشيد » أعطى إشارة موصولهم .. عنهم الحرب حول
الميراث وحروا مرحبين بهم . بعدها أمسك « ياشيد » بحبل
الجمال الذى تمططه « جين » .. وغلغها بامتزاز فى حولة
لفنيشية عبر المعسكر . ان الآخرين كانوا يركضون فى الحلف ..
مثرثرين بكلمات تكور حول اللبنة الشاحبة .. وهول انتصار
« ياشيد » الواضح .

ولقد ظل الجو مائلا .. الى أن انتهت الحبيبة الكبرى ..
وحرح بها « ابن ساستوش » .. لرعيه الكبير للتبيله .

انه صاح بصيح كلمات ، بظمرية ، نصبت الجميع على النور
.. بها عنهم « ياشيد » . بعدها صفق « ابن ساستوش » بيديه
.. لمتفرق الجميع .. تاركين « ياشيد » و « شالوم » و « جين »
فى الدائرة .

فقر « شالوم » من فوق جملة ، قتلا لابه ان احي ارتكب
عملا فاحشا يا لبي ..

احتج « ياشيد » قتلا : لا ، يا لبي .. انى اثبت لك بعذراء
جميلة من الصحراء . لقد هبط من السماء طائر كبير ، وأتى بها
الىا . انى أحصرتها لك اليها الاب الجليل ورعيم تيلافنا المنواصح .

أصيبت « حبي » بالعرب . لن زعيم القبيلة كل أنسنا بشع
المطر ، ان وره يبلع ثلاثة رطل . وجهه متحمم ومغم ..
يشت في وسطه شارب فحم . ولكن الذي كلى أكثر بشامة
هو منظره .. الذي كل يقع أسفل « الحبيب الأيسر » وجهه
.. طريقه تصل الى حدود نكه . وكنت هناك مكائن تنظي
من حرايه ، عندها ثلاثة ، في أشكال مقومة ولبد محلاة .

لقد سأل زعيم القبيلة أنته « يا سيد » : طائر كبير اني بغاية
شاحسة ؟

قال « شالوم » انه لم يكن طيرا يا ابني .. انها طائرة ، من
طراز « د . سي - ٦ » .. يقودها طيار مريض اني اسمه
سكرانج ..

رد الأب : « مم . ان « يا سيد » محروم من سبعة الذليل
الذي حملت عليه أنت يا ولدي . لن الطيور لا تبنى سبيدات
شاحبات الى الصحراء ..

لقد خرجت كلمات الأب مشاعر « يا سيد » . ببسما أحسى
« شالوم » بتقوته في هذه اللحظة .. مما جعله يمتدح الحديث
الى أبيه ..

قال « شالوم » : يا ابني .. لن « يا سيد » ارتكب ميلا
سويا . لقد قام باحتطاف هذه الفتاة . ان الصحراء سرعلى
يا مستحشده برحال يبحثون عنها ، فهم سوف يأتون ويحاربوننا
يا ابني ..

تسأل الأب : اصطف ؟ يا معنى هذه الكلمة يا ولدي ؟

— مصاها شيء سييء يا ابني .. مصاها جنية كبرى .

قال الأب : نعم . أنت لحظت يا ولدى « يا شيد » ، انى
حكزت لك رعماني كثيرا ، ولكك لا تمنع الى .. انى لشعر من
هناك كثيرا من .. من .

قال « شالوم » : مجنونة .. يا ابى .. انها سى مجنونة
الاحيل ..

استمر الأب قائلا : مبرف النظر عما سى . انى يا «يا شيد»
عانت بسببك كثيرا .. ومع ذلك نلاذ الى اكون غمورا بببولك
المحاربة . اما انت يا « شالوم » .. على التنظيم اعدك الكثير . لقد
اعدك شجاعة وحرارة لسلامنا .

ان « ابن ماسوش » تحصن « حى » فوق الجبل بمبيبه . ان
« اليوبينورم » الذى ترتبه كل مراحما الى اعلى .. كاشفا
من جزء من صدرها . ان رميم القبيلة مسح لمبيبه السوداوين
بلى تنجولا عبر جسدها . بعد ذلك نظر الى « شالوم » .. ثم
نظر الى « يا شيد » . ثم اعد للنظر الى « حى » .

اخيرا اصدر رميم القبيلة لوامره .. قائلا : انحلوا الفتاة
الشاحية الى الحية .. انى سوف انت فى هذه المسألة فيما بعد
.. عقب الحشاء .

وبينما بدأ « يا شيد » شد « حى » الى اسفل الجبل .. كانت
هى تركل بتدبيرها وتصرح بصوتها ، ولكته حملها على كتفيه الى
داخل خيمة ابنه رميم القبيلة . وحسب مسح « يا شيد » ليدنيه
بالتجول عبر ساقيها .. فكنته « حى » فى مبه . ان المحارب العربى
الشباب اسقطها على الأرض . وكان على وشك ان يلكها .. عندما
امر « ابو » بان يترك الحية .. فصارها على الدور .

لقد قال الأب لأمه شalom : حد الفاء الشاحبة الى حريم بيتي
الأحرىات . واحبرهن بأن يحطنها مستعدة للمشاء .

ان « حين » صرحت بصوت أعلى من دى مثل : لن اسبح لأحد
بلن ياكلنى ..

وبينما صحك الأب ، من « شalom » لحدها بدراعيه .. وقادها
عبر ستارة داخلية ، وبمجرد أن أصبحت فى الحاسب الآخر ، هزها
بعضى هامسا لها : اتنى صديقك .. وسوى لثوم بحيلتك ..
كانت « حين » ' لا تشعل ناك بحيلتى . غلط ، أخرجنى من
هنا .

رد شalom : صبرا .

سأقنه « حين » الى أين تلمدنى ؟

.. الى حريم أبى . ان زوجته هناك سوف يجعلك تستجيبين
وتتجملين من أجل المشاء . لن لى يتناول مشاءه بمسرده
محك . تلك هى عادته مع حضوات الحريم الحنيدات .

.. انسى لى أكون حريما لاي انسان . اسبح هذا .. أنا لست
قديسة .. ولكننى أيضا لست حريما . الى جانب ذلك ، غاتنى أمتد
لن رحلكم العمور هذا .. هو خبير وحرثيت .

.. اسكنى لينها المصيفة . لن كل ما عليك هو المسكوت ..
والنقمة فى .

لن « شalom » أخذ « حين » الى حجرة فى المصيفة .. كان فيها
دستة من الفتيات العربيات .. متبلطات فوق وسائد حريرية . انهن
تقرن الى أعلى سجد دحول « شalom » .. ثم التفتن حوله . لقد

كان واضحا «جين» ان كل واحدة من هؤلاء الفتيات تسمى ان يكون «شالوم» محبوبها . انها راكبت ذلك بعصية . بينما هن يجلس ثوبه ، ويداعبن وجهه ، ويمررن بأصابعهن في خصلات شعره . ولكن «شالوم» وضع حدا لكل هذا ، وأمرهن بأن يعطى «جين» مستعدة لمشاء خالص هذا المساء . ان رد الفعل كان صريحا وعنيفا . لقد اعتقدت الفتيات ان «جين» هي اختيار «شالوم» . . . وسرعان ما اسود لونهن واكتلات هيوهن بالكرهية نحو «جين» . لقد بدأت «جين» تسأل «شالوم» عما اذا كان من الضروري ان يفسر لهن ما يعنى . . ولكنه عاثر الحجرة سرعة . . ثلثا «جين» وسطحيات الحرم .

ان الفتيات استجبن لها بترديد اصوات القطط . . وشدها بفظائلة الى حوض حلم كمر من المصباح ، يقع الى جوار احد جدران الحديقة لقد ذهبت لتقتلن من الفتيات لاحضار المياه . . بينما بدأت اثنان اخريان مظهر ملاسها بطريقة تشجية .

ان «جين» صاحت بهما : «انكن تهرقن ملابسى» . ولكن واحدة منهما لا تسمعها . وخلال لظلمت كانت المئات قد حررا «جين» من الملابس . . وأحسب «جين» انها أصبحت تشمر نحاة بالبرد الشديد . . رغم أن درجة الحرارة الحبية تلغ الملة ، انها نظرت حولها تبحث عن شيء - أى شيء - لئلى تعطى به جسدها . . ولكن ، لم يكن هناك شيء . . فن كل ما استطعت ان تفعله ، هو انها وقفت هناك . . بفراغها يحموكن فوق سحرها البرر . . واهدى فحذيها أيام الأخرى . . شاعرة ملتصق . . بينما الفتيات يسرن حولها ويتفحصن جسمها العارى .

انها حاولت ان تستنجد من اصواتهن ما اذا كانت هى بحبل استحصاتهن أم لا . . وفى النهاية خضت انها ليست موضع

الاسحسانين ، لقد وحررتها احدى الفتيات في سكرتها .. بسبب لطيفتها
فتاة اخرى في مؤخرها .. في نفس الوقت الذي شددت فيه فتاة
ثالثة ذراعها الى اسفل ووحرت صدرها بنفسها . ان كل هذا
شحن « جين » بالحرق والعبط . مما جعلها تندفع خارجة من
الحوض .. وهي تلوح بقبضتها نحو اقرب الفتيات . انهن تتاعصن
عنها بسرعة .. محبتيات بالولائد ضد هذه الانثى الشاحنة
الشريرة .

بعد قليل توقفت « جين » عن تهديدها ، ونظرت حولها ، ثم
سارت الى حوض الاسحمام الذي اصبح الآن مليئا بالمياه الساحنة
انها قالت : « الى المحيم يكن حبيبا » .. ثم استقرت داخل الحوض
مستريحة مع نصف المياه . لقد تقدمت بها احدى بنات الحرم
وقدمت لها الصابون . ان « جين » اشميت .. واثارت الى
كتفها بها معناه انها يريد من الفتاة ان تحصل لها ظهرها .. ثم
اغلقت عينيها .

لقد بدأت الفتيات الحريمت بمسك ظهر « جين » بالصابون ..
وبسطه . ان احداهن لم تلاحظ السكين التي اخترقت حدار الحبيبة
بسرعة بجوار الحمام . لقد مرتت السكين حدار الحبيبة بسطه ..
صانعة فيه غتحة بطول ثلاث بوصسات . وسرعان ما حملت من
الفتحة عين سوداء .. هي عين « ياثير » .. الذي كان يصعد
عينيها بمنظر « جين » في الحمام .. مما جعل قلبه يسرع في دقاته .
انه تنفس بمشق ، وبشكل كالسجوعا لحين ، لقد فتحت هي
عينيها .. ونظرت حولها .. ورأت ما يحدث ، مما جعلها تبعد
يدها في الحوض من اسفل وتلأها بالمياه .. ثم تقدمت بالمياه في
الفتحة مرة واحدة . ان وجه « ياثير » نل بالمياه .. مما
جعله ييمشق ، ويثتم مضج لصات ، بسبب ما يجري بعيدا .

وعندما وقفت « جين » في جوف الاستحمام ، حادت إليها إحدى الفتيات تقطعة قماش كثيرة .. لمتها « حين » حولها ، واسميت ، ثم ذهبت مع الفتاة إلى ركن آخر في الحجر .. حيث فتتظرها مقاتل أحريلي لتتسبط ثمرها . ان « حين » تمصت من نفسها عندما جلست فوق الوسائد الخشبية ، وسبحت للفتيات العربيات باللمح حولها . في الواقع .. ان « حين » كانت قد بدأت تستمتع بهذه المرحلة من الأسر .. ولكنها كانت تعلم أن هناك المزيد سوف يأتى ..



وصلت طائرة خط الأنابيب التنقيشية من طراز « كيهسا ١٥٠ » إلى الموقع الذي هبطت فيه الـ « ٦ » اصطرا ريا في حوالي الساعة الثامنة صباحا . ان الطائرة قامت بطلعات عديدة فوق المنطقة ، واستطلعت الإمدادات ، ثم قام طيارها بأخبار الكائن « سترانج » بالرافيو بلى طائرة أخرى سوف تصل سريعا ، وبعد هذا غفلت الطائرة عائدة إلى المكمل الذي أتت منه . وفي الساعة التاسعة .. وصلت الطائرة النقية .. وكانت طائرة خفيفة ولكن من حجم أكبر ، ومجهزة للهبوط على رمال الصحراء .

لقد استمع طيارها - وهو طيار شاب - إلى الكائن « سترانج » بروى قصة احتطاف « جين » .

وفي النهاية قال له « سترانج » . أنت تعرف يا ريمى أن هؤلاء العرب يمكن أن يكونوا خروثين تلبا ، جيبا يتعلق الأمر بإمرأة عربية جميلة . أسمى اعتقد أن علينا أن نحل أقصى سرعة في سبيل انقاذ الفتاة المسكينة ، قبل أن يفعل بها هذا الرعيم المتوحش شيئا .. فقط عليك أن تتبصر ..

حك طيار شركه البترول اتفه باصابعه ، ثم قال ' لا شرعج من
هذا الرجل ' اس مستوثس ' .. انه عاجر حسيا . ولكن الكلمة
خرجت من فيه وهى تشبه فى مظهرها كلمة ' رجل مهم جدا '
بالانجليزية .. مما اصلي سترنج بالحيرة والارتباك .

قال سترنج . حسا ، طبعا هو رجل مهم جدا .. لماى رعيم
قبيلة مهم جدا ..

— انا لم اقل انه مهم جدا .. انا قلت انه عاجر حسيا ..

— لاشك انك تزعج ..

— طبعا لا . انه رجل مهم سجين .. ركله اهونه سيذا من
القصر . انهم اعطوه اموالا ورجالا مبحرين ليلفقوها ، ثم ارسلوه
بعيدا الى الصحراء . انه لى يفعل شيئا لمضيمك .. الا اذا اصبغ
مجبونا بها وحاثيا لهما .. فيقتلها . لقد فعل ذلك من قبل . انت
لا تستطيع ان تلومه . انيس كذلك ؟ بعد كل شيء ، ضح بسبك فى
مكانه . كلهم يحطون بك .. واثبت لا تستطيع ان تفعل شيئا . مع
ذلك ، يا رغبى ، انسى سوف اكون مستعدا لـ ان اقتل اى انسان ..

تلوى سترنج من الالم ، بينما هو يتأمل مصر ' جين ' . انه
شعر بالاسف لانه لم يكن فى علاقته معها اكثر قربا . لو انه كان
يعرف انها بارعة فى الحب .. فانه كفى سشمر بانها اكثر لهما .

احرا وجه ' سترنج ' مؤالته الى طيار شركة البترول : كم
من الوقت تحتاجه لى نائى لنا فى طائرك بيدد من الرجال ؟

— لماذا ؟

— لانقاد ' حين ' طبعا ..

— لا اعرف . ان اقرب رجل هما هم رجل خط الانابيب . انتنى
لا اعتقد انهم سيهتتون بالبحول فى مطاردة من اجل قناة .. ثم انهم

جميعا عرب ما رفقى . انهم يستطيعون ان يكونوا حرمه حقراء ..
حيثما تقوم بشعركم مزاجهم .

— انا لا اشك في هذا ، ولكن لابد من عمل شيء للمسكينة
« حبي » . أليس املك حقا طريقته لاحضار رجالك هنا ؟
— لا ..

— حسنا .. هذا بترك الموضوع كله في يدي . دعني ارى .
افرض انك طرقت بي الى هناك .. الى مصكرهم .. وانت وانا
نندفع لانتادها ..

— لا ، اشكرك . انا لم يبق لي في هذا العمل اللعين اكثر من
سنة .. وانا لست مستعدا لمضييها .

— هذا شعور سافل . حسنا . ماذا عن فكرة ان تطير بي ،
مع مساعدى ، الى هناك .. ثم تطلقنا في مصكرهم ؟

— نعم ، استطيع ان افعل هذا . ولكن ، ماذا عن هؤلاء الركاب ؟
— هل نستطيع ان نرسل طائرة اخرى الى هنا ؟
— نعم . متى نود ان نصحح هناك ؟

— الآن ، وفورا .. يا رفيقى . ان كل حقيقة تتدحها يمكن ان
تسمى كارثة باليسة ! « حبي » المسكينة .

ان طيار شركة السرول اتصل بتدعته عن طريق الراديو ..
لكي يحد ان الطائرة الكبير « الاخرى قد اصبحت ماعطال غبية . لهذا
قرر الكانس « سرنج » ان المسافرين يجب اخلاؤهم في هذه الطائرة
الموجودة فعلا .. قبل ان يحاول هو انتقاذ « جين » . ان الامر

تطلب قيام الطائرة برحلتين لاحتواء الركاب . وعندما عاد الطيار أحيوا
لكي واحد « سترلينج » .. كاتب الساعة قد أصبحت الرئاسة عمرا .
لقد اكتشف « سترلينج » أن مساعدته الطيار قد تراجع بشدة عن
مساعدته في محاولة الاختلاص . مدعيا بلل المسألة بالنسبة له تركيز
في أن اشتراكه في حرب ضد بني قومه سوف يصيبه بعتاب شديد
من الله .

قال « سترلينج » بطلافاً : انك جميل .. وقدر ..

لقد ترك الكابن باقي الركاب يسمعون في الرحلة الثانية . بينما
مساعد الطيار يميم يوضع كلمات مربية يقولها لنفسه وهو ينظر
من نافذة الطائرة . أن « سترلينج » انظر بلردة ، إلى أن عاد طيار
شركة البترول أحيوا بالطائرة خاوية .

قال طيار شركة البترول للكابن « سترلينج » : تذكر الآن ..
اننى سوف استملك محبدا من الممكر بمسألة كفية . تذكر ذلك .

محسبا يارميتى .. اننى أرى أفكارك بوصوح ..

لقد استغرق الأمر أكثر من ساعة قبل أن يصلوا إلى المسكر
البدوى . أن الطيار تعرف على المكان أولا .. ثم دار بالطائرة هبطا
في شكل دائرة .. واستقر أحيوا على أرض الصحراء .. محسبا
بمطاره حلب بل رملى مرتفع يفصله مسافة كالمية عن المسكر .

لقد أشعل « سترلينج » سيجارة .. وجلس في هدوء . أن وجهه
أصبح الآن يتعصب عرقا .

قال « سترلينج » لطيار شركة البترول . أن الجو هنا شديد الحرارة
يارميتى .. ليس كذلك ؟ هذه الصحراء اللانحة يمكن أن ترقق
الإنسان عرقا حتى الموت ..

هر طيار شركة النترول راسه .

قال سترانج : هذه السبحارة الساحبه لا تساعد في أى شيء ..

— حسا ، حد واحد من سحترى . انها مشعة بالنترول .

— هذا شيء طريف منك .

تناول « سترانج » السبحارة من طيار شركة النترول .. وفي نفس الوقت مد يده وشد مفتاح الاشتغال من اللوح المعدني أمامه .

صاح فيه طيار شركة النترول ' ماذا تفعل بحق الحميم ؟

— اننى فقط انسى انمى طريقا للمودة في هذه الطائرة خروجا من هذه الصحراء التى تشبه الحميم .

بهذه الكلمات .. اخرج « سترانج » مسدسا من حزامه ، ووجهه نحو طيار شركة النترول ، ثم قال له . الآن سوف اذهب انا لابرع شيئا من محرك الطائرة .. لاجد فى اضمن انك لن تحاول تشميل الطائرة بممر المضاح . بعد ذلك سوف اذهب الى المعسكر وانقد « جين » . انسى سوف اعود ممها يا رفيقى العزيز .. وانت سوف نظير بى فى امل بطايرك . هل هذا واضح .

— انا لا املك أى اختيار .

— هذا تفكير طيب . وبالنسبة ، هل معك بندقية ؟

— نعم . حلف المقعد .

ان طيار شركة النترول ادرك انه لم يكن يجب ان يقول ذلك .. ولكن « سترانج » مد يده حلف المقعد واحد التيقية .

أخيرا قال « سترلنج » للطير : هل تستطيع ان اتبعك بان
تشارك معي في هذه المهمة ؟ في هذه الحالة سوف أسكنك من
استخدام دراع ثاقبة .. وسدقية ..

— مسجيل . أنا لن أذهب بالقرب من مصكر المتوحشين هذا ..

— حسنا . ان على لي أحمل كلا السلاحين ، سلاح واحد في
كل يد .. وسوف انصرف بأقصى ما أستطيع . أسي سوف أعود
في وقت ما بعد الظلام . أعتقد أنك ستكون هنا .

— نعم . سوف أكون هنا . ان عليك فقط ان تتأكد من وجود
معه كاتبة بينك وبين تلك الحيلام

— يحك الحق .

لقد فتح « سترلنج » مطاء محرك الطائرة .. وبرز منه شيئا
ما .. وضعه في جيب جاكته الداكنة اللون .. ثم سار في اتجاه التل
الرملي الضخم . بعد حوالي خمسين ياردة استدار مائحا في اتجاه
طيار شركة التورول قائلا : هل أنت مماكد أنك لن تشارك معي ؟

— نعم .. متأكد جدا ..

— انتهى الآن تقول هذا . ان هذه المهمة تحلني أرخصف .

بعدها انجه « سترلنج » الى قمة التل الرملي . ثم انبطح الى
أسفل ، واتجه بظفره الى مصكر العدو . كان الليل قد بدأ يحل ..
والنيران قد اشتعلت في مكنتها المعتاد وبسط دائرة الحيلام . ان
« سترلنج » نظر خلفه وراى طيار شركة التورول حائسا على قوة
الطائرة .. مما جعله يهيمس لنفسه معلقا على موت طيار شركة
التورول : لم يعد هناك شرف في هذه الدنيا .

لقد انتظر « سترانج » الى ان أصبح الطلام كاملا . انه استطاع ان يحمي ان الحبة الكبر « ربما تكون هي حبة رئيس القبيلة .. ولابد انها المكل الذي توجد فيه « حبي » لبرة . لقد نظر في ساعته فوجدوه تشير الى الثمانية والربع مساء . ومن ثم فانه قرر ان يظل في مكانه حتى الساعة .

وبينا الكباش « كلارنس سترانج » يرقد على الرمال فوق النل .. كانت « حين ميجلون » قد سم اصطحابها الى اليهو الرئيسي لحية رعيم القبيلة . ان متعب الحريم جعلها يرتدي افر الثياب الحريرية .. وغطين النصف الأسفل من وجهها بحجاب يساهب الى اسفل .. ووضع الحواتم الذهبية والمصية في شكل من اصابعها .. بالاضافة الى حبل كبر يحل في قممها اليمى . وبعد ان افرقن « حين » في المطور .. مدت هي في النهاية لشبه مليرات الحريم .

قال لها « ابن ماسوش » من مرشده الذي يكون من مائى وسادة . اهلا بك ايها الفاء الفاضلة القائمة من السماء .

ان « حين » وجدت اهلها اننى من الاغريقين ، ضحى الجسم ، يحملان مروحة من سمب المعدل ، ويسمى بها الهواء الرطب على الملحكم .. بينما تقوم فناء عربية بتدليك قدميه . لقد مسسقى هو ببديه . فاضهرت الفاء من الصرعه . بعدها لبر رعيم القبيلة « حين » بالجلوس .. واضعا لها بعض الوسائد الى خاتمه . ان « حين » تقدمت ، ورثت الوسائد بيديها .. ثم جلست عليها .

عاد « ابن ماسوش » يصفى ببديه من جديد .. مهرجت انسان من لغيات الحريم من خلال سماره .. وبدنا ترقصان على ايقاع موسيقى شديت من مكلى ما حلف سنرة لحرى . ان الفتاتن تقولان في رقصهما بالبوران والكتف لاهم رعيم القبيلة واسيرته ..

وأنتبهما فوق رأسيهما و « سلحت » محاسنه سميرة تنق في
ليديهما على ايقاع الموسى المشهورة .

لقد كن هذا كله شيئا ممتعا ملائمة لـ « جين » . انها زارت
مرة كباريه « رارا » الليلي في « بوسطون » .. ولكن أصالة راتصتي
الحريم تنوق كثيرا راتصت النطن في الكباريه الليلي . انها —
حتى — وحدث نفسها تستقي بيديها للموسيقى . ولقد بدا السرور
على رعيم القبلة .. كتمكس لسرور « حين » .. وبدا يصفق
هو الآخر .

وعندما انتهى الرقص ، أير « اس نافشوش » بتقديم العشاء ..
وبدأت « جين » ترتب هذه الصلبة بأهتلم .. بسبا السيد يحضرون
الاطباق المليئة بالطعام . ان « حين » نظرت الى ما بدا أنه الطبق
الاول . وهو أقرب الى الشمورية .. ولكنها رأت في الطبق عيين
تحملان فيها . عيين مستديرتين وبضلويتين ضبابا .. بما جعلها
تبهوم متسائلة : ما هذا ؟

رد عليها رعيم القبلة . انها شمورية العشاء . لا نأكل في عین العشاء
الا بعد أن تستمتعي بالحساء ..

لقد أصيبت « جين » بالمشيلى .. وفطمت بالتدج بعيدا ، ثقلة
في احتجاج . انا لا أستطيع أن أكل حين لحد .

قل « اس نافشوش » هذا غريب جدا . أنه شيء مكتوبه أن
عين العشاء تأتي بالوحى الداخلى أن يكل الامين . مع ذلك لا يهم ..
لربما تفضلين الحصى .

— انسى أريد بهرد هلمبرهر ..

— ما هذا الهلمبرجر ؟

— لا عليك . انه شيء مكتوب في التلميزجر يسلب أكثر معدة الضيفة ! .

لقد تم احضار المزيد من الطعام .. وتدفقت « حبي » معظم الأصناف ، ولكنها لم تنكل كثيرا . وحبسا انتهى المشاء ، خرج كل شخص من الحجرة . تاركين « جيني » و « ابن باستوش » يطردهما . ان الرعيم نجشاً عدة مرات .. ملسحا الدهن في لحيته بظهيرده . ومركزاً عيبه السوداوين على « حبي » .

أخيرا قال لها : لقد حلى الوقت الآن — بامتراك أحدث روحاني — لكي تؤدي واجباتك لابن باستوش . اطلعي ملايك ، من مملك .

قالت « جيني » : انسى أريد ان نتحدث اليك في هذا الموضوع . انسى احب الأكل ملك ، ولقد كل مرض الرقص عطيا .. ولكنني في الواقع لا احصى بل مرابي الآن هو مراج حب . هل تفهم ؟ .

اجاب الرئيس بالزجرة . وعندما سبق بيده .. ظهرت منتان من الحريم ، وجاءت الى قدمي « جيني » . ان « ابن باستوش » ضغم بأمر ما .. غمدت الفتاتان عورا في حلق ملابس « حبي » .. وعندما هارخت هي . سبق الرئيس بيده مرة أخرى .. فملد الرجلان الأمريقيان الي الظهور .. ولمسكا بفراحي « جيني » .. بينما الفتاتان تقومن بطلع ملاسهما . ان « ابن باستوش » هبهم في صوت حسمم بماء عربي قديم .. سيما هذه العملية تحصري أمله بسرمة .

بدأ الكابن « سرنج » التقدم نحو الممر في الساعة السادسة . ان انتظاره فوق قمة النل الرملي أدى الى أصفته بمسا يغرب من حيمسائه لدعة برغوث . ان لغفه كانت لا تحثل ..

ومع ذلك فضل أن يتحملها . ومعد لدغه حديدة قسرة .. هبهم ثائلا
لنفسه : « هؤلاء الأوغاد » ! .

انه استدار حول مقعده الحبيبة الكبرى .. وتوقف ففائق قليله
لكى متأكد من انه لا أحد في المنطقة .. ثم بدأ يرخف في حرم من نحو
مؤخرة الحبيبة . وعندما وصل إليها .. أخرج سكبا صغيرا من
حبيه .. وبدأ يشق ثفا صغيرا في الحبيبة . انه حلق في الداخل
من خلال انقب .. ولكنه لم ير سوى شحمى عربى يظلمسان
الاطباق .

استدار « سرتنج » راحلا الى جانب آخر من الحبيبة . وأصابته
الدهشة من وجود ثقب جاهز في جدار الحبيبة . وعندما حلق من
خلال هذا الثقب رأى مثير العريم يستحمس . ان « سرتنج » لم
يحدث له مطلقا في أى رحلة من رحلاته أن رأى مثل هذا المعد من
النساء العاريات في مكان واحد . انه ظل يحلق . بينما اثنتان
من الميات دخلتا الى حوض الاستحمام 'لمنه مباشر' .. وبدأت
كل منهما في غسل الأخرى بالصابون . ولكنه « هبند تفكر «جين»
.. «المسكة» حى » .. متحرك بعيدا الى جانب آخر من الخيمة .

وببما هلق « سرتنج » للمرة الأخيرة .. النمطت عينا مشهد
رجل آخر راس في الظلام .. معين ثامنى على الحبيبة . انه
تقدم من هذا الرجل متتبلا بيمه وبين يديه عن السر في وجود هذا
المتشرد . لقد جاء « سرتنج » من خلف الرجل ووجه صرجه عبيلة
بمؤخرة المسحس الى رقبه الرجل . لقد تكوم الرجل على الفور
منحيا الى اليمين .. ثم سقط مهلرا على الرمال بلا صوت ..
وعنما نظر « سرتنج » الى لسل .. معرف على وجهه كواحد
من الأخوين النحويين اللذين احتظما « جين » . لقد كال هذا
للرجل هو « ياشيد » .

خلال لحظات عاد « سترلينج » يحلق من القنطرة داخل خيمة « ابن ناستوش » . وهناك لمح « جين » عارية . يشدها اتقى من المبالغة السود . ان « ابن ناستوش » طع بلاطه مسعرا نفسه لها .

لقد شدد « سترلينج » من قبضته على المحس والسدنة في يديه . . بينما الرئيس صفق بيديه . . غفرك المحاريل الأتريقبيل فراعى « جين » . . واحتبيا من محال رؤيه « سترلينج » .

مظر الرئيس الى لسل . . وقد بدأ عليه الاترعاج عندما نظر الى اسفل بيظه الممجم ولكن تفرسه انتهى بالدريج الى ابامة ، ثم ضحكه . انه صفق بيديه مثل طفل . . وبدأ يرتص داخل الحبة مثل ميل في حصة ماله .

انه توقف من الرنص أمام جين ، صالحا ' اننى رجل مرة أخرى . . انك انت وصمك الجليل المصاحب النادم من الساء قد جعلتما منى رجلا مرة أخرى ، انسى لقرر من الآن والى الأبد أنك سوف تكونين دائما الروجة رقم واحد ل « ابن ناستوش » انسى لقرر الآن أن على جميع لفراد قبيلتى أن يركعوا لملك . انسى لقرر أن ثروتى أيضا هى ثروتك التى تشركين معى فيها . انسى لقرر هذه الأشياء . . وهى التى ستصبح أمرا ملدا من الآن فصاعدا .

ثم تقدم الرئيس من « جين » . . باصفا ذراعيه في علامة حب . ان « سترلينج » مرق الحبة حتى الأرض ، وقتر منها الى الداخل صالحا : ليها المتوخش الملسق غير المتحصر .

صاحت جين : كلارنس . . !

رد عليها سترلينج : جين !

لقد أهرج جسم « ابن المفلوئش » من العصب والعظ .. وصاح
قورا على حراسه .

قال « سترلج » : تعالى يا جين .. احملني ملاسك وتعالى
معي ..

لقد احتلمت حين ثوبها الحريري الذي كانت ترتديه في وقت
مبكر من هذه الليلة ..

واصكت بيد « سترلج » .. ودهمت معه من المكان الذي دخل
معه . وبينما الاثنان يهرحان .. كل « يائس » قد نهض من الأرض
أن « سترلج » لكي في أفه .. مما جعله يسطح على الأرض فوق
الرياح .

قال « سترلج » بسرعة : تعالى يا جين .. ليست لدينا لحظة
نضيغها .
انها سألته : ألا استطيع أن أرتدي ملابس أولاد ؟

— لا ، بالطبع لا . ولكن .. نعم ، معك الحق . أرتدي ملابسك .

خلال لحظات كانت « جين » قد ارتدت ملابسها .. وأسرع
الاثنان إلى الحري هارين .. بينما يطاردهما مشرون من الدو .

أن « سترلج » و « جين » اتجها إلى القل الرملي .. راحتين
أحيانا .. ومتصين في الرمل أحيانا .. وعندما نظرا خلفهما ..
شاهدوا الدو قادمين بسرعة نحو القل .. بسيوف طويلة جعلها
ضوء القمر لامعة في أيديهم .

أن « سترلج » استحثها قتلا : أسرع يا « جين » .. ثم بدأ
الاثنان بهبط إلى الجانب الآخر من القل الرملي . انهما وهذا طيلر

شركة السروول تتبا على حجاج الطائرة .. ولكن « سبرلينج » اتجه الى محرك الطائرة .. معيدا اليه الجره المنروع منه .. وصالحا في رغبته : استيقظ ايها المحي !

توسلت « حين » الى « سبرلينج » ان يسرع .. مما جعله يتمر الى جانبها داخل الطائرة ، مسلحا مفتاح الطائرة الى الطيار . ان الحياة بدأت تنقب في صوت الطائرة .. وبدأت الطائرة تتحرك فوق الرمال .. مستعممة سرعتها .. بافئ في المحيط الى أعلى وسط السيوف حولها .. بينما الندو يميحون ويشتمون ويلعنون .

ان « سبرلينج » اشمل سيحارة ثالا . بهبة صممة . اليس كذلك؟

ردت « حين » : نعم .. طبعاً .

— انني مأكد لك لم نأخذى وجود هؤلاء الموحشين في امتبارك عندما ولعت عقد الميل كخيفة .
— لا طبعاً .. يا كلارنس .

— حين ؟

— نعم ؟

— هل هو اسهك باى شكل ؟

— الرئيس ؟

— نعم .

— لا . في الواقع ، انا كسر بيوع من الاسم بالنسبة له .

— لا نأخذنى هذه الطريقة .. انه متوحش وبربرى .

— أمرت .. أعرف .. ولكنى مبرورة لاننى ماعفته بشكلها .

— هل ستسبرين في العمل كضييفة ، يا حين ؟

— لا ، لا اعتقد ذلك . ان لدى عرضا يعمل آخر في نيويورك ..
واعتقد اننى سوف احصل عليه بمجرد عودتى . وربما اتقبل
انسانا تزوجه .

— جيب ؟

— نعم ؟

— هل ساحتينى في اعمالك ؟

— كماذا ؟

— كزوج .

— لا استطيع يا كلارنس . اننى لا استطيع مطلقا تحمل فكرة
انك تطير هنا في الصحراء .. مع وجود كل هذه الاخطار ..

— اننى لن اطير بعد الآن يا حين . في الواقع ، ان لدى انا يعمل
في لندن . وهو يلج على مديونته طويلا لكنى اعمل معه . بهذا
اعتقد اننا سوف نصح معا ..

— اننى امسك المحاولة يا كلارنس ..

— عظيم .. عظيم ..

بعدها بسعة .. ثلث ساعة من الدخول مهتمة بمسك « ابن
فلسفوش » .. ونجحت الجميع .. بما في ذلك الرقيب وروحانيه .

ان القصة تم تناقلها عبر الصحراء .. بحيث انه عندما تم
الغزير على حشائش القنطلى .. تبين ان « ابن فلسفوش » مثر على
حشائنه بمقتضاها برى « مرق مهلول متصح لمصوفة حرة » .
ولقد مثل ابيه « شالوم » .. الذى كان الوحيد بين افراد

القيصر الذي جاء من الموت بسبب اجتماعه مع شركة « آي. بي. »
أم « بي سيوت » . لكي يفسر المسألة .

انه رد قائلا . « انه شيء مكتوب .. ملقد حدث مرة ان جاء من
النساء طير كبير مضي اللوي .. وترك في الصحراء سيده حبيبة
شاحمه . انها كانت ترفدى رى السماء .. ولدت لاني خدمه جليظة
.. بالضح هذه كلها تسطور صحراوية .. وكذا يعرف ان مثل
هذه الاشياء لا تحدث . ولكن لبي كان عاشقا للأساطير . في الواقع
.. انه كان عاشقا بكل معنى . هموا .. لو مسحتم .. فلا بد ان
اهود الى على » .

من یونیو الی اکتوبر
ماذا جری .. ولماذا جری .. ؟
◊ بقلم : محمود عوض

كانت هي الحرب الأولى .. !

ان التاريخ يقول لنا ان حرب أكتوبر كانت هي الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل . ولكن اعادة قراءة السربح تقول لنا انها الحرب الأولى .. او - على الأقل - هي المرة الأولى التي محل فيها الحرب بمقتلة المحاربين ، وسبياسة المحاربين . وجدية المحاربين . ان كل ما حدث بعد ذلك كلى نتيجة مرمعه لذلك السفة الرئيسية الى حكمت نصرغنا كلها قبل واثاء حرب أكتوبر . صفة : الحدية .

انها الحرب التي حدثت شهر الفصل بين امريكا والاتحاد السوفيتي .. بالدحول الى مواجهة مباشرة ، عديب أعلنت امريكا حالة الطوارئ في كل قواعدا العسكرية حول العالم .

وهي الحرب التي جعلت أوروبا تنشق عن امريكا .. وجعلت وزير الخارجية الأمريكى يقول علنا ان ملوك الحلفاء الأوروبيين « .. يثير الإسكراز » .

وهي الحرب التي جعلت امريكا مهددة مشتاء طويل مظلم .. وأوروبا ترتعش من البرد .. واليهام نصلب بالتهاب رئوى .

وهي الحرب التي جعلت امريغيا تدبر ظهرها نحاة لاسرايل .. دولة معد لحرى .. في تقاع منتظم ككتفت الساعة .

وهي الحرب التي غيرت نظريات عسكرية مستقرة .. والعت أهميه لسلحة عسكرية ناسة .. وهزت عقائد عسكرية راسحه .

وهي الحرب التي أرعبت إسرائيل على أن تريق ماء وجهها ..
وستعنت أمريكا طالعة استعانت عسكرياً سريعة تصل مباشرة
إلى ميدان القتال ..

وهي الحرب التي جعلت وزير خارجية إسرائيل يسمى في الأمم
المتحدة أصداة إسرائيل .. « حنا مرملة » .. ووزير الدفاع
الإسرائيلي يتحدث في الكنيست عن « أخطاء ملاحقة في التقدير »
.. ورئيس الوزراء الإسرائيلي يتحدث عن وجود « خطأ مهين »
.. ورئيس إسرائيل يعطي في الراديو .. « أن إسرائيل كانت تعيش
في بين سس ١٩٦٧ و ١٩٧٣ في نشوة لم تكن الظروف ضررها ..
بل كانت تعيش في عالم خيالي لا صلة له بالواقع » .

وهي الحرب التي كلفت إسرائيل ثلاثة آلاف مليون دولار ..
وقتل بلوا في اليوم الثالث للقتال ضعف ضحايا أمريكا في حرب
فيتنام .. وبلغت في الحرب كلها ثلاثة أضعاف ضحايا أمريكا في
الحرب العالمية الأولى .

وهي الحرب التي أرعبت العالم على إعادة طرح الأسئلة
التي كان قد حدد لها أهداف ثمانية مدد وقت طويل محي .. أجابات
بدت كالأموال الماثورة من قرط التسليم بها وانعدام العدل حولها .

من تلك الأموال الماثورة مثلاً أن العرب هم أناس غير
مخربين .. أن القواهم يجب ألا تؤخذ بحسبة .. وعقولهم
تحشوها أمجاد الماضي .. وأحلامهم يحتقونها في أسات الشعر ..
وقيادانهم مصابة بجيوش العظمه .. وكما أنهم تحطها بحرية حرب
الأيام الستة .

ومن تلك الأموال الماثورة أيضاً لطور « السومريين الإسرائيلي » .
ضابط المحاربات الذي يستطيع أن يشم بقلبه فيه حطة عربية

بعد وضعها بمناق .. والتطير الذي لم يخسر أبدا معركة مع
الحرب .. وحدي المشاة الذي يستطيع أن يستولي على مدينة
عربية كاملة ، بمجرد أن يلقى إيرا بذلك .

ومن تلك الأقوال المأثورة أيضا : أن الجيش الإسرائيلي لا يقهر .
إنها أسطورة استقرت وتدعمت إلى الدرجة التي جعلت محطات
التليفزيون الأوربية تدفع قبل حرب أكتوبر بأسابيع قليلة تصريحات
للجيران المتقاعد « أريك شلون » الملقب السابق بلحية الصوفية
أن سيء ما يقول فيه . « أن جيش إسرائيل هو قوة عسكرية عظيمة ..
أن كل الجيوش الأوربية هي أضخم كثيرا لو توربت بجيشا .
أنا أستطيع أن نستولي على المنطقة من الخرطوم إلى بغداد في
أسبوع واحد » .

بعدها بأسابيع قليلة ، بعد حرب أكتوبر ، كان رئيس أركان
حرب الجيش الإسرائيلي يعلن أن المفاجأة الكبرى في هذه الحرب
كانت هي الحدي المصري .

وفيما بين هذين الأسطورتين — الأسطورة التي نشأت كدنا
.. والحقيقة التي أصبحت أسطورة — يكمن المفتاح الرئيسي لنهم
حرب أكتوبر كلها .



على الجانب الإسرائيلي ، كل مرور الجيش كقوة مهينة مهيمنة
.. هو الأسس الروحاني الذي حقق للمضيق الإسرائيلي تملكه ،
واعطاءه قوته الأساسية .. طوال ربع القرن الأخير . أن النمو
الترامي في تور هذا الجيش وتحويله إلى أسطورة حول العالم ..
لم يكن ممكنا إلا بعد حرب الأيام الستة المشهورة . بعده فقط

أصبح هناك ناسي تنطلق منه الأسطورة .. وقاعدة تنمو منها
الحكمات بعد الحكايات .. لكي تداع وتنشر حول العالم .

مع ذلك ، ناسي التنظية المثيرة هنا .. هي تأثير هذا الجيش داخل
المجتمع الإسرائيلي نفسه .

مقتل حرب أكتوبر سمة أشهر فقط — عرمت في إسرائيل
مسرحة استعراضية بعنوان : « المسيح .. كذا براه اصطفاؤه » .
لم يكن في المسرحية مسيح .. ولا اصطفاؤه للمسيح .. باسم
المسيح لم يرد إلا في العنوان .. مع ذلك ملأ الرقيب الحكومي
الإسرائيلي لوقف عرض المسرحية بعد أسبوع واحد فقط ، وقرر
فرض الحظر الدائم على عرضها .

وعلى الفور عارض مؤلف المسرحية — الكاتب المسرحي
الإسرائيلي « عاموس كيليل » — في هذا القرار . أنه أعلن أن
« .. المسك الحثيثي لهذه المسرحية الاستعراضية هو شرح
الحياة في إسرائيل الحديثة ، وخصوصا النعمة العسكرية الشاملة
والمسيطرة في المجتمع الإسرائيلي .. وهذا هو السبب الحثيثي
الذي تم من أجله مع عرض المسرحية .. لقد أصبح الجيش
الإسرائيلي بديلا عن المثل اليهودية — ولم يعد اليهود يقسرون
بمقتنبيهم .. ولكن بحيشهم وجودهم » .

ونعلا .. كانت لسطورة الجيش الذي لا يقهر .. قد بذلت
تحويل إلى حقيقة ثامنة داخل المجتمع الإسرائيلي .. بحيث أصبح
الجيش الإسرائيلي نموذجا للانضاح الحليم والكفاءة الحارقة .
وهكذا نجد أن أحد مشاهد تلك المسرحية يفسر هذا المفهوم ،
حيث تقول ربة بيت في المسرحية : « انني لاحظت لمس أن خلاصتي
لا تنظف المائدة جيدا .. لهذا استدعيت الجيش . لقد أصبح

الجيش هو الذي يحفظ في ممرى بالنظام والكفاءة . انه شيء
يسمح حقا لي نرى كيف يقوم الجيش بحفظ كل شيء . وعندما
تبين أن روجي هو أيضا غير كفء .. فلتنى استدعيت الجيش
.... الآن أصبحت المعاهد هي الأخرى أكثر كفاءة .. والبحر
الميت أكثر كفاءة .. وحتى السفاه أصبحت أكثر كفاءة . ولكن
ما يرمى الآن أكثر من أي شيء حقا .. هو أن الجيش قد أصبح
هو الله في النهاية . الآن أصبح الله أكثر كفاءة !

ان ما خالفه ربة البيت في تلك المسرحية الإسرائيلية ، لم يكن
سوى تصوير من الشهور الستة في المجتمع الإسرائيلي محو
الجيش ، والإيمان المطلق بكفائه . وعندما سمعت تلك المسرحية ،
لقد كان السبب هو أن المؤلف قد صاغ تلك المسامير في قالب
حاد ومثير للسخرية من الجيش نفسه .. وهذا هو الأمر الذي
لم يجد المؤلف لحدنا يسمح له به .

ان مؤلف المسرحية عارض قرار المنع أمام أعلى سلطة قضائية
في إسرائيل .. وحضر طعنا . وفي ذلك الوقت لم يكن القرار
مناهض لأحد من يراقبون سير الأحداث في إسرائيل من الداخل .
لأن إسرائيل أصبحت ترى نفسها باعتبارها « إمبراطوة » الحبيدة
في الشرق الأوسط .. والجيش فيها أصبح موثق التمدد أو السخرية
.. والإيمان بالجيش أصبح موثق الشك أو المراجعة . وعادة
التفوق العسكري أصبحت أهم من الدين في إسرائيل ، و .. في
بعض الأحيان .. هي الدين نفسه .

ربما من أجل هذا ابتكر « دافيد المعازل » رئيس أركان حرب
الجيش الإسرائيلي تقليدا جديدا بدأ يطبقه في سلاح المدرعات
والجيش الإسرائيلي قبل حرب أكتوبر بفترة وجيزة : أن على كل
ضابط سلطات إسرائيلي أن يبدأ عمله بالذهاب إلى صحراء النقب ،

والصمود الى القلعة القديسة في اعلى الجبل الذي حرت فيه آخر حرب بين اليهود والروم منذ ١٩٠٠ سنة . وهناك ، في حقل يجرى لبلا على ضوء المشاعل ، يتلو الضابط الجديد قصفا بالاحلاس للدولة اليهودية والجيش اليهودي . الذي لا يقهر .

مرة أخرى ، ربما كان هذا الضمور بساعة الجيش المطلقة ، والتفوق الاسرائيلي المطلق ، هو الذي دفع « دانييل اليمائر » نفسه الى ان يخرج للمصحفين في مساء اليوم الأول لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ويعطى لهم — ساكن رجل اعلى على الانتصارات السريعة — مثلاً : « انها الرنات .. لقد بدلنا الآن في مهمة تدبير الجيش المصري » !

وعندما مرت الليلة الاولى ، والثانية ، والثالثة .. دون ان نسم مهمة « تدبير الجيش المصري » .. بدأ رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي يلقى تقارير مختلفة عما توقع . تقارير من طائرانه التي واجهت الفضل بعد الفضل ، في كل محاولة منها للاقتراب من رموز الصور المصرية على شاة السويس . انها تدبير مختلفة . وحقائق مختلفة .. وحرب مختلفة .

لقد شرح « دانيال اليمائر » نفسه ما حدث بعد ذلك بقوله : « ان لكل حرب مفلحاتها . وهناك أشياء لابد ان سعلها وأن تسبح معلوماتنا فيها . ان اكثر هذه الملاحظات هو ان الحمود المصريين — وكذلك السوريين — قد اظهروا تفهما من الكفاءة والتضحية بالنفس وتوانر الدافع .. يفوق بكثير ما اظهروه في الحروب السابقة » . هذا ما قاله رئيس الأركان الاسرائيلي بعد ان انتهت الحرب . ولكن في تلك الأيام المكرة في الحرب كانت هناك ثقة اسرائيلية مطلقة في أن الهجوم كله سوف تتم تصفيته خلال ساعات . وقناة .. انتهى الحديث في اسرائيل عن حرب قصيرة .. ومهيلة

سريعه .. وانتصار حاسم لقد خرج «الجنرال» آهارون باراك «
القائد السابق للمخابرات الاسرائيلية .. والذي هل محل
«البمازر» المرط التفتة منقبه كيتحدث رسمي — خرج ليقول
محدوا . « على شعب اسرائيل الا يتوقع انتصارات سهلة او
رشيقة .. انها حرب محتنة هذه المرة » .
نعم .. كانت حربا محتنة .

في هذه المرة تخاربه اسرائيل للمرة الرابعة .. وبحارب العرب
للمرة الاولى .

في هذه المرة — هذه الحرب — كل اى شيء اقل من الانتصار
الساحق هو .. بالنسبة لاسرائيل .. هزيمة .

واى شيء اقل من الهزيمة الكاملة هو .. بالنسبة للعرب ..
انتصار .

ان العرب لم يهزموا . انهم هاربوا ، وهوى ذلك انصروا ..
لان الصراع في ميدان القتال لم يكن فقط صراعا من سلاح
او بين جندي وجندي .. وانما كل الصراع اساسا صراعا
بين ارادة وارادة .

لقد كانت تلك اول مرة تعرض فيها نظرية الامن الاسرائيلي
لخطر حاد وعميق وهائل . اول مرة يتم فيها اجتياز المفهوم
«الاسرائيلي من «العمق الاستراتيجى» . لقد اصيب الاسرائيليون
بالتفزع عندما وحدوا لى تقتهم فى المناطق المحتلة كمساحة واسعة
من الاراضى تجمع العرب من اللحوم .. كانت خاطئة من البداية .
لقد راوا جيشهم الذى يقبضون به .. يتعرض للهجمات ويسقط
حجوده قتل المئات ، وغربون ايضا بالمئات .. فى الايام المبكرة من
الحرب . لقد سمعوا من حجم الهجوم وحقته .. من الدرع الذى

حقته العرب لانهم بالحيرة والسلاح .. من عدد القتلى المحيطة
الذى سببه الحدى المصرى فى سيناء ، والسورى فى الحولان .
لقد رأوا لأول مرة قوة سلاح البترول المصرى .. وشاهدوا
اصطفاءهم المعتادين فى سوريا ولبنانيا يدبرون لهم ظهورهم . لقد
أحسوا لأول مرة بالمدى الذى تعتمد عليه اسرائيل على الولايات
المتحدة .. وربما تصوروا - ليوم أو يومين - كيف كان حالهم
سيصبح .. لو لم يسرع الأمريكيون لسد ثغرتهم بالسلاح والعناد
والحيرة .

ومن رماد الحرب ، اضطر الاسرائيليون الى ثراوة تصريحت
المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، عندما قال :
« لقد انقلب كل شيء .. ان هذه الحرب جعلتنا مكشفت ان ديننا
الواحدة الصخرة كفت مصنوعة من قشر البيض » . بعدها
خرج الماحور حيرال « شلويل حوبى » يقول لهم - هذه هى المرة
الاولى فى تاريخ هروب اسرائيل .. التى يكون فيها معظم القتلى
الذين سقطوا من الشيليب الذين قتلواهم اعدائهم بين 18
و 21 سنة . اننا لم نترك بعد المحصى الكامل لذلك » .

واخيرا ، اضطر الاسرائيليون الى سماع الحقيقة الاسفلية
التي قبلت لهم بمائة شكل مخفف ، أحرقها ما سر عنه الدكتور
« آمون روبنشتاين » عبيد كلية الحقوق فى جامعة تل أبيب - والذى
كان هو نفسه معاً فى الاحتياطى أثناء حرب أكتوبر - عندما قال :
« ليس هناك شك مطلقاً فى أننا كاسرائيليين - قد تعرضنا لصدمة
عظمى . لقد خشنا الحرب وسراويلنا مدلاة .. واعتقد ان هذا
الشعور سوف يظل يلازمنا لزمان طويل طويل .. ان الشعور بهذه
الصورة المكسورة للاسرائيلى المثلوق .. وهذه الصورة المهشمة
للاسرائيلى الذى لا يقهر » .

وبصفه علمة فلان .. هيك افراد في لي يطلق المرء على الحرب
القلامة — حرب اكتوبر — اسم - الحرب المرآة . نك انك اذا
أممكت بمرآة لحرب الايلم السنة علم ١٩٦٧ ، نك الصورة
المعكوسة سوف تكون من مواج كثيرة هي نفس الصورة التي يراها
المرء بعينه في مسرح الحرب القلامة .

ان تلك الكلمات ، التي نشرها الكاتب الاتحليري « حلس يويج »
في الاسوع الثاني لحرب اكتوبر .. كانت هي افضل تعبير ممكن
عن طهيمة الحرب .

ففي سنة ١٩٦٧ قتل العرب لي الذي يهرهم في ميدان القتال
هو أمريكا وليست اسرائيل . وفي هذه المرة قالت جولدا مائير ان
الذي هزم اسرائيل هو الاتحاد السوفيتي وليس العرب .

في سنة ١٩٦٧ كلى الاسرائيليون يمرضون في التليفريون الاسرى
المصريين بلديهم مرفوعة وأحديتهم مخلوعة ووجههم بالنسة ، وفي
هذه المرة — هذه الحرب — كان الدور عكسا من لكي يرى في
التلفريون طواير الاسرى الاسرائيليين .. بلديهم مرفوعة وأحديتهم
مخلوعة ووجههم بالنسة .

في سنة ١٩٦٧ قتل الاسرائيليون انهم وحدوا في الصولان ان
ضباط الحفصية السورية قد لادوا بقتلار .. تاركين جودهم مقيدين
بالاعلال الى مدانهم .. وفي هذه المرة كان راديو دمشق هو الذي
يعلى ببا المثور على حنة طيار اسرائيلي مقيد الى مقعدة بالاعلال ،
في حطام ملقرته اليفاتونم .. التي اسخطها الحفصية السورية ،
وذلك .. حتى لا يستطيع استخدالم المظلة .

باحتمار ، باحتصار ، باختصار .. هي الحرب المرآة .. مملا .

ما الذي جعلها كذلك ؟

ماذا جرى ؟ ما الذي حدث ؟ أين التعبير ؟ ما هي الحقائق
الأساسية التي تغيرت .. سواء في الجانب الإسرائيلي أو في
الجانب العربي ؟

إن أشياء خطيرة لابد أن تكون قد تغيرت في كلا الجانبين ..
بحيث أصبح المتمرد مهروبا .. والمهروم مستمرا ، خلال ست
سنوات .. هي في عمر الأم ليست زما على الإطلاق .

ماذا جرى ؟ ولماذا جرى ؟

هل يمكن أن يكون السبب فيها جرى هو أن الحمدي العربي
كان جيانا في سنة ١٩٦٧ .. ثم أصبح شجاعا مجاة بعدها
ست سنوات ؟ بالطبع لا .. فالأسلح لا تتميز طبيعته من الأسود
للأبيض معاة في ست سنوات .

هل يمكن أن يكون السلاح الذي حارمناه في سنة ١٩٦٧ محتلنا
وبدائيا ، ثم أصبح مجاة متفعا ومعقدا بعدها بست
سنوات ؟

مرة أخرى محد الإجابة قاطعة . بل انه على العكس ..
ربما كانت المفارقة بين المستوى الذي كان عليه الميراث العسكري
في ١٩٦٧ و ١٩٧٣ .. في صالحنا أثناء الحرب الأولى معه أثناء
الحرب الثانية . والأكثر من ذلك .. أنه حيث حضا حربا دفاعية
في سنة ١٩٦٧ سلاح هومي .. فالي ما حدث في سنة ١٩٧٣ كان
هو العكس تماما : معركة هجومية بسلاح دفاعي . وربما كانت
حرب أكتوبر هي من الاستقطاعات النادرة في التاريخ .. التي يقوم
فيها جيش معزول لمصعب خلز يلقى .. في حماية شبكة صواريخ ..
وهي بطبيعتها شبكة دفاعية .

اذا .. هل يمكن ان يكون السبب فيها حري هو انسا كما في
سنة ١٩٦٧ محارب اسرائيل وأمريكا .. فاصبحا في سنة ١٩٧٣
محارب اسرائيل بلا أمريكا ؟ ابدا . هنا ايضا نجد ان العكس هو
الاتقرب الى الصحة . ففي هذه المرة اضطرت لبريكا الى تجسدة
اسرائيل بحسب جوي بعدها فورا يتحدث الاسلحة التي تهبط الى
ميدان القتال مباشرة .. وهو الامر الذي لم يحدث سنة ١٩٦٧ .

هل يمكن ان يكون السبب هو اننا كما في سنة ١٩٦٧ شعوبنا
متخلفة .. فاصبحنا مجاة شعوبنا عصرية بعدها بست سنوات ؟
مستحيل ، فانحطت والعصرية شيئان لا تحقتهما الشعوب في
ست سنوات .

ان ، ماذا جرى ؟ ولماذا جرى ؟

ان السؤال ما زال قائما .. والاحداث المحتملة ما زالت متعددة .
ولكن ، مهم تعددت الاحداث ، ففني لري ان الفارق الاساسي
بين كارثة كبرى حلت بنا في حرب ١٩٦٧ .. وبين حرب مباشرة
عندها في سنة ١٩٧٣ .. هو فترتي بين ارادة .. وارادة .

ان حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، كانت تصويرا دراميا لارادة
انهزامية حكمتنا قبل ان نذهب الى ميدان القتال . ارادة تريد ان
تسجل انتصاراتها في الاعلى وعلى صفحات الصحف وثلاثيات
التلفزيون .

وفي مقابل ذلك .. فل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كانت هي
الأخرى تصويرا دراميا لتفاحة هزمت نفسها من البداية
بتصميم كارثة كبرى حلت بنا . ففاحة لم تكن الحرب بالنسبة لها
معركة وهيبة يكسبها الاعلى سوتا .. وانما كانت الحرب عندها

شينا جدا وحطيرا ، وامتحانا يكسبه الاكبر كفاءة والاطول نغسا
والاكبر صينا .

لقد تعرضت السياسة المصرية في الستين السبعين لحرب سدة
١٩٧٢ لحيلة تشكك داخليا وخارجيا .. على نطاق لم يحدث من
قبل مطلقا . حيلة تراوح مداها بين انهم هذه القيادة بالبراحى
والتردد وعدم الحسم .. الى اتهامها بعدم الوطنية .. بل ويسمع
الفضيحة في بعض الاحيل . ومع ذلك ، على هذه القيادة لم ترد
على تلك الاتهامات بتوجيه اتهامات مماثلة لحصومها في الخارج
او الداخل . لقد سجلت وتحملت .. معقل مغنوح وحذر واسع
وحكمة ضرورية .. لأنها تعلم ان المحالفين لها في الراى ليسوا
بالضرورة اعداء لها .. وانما هم ايضا مواطنون من حقهم
التفكير بلدهم والانشغال بسكنه والاحهاد في تحليل مستقبله
والاختلاف أحيانا معه .. وانه في ساعة الجد سوف يكون
الجميع جنودا معلمين يفتنون تراب بلدهم بأرواحهم .

وشئ آخر ، في سنة ١٩٦٧ كلفت اسرائيل تواجه أمامها مجرد
قبيلة في أحسن الأحوال .. أو شلة من أبناء الضفة الواحدة في
أسوأ الأحوال . وفي سنة ١٩٧٢ ، واجهت اسرائيل أمة متكاملها .
لقد كلفت هذه الأمة بوجوده هي نفسها في سنة ١٩٦٧ .. ومع
ذلك على الذي استخرج منها ارادتها الحقيقية وطاماتها الكاملة ..
هو قبيلة سنة ١٩٧٢ .

وشئ ثالث ، ان القيادة التي أسندت قرار الحرب في هذه
المررة .. وضعت يدها على مصر الحقيقية .. وليست مصر المريبة .
مصر التي تفسد المالم العربي .. والشعب العربي ..
بحكم المصلحة .. وبحكم الاقتناع . مصر التي لا نواجه القرن

العشرين مطلق القرن العاشر .. وانما مصر التي قدمت استقلالها
من القرن العاشر بعد وقت طويل مضى .. ونحلت القرن العشرين
متحصنة ومحاربة . مصر التي مسح لخطاها مفرصا والدم ..
ولست مصر التي تريد ان تدارى على عورائها بالنشيطات
والدعاية .

انه الوجه الحقيقي لمصر .. ذلك الذي عرفه رجال سيده في
ذلك الايام المصيبة من أكتوبر . الوجه الحقيقي الذي يتكلم فيه
القائد صفوت حموده .. سرايا ليل ، واعضاء اكبر .

انه الوجه الحقيقي ، الذي يطمى الاولوية للكنانة قبل الولاء ..
بعد ان عانت مصر طويلا من اعطاء الاولوية للولاء على حساب
الكنانة .

الوجه الحقيقي الذي لا تعلمه مراكز القوى ..

الوجه الحقيقي الذي لا يبحث عن الامس .. وانما يريد الانصار .
وجه وسيله الاتباع وملاحه الثقة . ويريد لكل الآراء ان تتفتح
وتنصارع . لا بدوس فوق القانون .. وانما يكون اول الحاضرين
له . لا يدخل الحرب وحلفه رشيد مفتوح من المكنت .. وانما
يدخلها بقلب مفتوح للمتطرفين والمحتفين . لا يرندي
اثواب المهرجين المسرحيين .. وانما يحل سلاح القاتل
المؤمن . لا يبحث عن ممود .. وانما يريد اعادة الثقة بشعبه
ولشعبه . لا يريد تدعيم الامر الواقع .. وانما هضمه تصحيح
الامر الواقع . لا يريد ان يكون عظيما حصصا من عظمة امته ،
وانما يريد ان تكون عظمة شعبه مضلقة الى رصيده .
لا يرى الحرب مرصعة لكسب وهي .. وانما يراها امتحانا
لصلابة امته .. لا يبدأ القتال بمجرد منشورات عنائية .. وانما
يدخلها بقسطل ومدافع حقيقية . لا يصرح بالحرب وهو يحشاها ..

وانها يخوضها وهو مستعد لها . لا يرى الحرب كمجرد بروة تبدأ
صليها وتنتهي ظهرا .. وانها يراها استعدادا وعليها وتحمصا
وتخطيطا ورماسا ينطلق في لحظة الامتحان . لا يطرح الحرب
كمجرد شمار يضاف الى غيره من الشعارات .. وانها تراها كقدر
يحدد مستقبل العالم العرس كله لتتوالى طويلا قلبي .

وفلك هو الوجه الحقيقي لمصر .. ولأمة العربية .

ومن المفارقات هنا ان تقارن بين حالة اسرائيل وحالتها قبل
حرب سنة ١٩٦٧ ، ومراحلها المعكوسة في أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

ان الذي يقرأ الصورة الاسرائيلية والصورة العربية عشية
حرب ١٩٦٧ ، يخرج ستيحة ظاهرية لا يمر منها ، ان في اسرائيل
مجتمع منقسم على نفسه .. وحكومة مترددة .. واحزاب متصارعة
وقبادة تتحدث عن السلام كثيرا ، ومن الحرب نادرا .

ومع فلك .. حققت اسرائيل انتصارها القوي في سنة ١٩٦٧ .
وفي مقابل ذلك كانت تראה للصورة المصرية في تلك الفترة
توحى بكل كل شيء على ما يرام . تصب متحد .. وصحافة
لا توحى بأي خلاف في الرأي ... ووحدة وطنية لا مثيل لهما ..
وانضبط مطلق توحى به التحركات الحربية .. وحساس فائر لعب
عنه المنشورات الساتية .. والبن مطلق بفضل المحاربات التي
لا تقوتها شاردة ولا واردة .. وخطط موضوعة وقرارات محسوبة
بدقة تنير الانهار .. وثقة مفرطة تسمح لنا بالي بصدر « لرميات »
تعاينها العالم كله لولم الامر .

كانت تلك هي الصورة الظاهرية .

ومع فلك هم الذين انتصروا .. ونحن الذين هزمنا .

لقد حدث ذلك لأنه - في كلا الحقلين - كانت هناك حقائق أخرى أساسية لا نكتشفها النظرة السطحية للأشياء . انهم رشوا أموالهم وحننوا علاقاتهم وضموا صلاتهم وراجموا خططهم في هدوء وصمت قبل الحرب بوقت طويل .

أما في جانبنا نحن ، فقد كلل هناك مجتمع حمى آخر ، غير المنتج الظاهر . غمى المصحح العلوي ، الذي يبدو على ورق الصحف ، كل شيء على ما يرام . وفي المجتمع الحقيقي .. الذي كنا نداري عليه من الأضواء ومن العلامية .. لم يكن أي شيء على ما يرام . أي شيء أساسي على الأثر . لا خطة ولا هدف ولا استراتيجية ولا اجتهاد ولا وجهات نظر ولا تناطح بين وجهات النظر ولا تفكير في احتمالات الموقف . لماذا التفكير ؟ لماذا تفكر أنت أو افكر أنا أو يفكر زميلك في التسلية المحاورية ؟ ان الذي يجري هو معركة مصر .. والمواطن من حقه ان يفكر في كل شيء .. الا بملرك المصير ، ان الاحتمال الأكبر لكل مواطن هو مدى قدرته على انفسه طاعته الصبياء .. وكتابته في التمتع بمسبوق اعلى يسا يسيمه في الراديو ويقرؤه في الصحف . ان حكمه نقلس ببدى ايمانه بأن السياسة والحرب هما شيان لغوي حدود ادراكه ، أو ادراك المؤسسات التي يفرضي فيها ان تنوب عنه .

ولم يكن احد يريد ذلك .. سوى اسرائيل . انها اسرائيل فقط ، هي التي لم تكن تفتخر على ذلك . انها لوصلتنا الى الحالة التي كانت تريدها هي لنا .. بالضبط .

ان الفئدة الاسرائيلي « اريك شارون » كان هو الذي صرح صراحة خلال الاسبوع الاول من حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، صائحا في زملائه داخل القيادة الاسرائيلية : لقد خططنا المصريون نرقص على تمصقهم .

نعم . هذا ما حدث في سنة ١٩٧٢ . ولكن ، قبلها تمت سنوات
كان ما حدث هو العكس تماما . لقد كنا نحن الذين يرتص على
معابهم .. حتى من قبل شوب حرب يونيو نعمها برمس طويل .

ان الجيرال الرومحي « أودول » عيل في منطقة سبع سنوات
كرئيس لهيئة الرقابة الدولية على الهند في منطقة الشرق الأوسط .
وعندما أصدر مؤخرا كتابا بعنوان « إنشاء الخدمة في الشرق
الأوسط » .. فإنه طرح فيه ليلم القارئ العربي ذكرياته عن تلك
المسرة . وفي استعراضه للأحداث التي أدت إلى حرب يونيو سنة
١٩٦٧ يقول الجيرال « أودول » في كتابه : « اني شعرت من وقت
آخر بأن المحاورات الإسرائيلية تطمح على الحيلولة العربية التي
بين يديها . كما لو كانت تطمح على بيان أحسن ضبط أوبار ..
لكن تستعرج ما هي معالجة اليه من معيقت وردود أفعال تقدم
بها أهدافها السياسية والعسكرية البعيدة » .

ولقد كان هذا هو بالضبط ما حدث في تلك الأيام الحاسمة التي
أدت إلى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ . ان شيئا لم يفلح في تنبيهنا
إلى الاستدارة القاسية في الأحداث ، ولا في جعلنا ننقب إلى الجنية
التي تسعى بها اسرائيل إلى تحقيق أطباعها التوسعية .

ان من المؤسف هنا أنه رغم مرور سنوات على مهية تلك الحرب
— التي أعطابها انسا مظلما هو « المكس » — على جرما كبيرا
من المازها لم يتم كشفه بعد ، وعددا كبيرا من علامات الاستفهام
الكبرى المتعلقة بها لم يحصل على إجابته الكليّة .

مثلا : لماذا صدرت قبل الحرب تحاة حركة تنقلات لبعض القيادات
الكبرى في القوات الاممية .. واسعة في الجبهة من لا علاقة لهم
بالحرب .. ولا بسياسة ؟

ومثلا : لماذا لم يكثر احد بالهجوم المرى الذي شنته اسرائيل في صباح الخميس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، وغابت فيه اسرائيل باحتلال موقع متقدم داخل حدودها . وذلك قبل ان يبدأ الهجوم الحرى المعروف بشعبين دقيقة كليله ؟

ومثلا : لماذا سميت فجأة ، قبل الحرب ساعات قليلة ، شفرة الاتصال بين القيادة هنا والقيادة في الارض .. بحيث ان برفقة التحضير التي أرسلها الشهيد عبد المصم رياض من الارض ، والحاصه بالهجوم الجوى الوشيك ، لم يتم حل رموزها ؟

ومثلا .. ومثلا .. ومثلا .. علامات استهلام ضمنية ومخيرة ، ما زالت حتى الآن بعيدة عن الفحص والتحليل والدراسة الموضوعية العلنية . وحتى اذا كان الامر يطلق مبراج لا يريد ان يبشها ، او مبرارة كنا محض بها ، او بحساسية مفرطة متبها بها .. فلن كل هذا قد انتهى في صباح السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ان حرب اكتوبر ازلت عدة حرب الابلم الستة من عقولنا .. وعملت مبرارة السموات الست من نفوسنا .. ولكن ، لتاريخ والمعبرة .. فلن الامر اصبح يستدعى الآن ان نجد مع ملفات الحرب كاملة .. لكي محدد بالنسبة ماذا جرى .. ولماذا جرى .

ان مثل تلك الدراسة الدقيقة والمعملة .. سوف تكون هي التحليل الحليم على ان ما حدث في سنة ١٩٦٧ كل حملة اعترافية في قاروصا العسكري .. واحتلالا طارئا في حيلنا المعلمة .. ودرسا لن يكرر في تكريتنا السيلبي . ان جرمنا من تلك الدراسة لاند ان يمتد الى تحليل جذور ما حدث - متى بالضبط بدا التحلل ؟ متى بدأت الحرية تراجع لصالح الامن ؟ متى بدأت تتضخم سلطة الجهل ؟ التنفيذ على حصيله حق الراى للعالم في الرقابة ؟ ومتى بدأت

تتضمن سلطة الجزء الحى من الجهاز التنفيذي على حساب
الجزء المعلن ؟ متى بدأ الانحراف وكيف أصبحت المراجعة ؟

كلها اسئلة لابد ان تكون جزءا من تلك الدراسة الناقصة ..
حتى لو كان الدين سيخرجون بتلك الدراسة .. سوف يمحطون
لكتابتها وهم يمحطون بآرائهم على آرائهم .. هربا من الرائحة
الكريهة الى اشاعتها المكسرة في المجتمع كله . نعم ، كان هذا
هو ما حدث ، خصوصا بيننا ، نحن الجيل الحديد الذى كان على
اتوار السادات ان يفتحه الى صحيح كل ذلك ما زال ابدا
مكتوما .



ان الحجم الحقيقي للحرب لا يتصور لا يمكن ادراكه متطلعا من
المقطة التى بدأ منها الاستعداد للحرب .. ولا بمجرد تحديد
الوقائع التى تعبرت في مبداء القتال . انما اذا نظرنا الى الحرب
— كما يجب ان يفعل — ليس فقط كمصادم بالأسلحة .. ولكن ايضا
على اساس النتائج السياسية التى أدت اليها الممارك .. و —
الأهم من ذلك — على سوء الحظية التى صدر منها قرار الحرب
نفسه .. وسوف يدرك كم كانت محزنة ، تلك المقضية التى بدأ
منها الاستعداد للحرب .

لمن الناحية الداخلية وجد اتوار المسجلات نفسه امام علاقات
مستقرة في القبة .. وانماط سلوكية في المصنع .. يصدق عليها
بالضبط البيلى الذى أداعه اتوار السادات نفسه في صباح يوم ٢٣
يوليو سنة ١٩٥٢ : مراكز سلطه .. ولصاحب نفوذ .. وانماط
مرضية من الرشوة والفساد والمواكل والتدريه .. ومراكز قباذية
حاصل عليها أصحابها لمجرد ان حوتة عبيرة قبل ثلاثين سنة

شاعت لهم أن يصرخوا في جمعة واحدة مع أحد أحضر . لقد وجد
نفسه أمام مراكز قوى وعلاقات سبيليه ندوس على الشريعة
ونهدد الأندية . . وشعارات فتحت مند وقت طويل بقي كل حنية
المفسون أو مخلول الأيمان .

وكنا نحن ، شباب هذا الحميم ، خائرين وممترقين ومتفسيخين
ومشككين ما الذي يفعله كل منا . . وقد تصبى صباه والمبوبات
المكررة من شمله يتعلم أن التثوير شيء متفسي ، والميل شرف ،
والاجتهاد واجب ، وحرية الرأي مكتوله ، وانتماؤنا للعصر قائم ،
والعلم مطلوب ، والفرص متكفله ، والطريق ممدوح ، والتقدم
بضمون . يتعلم أن العمل منتشر ، والنتيجة متوافرة ، والمستقبل مشرق
والجنبة شائنة والدولة بقطعة ، والانتظار ضرورة ، والصمت
حكمة . . فالأعداء يترصون . يتعلم أن عليه فقط أن يشمل نفسه
بكل ما هو في مساول أخراكه . . وليترك ما بعد ذلك للسمائر البتطة
والعبور الساهرة في القصة . . فهي وحدها التي تعرف كل شيء .

ثم . . مرة واحدة . . تفاحتنا كارثة كبرى مصدر لها أسما مطاط
هو : النكسة . . مرة واحدة يبهل اللقاء الكمي ونسقط الشعارات
الريانة وسدو المحر المروع من تحقيق الحد الأدنى من واجبات
الدولة المصرية .

ما الذي يمكن أن يفعله شباب أضررت في مجملته بحياة كل
الصور المثالية للدولة . وفيلت في كيبه فجاء كل الورود التي
أعطيت له . . واحتفت من داخله قحاء كل القشة التي أهدت منه
على بئس . . وانهزب حوته نحاة لمة حنية يأخذه العظم بها . .
ورحمت أمله محاه حياته وحياة الآلاف من أبناء جيله . . بحيث
أصبحت المقبرة بقلك الحياة شحنا سهلا وجائرا .

ما الذي يمكن أن يفعله هذا الشاب .. عندما يحد مشقة في انتظار الأوبسيس على بحسبة الشارع ذات صباح بارد ؟ هل يذهب الى عمله .. لم لا يذهب ؟ هل يفكر في شراء سيارة .. بعد أن قصى سنوات من عمره .. مؤمنا بأن احتياحات المجتمع أكثر أهمية من أحاسنات الفرد .. لم يترك لنفسه الصدى مبلغ سمعته .. وهي التي يسيدها من احترامه لنفسه ولحقه ؟ أنه في الحالة الأولى سوف يكون عبئا .. وفي الحالة الثانية سوف يصبح مرتشيا .

وأخيرا .. يفكر في الهجرة .. لو في شراء السيارة . أنه يفكر .. لأنه أصبح متعبا .. ولأنه لم يعد يتأكد من أن براسته وأعلامه ونقته تساوي شيئا للآخرين من حوله .. ولأنه يرى غيره ، ممن هم أقل منه سلا ، يفعلون نفس الشيء .. ولأنه يرى موقه محاطة بها يشد من حوله الى أعلى الدين لا رأي لهم ولا فكر ميم من رملاته .. ولأنه لم يعد وانقا من أن للحقائق القبيحة ما زالت محتفظة بأهبتها .. ما هيك من جمهورها . وسواء ظل هذا الشاب هنا .. أو هاجر من بلده بقه في الحائلي محترق .. وفي الحائلي أصبح يتعد عن أحلام شبابه .. وفي الحائلي أصبحت تنصه مصالحه بخرايدة عن القيم التي آدمى العبيع من قبل أنها أميلة في المجتمع . أن المصلحة العسيلة فقدت احترامها في داخله .. وبدلا منها أصبح عليه أن يقض نفسه في مصلحته الخاصة هو ..

من هذه النقطة بالضغط بدأ ثور السادات بلم ما شعش .. ويلحم ما تناثر .. ويعيد للمفد شمله المتفصح . بدأ وهو لا يملك غير قلب مصوح وعقل مصمم وكلمات قليلة : تعلموا ماذا من جديد .. تعلموا صحيح ما حدث .. أن الحركة حتمية ، والإنصار ممكن ،

وحكم القانون هو الضرورة .. والسنة الثامنة هي الوسيلة .
والنقطة هي الأسس . فاعلوا — بالقانون والحرية .. بالعلم
والإيمان — بريل العبار من على الوجه الحقيقي لمر .



اقول ان لنور السادات بدأ حركته في الداخل .. من هذه
النقطة المحيطة للعامة . ولكن الترمومتر في الخارج كان أكثر
انخفاضاً .

لقد أصبحت الأمم المتحدة هي صندوق الشكاوى الذي يرسل
إليه ملحقاً لقضيتنا بين وقت وآخر .. وأصبح الأعداء أكثر
شراسة .. والأصدقاء يرسلون إليها ، بين مناسبة وأخرى ،
بطاقات التعمية في وفاة النقيب .. الذي هو شرف الأمة العربية
وعلمها في التمدد .

كانت إسرائيل مشغولة بخلق « حقائق على الأرض » .. وبرايح
حرب العمل الاسرائيلي الحاكم للاتصفت بالثانية تنصده حطة
للموسع في تنمية واستيطان الاراضي العربية المحتلة .. ورئيسة
ورراء اسرائيل نصح لحة تايام الأمريكية في صحيفة لا مثيل لها
« نحن طبعاً لسنا مسطحين بأي شكل للمواقفة على أي شرط من
شروط السادات المسبقة .. لكن نلزم بالعودة الى هيودسة
١٩٦٧ لو كل نوافق على مرور حيشه لقاء السويس » .. وموشى
دايان يطل في نيويورك : « انى اعتقد ان من المستحيل على أي
ملك عربي أن يملى على الأمريكيين سياستهم الخارجية لجرد أنه
يملك السورول » .

ان تلك التصريحات الاسرائيلية كانت تصادها بين وقت وآخر
أعمال « حيمس يوديه » لتأليب الدول العربية لو المقاومة

القطبييه .. سواء بتهديد المينى المصرى .. او باحطاف صباط
سوريين من لساني .. او ملاعارة على الدانيس في قلب بيروت ..
او باستقاط طائرة محليه ليبية بركابها .

ولكى يصبح الترمومتر اكثر انحداما ، والموقف اكثر تعقيدا ،
فال الماعب لم تقتصر على الأعداء فقط .. وانما كان لاند في نفس
الوقت من حل مشاكل لاسية تنشأ مع الأصدقاء ايضا . لقد
حدثت أمريكا والاتحاد السوفيتي عمرا من التوافق .. وبدأتا
تعرضان مظهره سيالية وعكرية من التعميش في كل مناطق
الالتهب .. ونقطة البداية في ذلك هي الأمر الواقع والاحتكاك
القائمه . ان وجود معتدى ومعتدى عليه أصبح شيئا غير هام
الا في اطار محاصرة تقويمه او اخلائية .. ولكنه ليس مهما على
الاطلاق اذا كنا بصدد تداول نولي في المصالح ودائرة محكمة تم
اغلاقها .

لقد أصبحت السياسة المصرية تواحه ضغطا عميقا مستهرا ،
يفرض عليها ان تختار بالسيطر ما هو مفهوم الأصدقاء لصادقهم .

ان سوق السلاح أصبح معلقا عن تنسيق كاسح و جانب العدو ..
مقابل اضطراب متزايد تعاقب منه الامدادات العربية لحساب
سياسة التوافق .

وتحس استطيع هذا ان تصور .. نظريا .. ثلاثة فروض
للإمدادات العسكرية التي يحصل عليها .

الفرض الأول .. تنطقي منه امدادات عسكرية مقتل في حجبها
وموعها عما تحصل عليه اسرائيل .. وهذا الفرض معناه بالضرورة
أن الباب منوح لنام اسرائيل للتكليم بمعاملات جديدة وغروا
جديدة لأراضيا .

الفرس الثاني .. تلقى فيه لبدائل عسكرية تتعامل في حجمها ونوعها مع ما حصل عليه إسرائيل .. وهذا مصاه الحكم يتجهيد الوضع القائم في الشرق الأوسط .. أي الحكم باستمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراضي إلى ما لا نهاية .

الفرس الثالث .. تلقى فيه لبدائل عسكرية تتوق في حجمها ونوعها ما تحصل عليه إسرائيل .. وهذا ينقص موقفا فعليا في جانب الحق الحربى .

و في كل الفروض الثلاثة السابقة التي تصورهاها نظريا .. هناك صداقة ، وهناك ابداعات عسكرية .. ولكن كل واحد من الفروض الثلاثة يفتوى على موقف سياسى مختلف .

ان عمر الوماق ادى الى الحكم ماليا باستبعاد الفرض الثالث . وهكذا ، أصبح على السياسة العربية - وبالذات البسيطة المصرية - ان تستخدم القليل الذى تحصل عليه .. في تحقيق الكثير الذى تريده . عبء آخر ليسف الى اثناء سلتع القرار السياسى . وهو يحدد قراره بالفخول في حرب مع إسرائيل .



بهذه الخمية العامة - ويتسايلها الاكثر مدعاة للنس - يجب ان ينظر الى حرب أكتوبر ، وإلى الشجاعة المطلقة في انتفاة قرار الفداء .

لقد عبر أنور السادات عن ذلك بصق شديد عندما أعلن : « اتول لكم بصق وإمعة .. لتنى كمثل لحرار العالم لنا ، ولو بعير عطف .. على عطف للعالم علينا .. إذا كلى بغير احترام » .

هكذا خططوا الحرب بالصلصى مطلقاً بأنه هدام إرادة ضد إرادة .. قبل أن يكون سلاحاً ضد سلاح .. إرادته تصبح لنا حدث .. ضد إرادته ندعيم لنا حدث .. في تلك الأيام الاستثنائية من يونيو سنة ١٩٦٧ . خططها بقوة واضحة في الميران العسكري بيننا وبين إسرائيل . فحوة .. اعتمد منتج القرار المبلى في سدها على علبين أساسيين :

أولاً : فترة القتل العربي الشاب على الابتكار ؛ فإذا كل السلاح بهذه .. فسوف يجعلها الابتكار والأمانة والتمثيل مهتمين . هكذا وحدها ميلا مهتمنا مصرياً شديداً استطاع بقدرة على الابتكار أن يحضر مدة تسبق الحاضر الرملى الإسرائيلي الى ساعتين بدلاً من عشر . ووجدنا أن دول حلفه الاطلملى اهدت عن المصريين الطريقة الجديدة التي ابتكروها لساء دشيم الطائرات ، ونول حلف وأرسو تأخذ الأسلوب المصري في بناء قواعد الصواريخ — انه — المقاتل المصري والمقاتل السوري — هو الذى أصبح يشكل بالنسبة لرنهس أركلى حرب الجيش الإسرائيلي « المفاجأة الأولى في هذه الحرب » . والمقاتل العربي هو الذى جعل موسى داهل بطر . « أن حرب أكتوبر زلزال هر إسرائيل » . والمقاتل العربي هو الذى جعل الجمرال « هونين » القائد الإسرائيلي لهبة سيماه يقول . « لقد كل المصريون يتقدمون موجات بعد موجات . كنا مطلق عليهم النار .. ويتقدمون . كنا نحيل ما حولهم جحيما .. ويتقدمون . كل لون التماة ثانياً مالم .. وهم يتقدمون » .

هذا المقاتل الذى موحنت به إسرائيل أمامها في ساحة الضال .. لم يكن شخصية سيمائية . ولا مطلا استرحاء من الأمانى .. ولا هو « عبة » استوردناها من الخارج أنه لن هذه الأرض تنفسها . بل ابن هذا الحبل نفسه . أنه كل موحوداً دائماً .. ولكنها المرممة المتجددة هي التي كتقت تنقصه .

ثانياً ، الوحدة العربية . لقد ترجحت هذه الوحدة معها في سلاح رئيسي وماتر هو سلاح المتروول . غلاول مرد يسطر العالم الى أن يأخذ العرب بحدية عندما يصرون قراراً .. ويلتزمون به .. ولأول مرة تحس الدول الكبرى أن مصالحها الحقيقية مبحودة في الجانب العربي .. وليس الاسرائيلي . وعندما اضطرت تلك الدول الى اعادة التفكير والحصيف .. والى السعي نحو الرياض والقاهرة والحرائر والكويت ونمشق مسترسميه ومهنه .. معها كانت لغة المصالح التي أنت بها الدنيا في هذه المرة .. مصالح ، تركز في سلعة رئيسية ، المتروول ، ليس للقرآن ، ولا للنوراء ، ولا الانجيل ، ليس المسجد الأقصى ، ولا اللاجنبي . ليس القانون ، ولا الحق ، ولا الأمم المتحدة . انه المتروول - ذهب هذه الارس هو الآخر كل موجودا داسا .. ولكنه هرم من مرصنه كسلاح سيسى .



كانت تلك هي الحرب ، وكانت تلك هي حليمانها وظروفها وأسلحتها .

ثم ماذا ؟؟

لقد أنت حرب أكتوبر الى تفكير العالم ببعض الحقائق الأساسية لطبيعة الصراع في الشرق الأوسط . ولكن الأهم من ذلك .. هو أن يتذكر نحن الحرة الآخر الذي يهنا من تلك الحقائق .

أن حرب أكتوبر اشاعت في مجتمعنا مشاعر كثيرة . معظمها محي .. وبعضها خطر . من المشاعر الخطرة مثلاً الإحساس بالرضاء الشديد عن النفس .. وبراحة البال .. وأن كل شيء قد أصبح على ما يرام . لا . أن الحرب قد أزلت العيار من على

جانب واحد من الوجه الحقيقي لنا ولكن الحواب الأخرى ما زالت تتطلب ما الدور في تحديث أكثر حجبا وأطول ربما .

ان المواجهة الماخطة في الصراع بيننا وبين اسرائيل هي المواجهة العسكرية . ولكن المواجهة الأخرى ، المستمرة والدائمة ، هي المواجهة الحصارية . في تكوين كانت المواجهة بين جيش وجيش . في المستقبل سوف تكون المواجهة بين حلبة وحلبة . . بين اقتصاد واقتصاد . . بين صناعة وصناعة . . بين بحث علمي وبحث علمي . . بين صحافة ومطبعة . . بين مؤسسات ومؤسسات . . بين اعلام واعلام . . بين انتاج وانتاج . . بين كفاء وكفاء . . بين ادارة وإدارة .

ونكبا تعرضنا في المواجهة العسكرية لحصار سياسي وعسكري استطعنا بحرب أكتوبر ان نفلت منه ونكسر دائرته . . كذلك نحن تعرضنا في الصراع الحضاري لحصار لغتنا له في احياء كثيرة بأختيارنا نحن . حصار لا يمكن ان نكسره في هذه المرة في غياب تصور شامل تحدده لئلا * بلقا نريد منه . . وماذا نعلم به له .

هذه المواجهة الحصارية هي التي مستحسب في المدى الطويل كل المشكلة بيننا وبين اسرائيل ، في صدام أوسع نطاقا وأشد عفا .

و . . لانه صدام التدار في هذه المرة .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

● مقدمة :

بقلم محمود موسى ٥

الباب الأول

● هفايا حرب الشرق الأوسط :

أندريه دوبتش ١١

● فلسطين .. أو إسرائيل :

جون كيشي ١٠٧

● اليهودي الأمريكي :

روجر كان ١٨١

● العالم العربي أمام القلبيء الغربيين :

فرودي بانكر وراثيل جونز ٢٢٥

الباب الثاني

● ماذا جرى . وكيف جرى ؟ :

بقلم محمود موسى ٢٦١

كتب اخرى للمؤلف :

ممنوع من التداول - الطبعة السادسة - دار الشروق
افكار اسرائيلية - الطبعة الثانية - تحت الطبع
سياحة غرامية - الطبعة الثانية - دار الشروق
مصرى بمليون دولار - الطبعة الثالثة - الأنجلو
افكار ضد الرصاص - الطبعة الثانية - دار المعارف
شخصيات من هنا وهناك - الطبعة الاولى - دار المعارف
ارجوك لا تفهمنى بسرعة - (رواية) - تحت الطبع

مطابع الامرام التجارية

رقم الإبداع بدار الكتب

١٩٧٢ / ٢٢١٠



منذ صدر بحسود نومي كتابه المشهور « فتوح من القنول » ثالث من
 سلسلة « لوموت » الفرنسية إنه دليل على أن الجيل الشاب في مصر يعرف
 أن يحارب إسرائيل من القنوة ... وقالت منه صحفي يروت إنه « سوف
 يظل أعظم كتاب طوال السنوات الخمس القادمة على الأقل » .

والآن نقدم لك الجزء الثالث « سري جدا » في هذا الكتاب نقرأ بحسب
 العالم حرب أكتوبر وأسبانيا « من هم - في العام العربي كله - ستة الذين
 عرفوا بقرار الحرب قبل وقوعها ؟ لماذا أخطت أمريكا قبل الحرب بشعة
 أيام كرا مناصيا لولا الفرق الأوسط لجميع المعلومات ؟ لماذا طلبت بريطانيا
 من سفيرها بالقاهرة أن يقابل الرئيس السادات في الرابعة صباحا ؟ ما هي قصة
 « انقرة » ؟ ماذا دار في الاتصالات بين تل أبيب وواشنطن ولندن والرياح
 ومثل والقاهرة وسوسكو ؟ لماذا قررت مصر أن تجري جميع المفاوضات
 مع السوفييت في القاهرة وليس في موسكو ؟ ولماذا تقرو - أصلا -
 الخبراء السوفييت من مصر ؟

إنها أسرار القرأنا في هذا الكتاب من مصادرها الأجنبية كاملة ، ولذا
 وفي النهاية نقرأ السلسلة مقارنا بقلم محمود نومي « الذي قال عنه أحد
 مستنبي إنه « ... يمثل جيلا جديدا حيا من الكتاب الذين يؤمنون بأن
 المرحم بدلة وأمانة هو أول شرط للعلاج » .

